كل ملوك وملكات

الكتاب المقدس

بقلم

هربرت لوكير

ترجمة

إدوارد وديع عبد المسيح



دار الثقافة

Book Name : All The Kings and Queens of The Bible

Author : Herbert Lockyer

Publishing House : Zondervan

Originally published in the U.S.A. under the title

" *All The Kings and Queens of The Bible* ".

طبعة ثالثة

الكتـاب : **كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس**

المـؤلف : **هربرت لوكير**

صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة

رقـــم الإيـداع : ٢٠٠٣/١٠٣٥٨

الترقيم الدولـي : 977 - 213 - 658 -9

المطبعـــة : مطبعة سيوبرس ت: ٦٢٢١٤٢٥/٦

الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة

تصميم الغـــلاف : إخلاص مطر

١٠ / ٨٧٤ طم / ١-٣ / ٢٠٠١-٢٠٠٣ - ٢٠٠٥

مقدمة الدار

في هذا الكتاب (كل ملوك وملكات الكتاب المقدس) ستشهدون قيام وسقوط العديد من الأسرات القديمة والممالك، وتقرأون عن عروش وقصور وإمبراطوريات وسيادات واحتفالات بهية ورائعة، ربما تفوق ما يحدث في العصور الحديثة.

ويصحب د. هربرت لوكير قارئيه في رحلة ترجع إلى قرون ماضية في التاريخ، ونقطة انطلاقه هي أقدم وثيقة للأحداث يمكن أن يبدأ بها المؤرِّخ عمله وهو سفر التكوين وما يتضمنه عن نشأة الأمم والشعوب والألسنة، لينتقل إلى التاريخ الذي شهد أول ملك عرفته البشرية، ثم يعرض عرضًا مبهراً لكل الممالك والإمبراطوريات الضخمة التي تركت كل منها أثاراً حفرتها على خريطة العالم المعروف وقتها، وعلى صفحات التاريخ الذي سجله مؤرخون عظماء.

وقد حرص الكاتب أن يتناول تاريخ كل شخصية بالتفصيل، بعد أن يضع عنوانًا قصيراً يعبِّر عن أعماق تلك الشخصية تعبيراً دقيقًا.

إن القاريء يشعر بأنه عاين بنفسه عمق التاريخ، وكأنه مازال حيًا ينبض بالحياة، ولذلك فعندما يصل الكاتب إلى استخلاص الدروس والخبرات والتجارب، فإن القاريء لا يشعر هنا أنه مجرد متلقٍ لما توصل إليه الكاتب، ولكنه يشارك ثم يصادق على ما يذكره الكاتب في خلاصة دراسته.

دار الثقافة

تمهيد

ينسب لأبراهام لنكولن قوله: « لابد إن الله يحب الإنسان العادي، ولهذا السبب فقد خلق منه أعداداً غفيرة». إن عامة الناس «الذين سمعوا يسوع بفرح» يسيطرون بلاشك على تاريخ الكتاب المقدس، إلا أن صفحاته المقدسة تسجِّل لما يُطلق عليه «النبلاء» من الملوك، والملكات، والأمراء، والأميرات، واللوردات، على الرغم من أن عدداً كبيراً منهم لم يكونوا (نبلاء) في التأثير الذي خلّفوه.

إنك يمكن أن تقرأ في السجّل المقدس عن العروش والقصور والإمبراطوريات والسيادات، وعن الاحتفالات البهية والرائعة التي تماثل احتفالات العصورالحديثة. في هذا الكتاب الملكي العظيم تجد قيام وسقوط العديد من الأسرات القوية والممالك وكل المؤامرات الماكرة للحياة في البلاط الملكي.

ومع ظهور الشيوعية واكتساح النزعات القومية، أصبح عدد الملوك نادراً في العالم، وتحوّلت النظم الملكية إلى نظم جمهورية. لذلك فإن العبارة القائلة «إن الرأس التي تحمل تاجاً مثقلة بالمتاعب» لم تصدق في يوم كهذه الأيام. ولذلك، فإنه من المفيد أن نعود للكتاب المقدس، وننظر في معرض صوره الملكية، إلى هؤلاء الحكام العظام الذين كان لهم تأثير عظيم في عصرهم. وبالقصص النبيلة والشهيرة التي تدور حول هؤلاء الملوك! إن عدداً كبيراً منهم كانوا أقوياء حين حكموا، ولكنهم هبطوا إلى قبورهم، بلا كرامة، وهم يذكروننا بكلمات جيمس شيرلي من القرن الخامس عشر:

إن أمجاد دمنا ودولتنا
ما هي إلا ظلال وليست أشياء حقيقية
ليس من سلاح ضد القدر
الموت يقبض بيده على الملوك
الصولجان والتاج
لابد من سقوطهما
وفي التراب يتساويا
مع المنجل الملتوي البائس والجاروف

وفي حين وجد المؤلف أن إعداد هذا الكتاب عمل مفيد، إلا أنه لا يوجد أحد أكثر إدراكاً بقصوره سُواه. ومع ذلك، وعلى الرغم من أنه أبعد ما يكون عن التقديم المثالي لمثل هذا الموضوع، إلا أنه يقدمه مع تعديل في أمنية روبرت سوذي

إذهب،أيها الكتاب المتضع! بعيداً عن وحدتي
إني ألقيك على وجه المياه، اذهب في طريقك
وإذا كان ما تحويه نافعاً، حسبما اعتقد
فالعالم سوف يجدك بعد أيام كثيرة
ليحدث لك ما يعادل قيمتك
اذهب أيها الكتاب المتضع! إني أرسلك بالإيمان

مقدمة

متطلبات ومسئوليات وحقوق الملوك

ترجع فكرة أن الملوك يحكمون بالحق الإلهي، بمعزل تام عن إرادة الشعب إلى أيام العهد القديم، عندما كان الملك يُدعى «مسيح الله» أو ممثل الله على الأرض. كتب الكسندر بوب عن: «الحق الإلهي للملوك أن يحكموا حكماً خاطئاً»

ويتحدث مارك توين في «جندي من كونتكيت في بلاد الملك آرثر» قائلاً: «أولئك المخادعون بوضوح - المغتصبون للملك والثروة».

إن فكرة «الحق الإلهي» قد روَّجت أمثالاً مثل - «الملك لا يمكن أن يَخدع أو يُخدع» «الملك لا يخطيء». ولكن كلا من التاريخين المقدس والدنس يكذِّبان مثل هذه المشاعر، لأن كثيراً من الملوك، كانوا كما ذكر تنيسون «ملك يحكم الدماء التي تجري في عروقه، ولكنه مهرِّج في حقيقة الأمر». ونحن نجد أنفسنا في اتفاق وثيق مع بنيامين دزرائيلي الذي قدم حق الملوك في «لوتهير» بهذه الطريقة - «حق الملوك الإلهي في الحكم قد يكون حجة الطغاة الضعفاء، ولكن الحق الإلهي في الحكم هو حجر الزاوية في التقدم البشري، ولولاه لتحولت الحكومات إلى حكومات بوليسية، وانحدرت الأمة إلى مستوى الرعاع».

ويقول هربرت سبنسر تحت عنوان «التعليم» الجزء الثاني والفصل السادس هذه العبارة «الحق الإلهي للملوك يعني الحق الإلهي لأي واحد ليصل لأعلى منصب»

وكما عبَّر صمونيل بويز من القرن السابع عشر قائلاً:

«منك يا الله تستمد كل الأمم البشرية كل شيء،

قيام الإمبراطوريات وسقوط الملوك»

إن جميع الملوك، سواء كانوا أتقياءً أم أشراراً، مدينون بالجاة والمجد لله الذي «هذا يضعه وهذا يرفعه» (مز ٧٥:٧)، «والمقيم المسكين من التراب... ليجلسه مع أشراف» (مز ١١٣:٧)، لقد كان الملوك ينسون أن الله قادر أن «يفعل كل ما سبق فعيَّنت يد مشورته أن يكون» (أع ٤:٢٨)، فبه «تملك الملوك» (أم ٨:١٥) وهو القادر أن يضرب «ملوكاً عظماء» (مز ١٣٦:١٧-١٨).

إن معنى اللفظ «ملك» ذو طرافة، فالكلمة العبرية لها وهي "Melek"، «ميليك» مرتبطة بأصل أشوري يعني «ينصح»، «يشير» «يحكم أو يملك»، والصيغة اللاتينية هي "Consul" والكلمة العربية تحمل معنى «مالك كسيد وحاكم» والأصل موجود أيضاً في «مولك» "Molech"، الإله القبلي للعمونيين، وهكذا فمنذ البداية، فإن كلمة ملك كانت تعني «الرجل الحكيم»، ثم «الحاكم». إن الوصول للسلطة الملكية كان يرجع للتفوق العقلي وليس للقوة الجسدية. كان «الملك» هو الرأس المدبِّر لعشيرته أو «دولته» ومدينته، وكان قادراً على تسيير أمورها، سأل «ماثيو بريور» "Matthew Prior" من القرن السادس عشر هذا السؤال:

«من هو الملك؟ إنسان حكم عليه أن يحمل العبء العام لهموم الأمة»

ومع ذلك لم يمض وقت طويل، قبل انتقال التأكيد من القدرة العقلية إلى القدرة الجسدية. إن دائرة معارف الكتاب المقدس

الدولية. الموحَّدة تكتب هذا التعليق عن المغزى الكتابي للقب ملك:

إن أقدم استعمال كتابي لهذا اللقب المتفق مع الممارسات الشرقية بصفة عامة، كان يدل على ملك مطلق كان يمارس سيطرة على رعاياه لا يراجعه أحد فيها، وبهذا المعنى فاللقب ينطبق على يهوه (الرب) وليس على الحكام البشريين. لم يكن الحاكم يلتزم بأي التزامات دستورية، ولم تكن هناك أية قيود تحد من، سلطته المطلقة، وكانت اتصالاته الخيِّرة أو الشريرة تتوقف على إرادته الحرة.

وكان لقب «ملك» يُطلق أيضاً على الملوك الذين يعتمدون على غيرهم، وفي العهد الجديد كان يُطلق حتى على رئيس الإقليم (رؤ ١٧:١٢)، ولتمييز ملك أشور عن الملوك الأصغر منه والمستقلين عنه، كان يُطلق عليه لقب «ملك ملوك».

وفي العصور القديمة، وفي أوقات ليست قديمة إلى حد بعيد، كانت الملكية تُكتسب بالغزو، وبالقوة الجسمية الفائقة. إن أصل الكلمة «ملك» يعني «الرجل القادر»، «الذي يقدر».

مسئوليات الملك : مع استقرار إسرائيل في أرض كنعان، أصبح الأسباط معرَّضين للغزو من قبل الأعداء ولحمايتهم من الانقراض، أصبح من الضروري توحيد الأسباط معاً تحت قيادة قائد. كان يشوع يعمل كملك للشعب بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ثم مع تطور البلاد إلى الملكية، تم تعيين شاول بالإجماع الشعبي أول ملك للأمة.

في تلك الأيام السحيقة، كان على الملك أن يكون قائداً لا يخاف، قائداً في الحرب لديه الشجاعة الكافية ليقود قواته في المعركة (١صم ٨:٢٠، ٢:٣١). لم يكن مستبداً بالمعنى الشرقي، أو ملكاً دستورياً بالمعنى الذي نفهمه. كان من المفروض أن ملوك إسرائيل مسئولون أمام الله الذي اختارهم ليكونوا حكاماً خاضعين له وعبيده. كان الله هو الملك الحقيقي لإسرائيل، وكان الملوك ممثِّليه الأرضيين، كما كانوا ممثِّلين للشعب. كان على الملك أن يمارس ضبط النفس لئلا يرتفع قلبه على إخوته (تث ١٧:٢٠).

وكان الملك أيضاً يعمل كقاضٍ عظيم (٢صم ١٤:٥، ٢:٢٥). كان هو بمثابة المحكمة العليا للاستئناف. و«كالقاضي» فإن أقل الناس شأنًا كان يجب أن يكون لهم الحق في الاقتراب منه، وكانت مسئوليته أن يكرم منصبه. يتساءل چون ملتون في كتابه «منصب الملوك»:

«من لا يعرف أن الملك اسم يدل على الكرامة ورفعة الشأن، وليس اسماً لشخص؟».

وكان الملك أيضاً، أكبر شخصية من وجهة النظر الدينية، الذي كان عليه أن يعتبر نفسه قائداً دينياً سامياً، ورئيساً للكهنة، وكان يمكنه أن يعيِّن الكهنة حسبما يشاء (١صم ١٣:٩-١١، ٦:١٣، ٢صم ٨:١٧) ويصلي لشعبه ويباركهم (٢صم ٦:١٨). وكان يخصَّص للملك مجلس الصدارة في الهيكل (٢صم ١١:٤). وفيما بعد لم تكن الوظائف الكهنوتية تُمَارس كثيراً من قبل الملوك.

مدى السلطان : كانت الممالك الإسرائيلية تختلف عن الممالك الشرقية المقهورة، في أن سلطان الملوك كان محدداً (١صم ١١:٤). وكان الناموس والعادات القديمة بمثابة الكابح القوي لملوك إسرائيل - على الرغم أن عدداً منهم قد ارتكبوا العنف الذي يتسم بالظلم. وكان سليمان في واقع الأمر ظالماً، فقد طحن الشعب بفرض الضرائب الباهظة والسخرة. ومع ذلك، فقد كان الرأي العام الذي يعبِّر عنه الأنبياء، يمثل حائط صد ضد الملوك. والمبدأ الذي لا يجب أن يغيب عن الأذهان أن منصب

«لو أحُسن فهم سلطة الملوك،

لصارت فتحة من السماء لفعل الخير»

كان الناموس فوق سلطة الملك، ولذلك لم يكن بمقدور آخاب أن يجبر نابوت على بيع كرمه. وكان الملك تحت الناموس (تث ١٧:١٤-٢٠). وقد أقسم يوشيا أن يكون مخلصاً للناموس (٢مل ٢٣:١-٣)، يقول «كاوبر» "Cawper":

«نحب نحب الملك الذي يحب الناموس»

كان الملك يشغل منصبه بالنعمة الإلهية، ولذلك فقد كان تحت يمين الولاء لربه العظيم. وقد فشل شاول في هذا الصدد، وفقد عرشه لأن الذات احتلت مكان إرادة الله.

ميراث الملوك : كانت الآراء الثابتة عن الملوك تنتقل من الأب إلى الابن، كما انتقل منصب القاضي من جدعون إلى ابنه (قض ٩:٢). كان الملك يختار خليفته عن طريق التوجيه الإلهي. وطبقاً لناموس موسى، كان الله يختار الملك ليكون مندوباً عنه، ومع ذلك كان اختيار الشعب يؤخذ في الحسبان. عندما قدم صموئيل شاول (كمسيح الله) اعترف به الشعب كملك (١ صم ١٠:٢٤،٢صم ٢:٤).

ابتدأت الملكية الوراثية بحكم داود، وظلت الخلافة في يهوذا مستمرة على الدوام في بيت داود. كان البكر عادة هو الذي يجلس على العرش (٢أخ ٢١:٣-٤). ومع ذلك فقد فضل داود سليمان على ابنه الأكبر أدونيا. وفي مملكة الأسباط العشرة، كان الابن يخلف أباه، مالم يغيرٌ العنف والثورة البيت الملكي وتجلب مغامراً جديداً إلى العرش.

دَخْل الملوك : كان الملوك القدامي لهم أراضٍ خاصة بهم. وكان لهم قطعانهم من الماشية والأغنام، وعشورهم ومكوسهم، كما كان لهم عائد كبير من الهدايا التي أصبحت بالفعل ضريبة منتظمة. لم يُخضِع شاول وداود الشعب لضرائب باهظة. كانت الموارد الرئيسية لدعم شاول من أراضي أجداده ومن الغنيمة التي تؤخذ من الأعداء، والهدايا من الأصدقاء والرعية (١صم ١٠:٢٧، ١٦:٢٠). وكانت أراضي التاج تدر دخلاً لداود (١أخ ٢٧:٢٥). وكان على القوافل التي تمر من مصر إلى دان أن تدفع رسوماً (١مل ١٠:١٥). وكانت التجارة الخارجية عن طريق البحر حكراً على الملوك (١مل ١٠:١٥). وكانت هناك ضرائب على الملكية (١صم ١٧:٢٥)، وضرائب خاصة تُفرض لمواجهة الطواريء (٢مل ٢٣:٣٥). وكان ملوك يهوذا يتصرفون في خزائن الهيكل، كما كان يحلو لهم، وكان الملوك في أيام عاموس يستولون على أول جزاز للعشب للخيول الملكية (٧:١).

رموز الملكية : كان مسح الملوك عادة قديمة ليست قاصرة على إسرائيل (قض ٩:٨-١٥) وهذا العمل كان يعني فرز الحاكم المنتخب لمنصبه الرفيع. ويقدِّم لنا شكسبير في روايته «الملك ريتشارد الثاني» هذا البيت:

«لا تستطيع كل المياه في البحر الهائج الصاخب

أن تغسل طيب ملك ممسوح»

كانت رموز التكريم تتضمن الثياب الجميلة (١مل ٢٢:١٠)، والتاج (٢صم١:١٠) والصولجان، علامة السلطة والسيادة (تك ٤٩:١٠)، والعرش، رمز الجلالة (١صم ١٠:١٨-٢٠)، والقصر (١مل ٧:١-١٢). والحرس الخصوصي (٢صم ٨:١٨).

كان يوجد في داخل البلاط الملكي الأمراء، وناصحو الملك ومستشاروه (١مل ٤:٢)، والمسجلون الذين يكتبون حوليات ملكه (٢صم ٨:١٦)، والكتبة الذين يكتبون الخطابات ويهتمون بالمراسلات (٢صم ٨:١٧)، والمراقبون الذين يشرفون على العمل

وغرف الطعام، والموظفون الصغار كحاملي الآنية. وكان المؤتمنون على الأسرار والأصدقاء يختارهم الملك وينالون كثيراً من الحظوة لدى الملك. وفي بعض الأحيان كانوا يخونون الثقة الملكية الموضوعة فيهم. وقد ذكرنا ادموند بيرك بأن «الملك يمكن أن يكون من النبلاء، ولكنه لا يمكن أن يكون إنساناً نبيلاً» وقد كان بعض كاتمي أسرار الملك أبعد مايكون عن السمو الأخلاقي.

المحتويات

القسم الأول

ملوك الكتاب المقدس

الفصل الأول

بلاد ما بين النهرين والملوك القدامى ....

بعد الطوفان، تفرّق أبناء نوح واستقروا في بقاع مختلفة من الأرض الخالية من السكان، ليبدأوا حضارة جديدة. وبالتالي فإن أقدم وثيقة موجودة للترتيب الزمني للأحداث هي سفر التكوين حيث يمثل أصحاح ١٠ ما يمكن أن يبدأ به المؤرخ. ومهما تكن التفاصيل التي يمكن أن نستمدها من التاريخ غير الديني، فإن سفر التكوين وحده دوناً عن سائر المصادر نجد فيه المصادر الإلهية للمعرفة. ولذلك فسرد الأحداث عن نشأة الأمم والشعوب والألسنة وعن تشتُّت الجنس البشري، كما أورده موسى لا يحمل شبهة التخمين. إن علم الإثنولوجي «العلم الذي يبحث في تنوع الجنس البشري ويحاول إرجاعه لأصوله» يتجه للبحث في ثلاث أصول رئيسية ألا وهي يافث، الابن الأكبر لنوح، وسام، والابن الاصغر حام - وجميعهم نشأوا في بلاد ما بين النهرين قديماً.

وعلى العموم، فالشعوب الرئيسية التي انحدرت من أولاد نوح هم:

من يافث: المديانيون واليونان والرومان والروس والغاليون (الفرنسيون) والبريطانيون.

من سام: العبرانيون والفرس والأشوريون وكثير من القبائل العربية.

من حام: المصريون والإفريقيون والبابليون والفلسطينيون والكنعانيون.

وما أن استقر هؤلاء الجدود الأوائل للجنس البشري في الأجزاء التي هداهم الله إليها من الأراضي التي اكتسحها الطوفان، حتى ظهرت العديد من العشائر. ومع زيادة السكان وامتلاك البلاد المجاورة، تطورت الحضارات وظهر القادة والملوك.

وفي حين أنه من الطريف أن نقرأ عن تخمينات كل من علماء الأجناس البشرية وعلماء الحفريات، فيما يتعلق بأناس ما قبل التاريخ والإنسان البدائي، الذي أخذ يتجول في الأرض منذ عشرات الآلاف من السنوات الماضية. إلا

أن الكتاب المقدس هو المصدر التاريخي الوحيد الذي له الكلمة العليا في العالم فيما يختص بخلق الإنسان وهو لا يذكر شيئاً عن أي جنس من الكائنات فيما قبل آدم.

إن قصة الكتاب المقدس عن خلق الإنسان تكذِّب إلى حد كبير اللغو الذي يُذكر ويُكتب عن «التطور» الذي يعلِّم أن الإنسان قد تطور تدريجياً من بروتوبلازم، أو كما قال دارون: أصل الحياة يمكن أن يرجع إلى «الكهرباء والزلال». إن آدم جاء كنتيجة فورية ليد الله التي خلقته - فقد كان في لحظة صنعه من التراب، وفي اللحظة الأخرى تمثَّل بشراً سوياً. ولم يكن بأي حال من الأحوال «بدائياً» حسبما تعني هذه الكلمة. فقد كان ناضجاً منذ البداية ووجد نفسه في بيئة كاملة.

أما عن نظرية وجود جنس فيما قبل التاريخ، أي عالم من الكائنات الموجودة قبل آدم، فالكتاب المقدس يوضح تماماً أن آدم كان هو «الإنسان الأول» (اكو ١٥:٤٥)، ولم يكن قبله إنسان «ليعمل الأرض» (٢:٥). وكونه كان وحيداً، ثابت من الحقيقة القائلة «فأصنع له معيناً نظيره» (تك ٢:١٨، ٢٠).

إن كل الأجناس البشرية جاءت من أب واحد هو آدم (ملا ٢:١٠). ولذلك فإن زوجة آدم قيل عنها بالمثل إنها «أم كل حي» (تك ٣:٢٠). ويتحدث بولس عن جميع أمم الأرض بأنها «من دم واحد» (أع ١٧:٢٦).

وعند الطوفان، تم تدمير «كل ذي جسد» باستثناء نوح وعائلته (تك ٦:٧، ٧:١٩،٢١). وبعد الطوفان، تشعَّبت كل الأجيال من أبناء نوح الثلاثة (تك ٩:١٩، ١٠:٣٢). إن اهتمامنا لا ينصب على قدم العالم، بل على خلق آدم. إن الكتاب المقدس لا يشير لملوك كانوا قبل الطوفان. فلا نجد أي ذكر لملوك (انظر نمرود) سوى بعد تطور الحضارة التي نشأت من تشتُّت أبناء نوح.

ولذلك فإن سجلات الأسرات التي قدَّمت ما يطلق عليه السلطات التي مارست السيادة في العصور القديمة، حتى قبل عصر إبراهيم، يجب أن تُعامل بتحفُّظ. وفي نفس الوقت يمكن تعلم الكثير مما يذكره التاريخ العالمي، ومن النقوش المسمارية، والاكتشافات الناتجة عن الحفريات عن الملوك والممالك، إلا أننا يجب أن نكرر القول ثانيةً إن الغرض من هذا الكتاب هو التعامل مع أولئك الملوك الذين ذُكروا بالتحديد في السجل المقدس.

ثم، في حين أنه من المثير أن نكتشف كل ما يمكن أن نجده عن ملوك من دول مختلفة وأسرات منذ بداية حكم الملوك، ونكتشف كيف يمكن أن تدخل في سدي ولحمة النص الكتابي، فإننا لا يجب أن ننسى أن الهدف الرئيسي للكتاب المقدس ليس أن يعطي سرداً تاريخياً لكل ملوك الماضي، بل أن يركز الانتباه على الأمة والمملكة اليهودية كشيء ضروري لمجيء الملك الإلهي المقدس، الرب يسوع المسيح. إن وجود ملوك الأمم وسرد القصص عنهم في الكتاب المقدس، لم يرد إلا كشيء عابر، لصلتهم بإسرائيل.

يقدم لنا دكتور ر.ك هاريسون في مؤلفه المثير والمفيد «تاريخ عصور العهد القديم» مادة شيِّقة، موثَّقة عن طريق المصادر الأركيولوجية، عن قيام وامتداد الأسرات والملوك في العصورالقديمة. إن بلاد ما بين النهرين، تلك الرقعة الخصبة من الأرض فيما بين نهري دجلة والفرات، شمال غرب بابل وجنوب غرب أشور، شهدت تطور النشاط البشري. إن دكتور هاريسون يقدم سرداً للأسرات، قبل وبعد الطوفان، وهي دراسة جذابة خارج نطاق دراستنا الحالية، إن رقعة الأرض المعروفة باسم بلاد ما بين النهرين، احتلها البابليون والماديون والفرس على التعاقب. وبعد معركة إيسوس ٣٣٣ ق.م حكمها المقدونيون، وفي سنة

١٦٣م بسط الرومان نفوذهم عليها، وفي سنة ٣٦٣ خضعت لحكم الفرس، وفي سنة ٩٠٢ خضعت للقرمانيين، وفي سنة ١٥١٤ بسط الأتراك نفوذهم عليها.

كان أول ملك في الكتاب المقدس هو نمرود (تك ١٠:٨-١٠، انظر ما كُتب تحت هذا الاسم) المؤسس المعروف للإمبراطورية البابلية. ويذكِّرنا النبي إشعياء أن الرؤساء (الأمراء) المصريين كانوا يفتخرون بانتسابهم للملوك القدماء (إش ١٩:١١). وكان للكنعانيين والفلسطينيين ملوك يرجع تاريخهم لعصر إبراهيم (تك ١٤:٢، ٢٠:٢). وكان الأدوميون على صلة بإسرائيل (تك ٣٦:٣١)، وكان للموآبيين والمديانيين ملوك أقدم من ملوك إسرائيل (عد ٢٢:٤،٣١:٨).

ويبدو أن الملوك الذين كانوا قبل ملوك إسرائيل، كانوا مستبدين وظالمين، كما نرى في قتل فرعون للأطفال الذكور من اليهود، والعبودية القاسية التي فرضها على الشعب اليهودي. إن بناء المدن الكبيرة وبعض المباني الضخمة مثل الأهرامات، أحد عجائب الدنيا قد تم عن طريق استخدام السخرة.

وكون الملوك والحروب مرتبطين معاً ثابت من الأصحاح الذي يتحدث عن الملوك القدامى وقصة أول حرب (تك ١٤). وكان أول البشر الذين شنوا حرباً هم الملوك (١٤:١،٢)، إن شهوة الحكم سمة مميزة للحكام (يع ٤:١). فعدد قليل من البشر «جدير بالسلطة».لقد أدى استخدام السلطة لأغراض أنانية، أن سُطِّرت أسود صفحات التاريخ البشري. كتب كاوبر Cowper قائلاً:

«ولكن الحرب لعبة، لو كان الرعايا حكماء،
لما لعبها الملوك»

إن الأصحاح المذكور سابقاً (تك ١٤) يقدم لنا تحالف فريقين من الملوك - أربع ملوك ضد خمسة، وانتصار الفريق الأقل عدداً. فالله ليس دائماً في جانب الأغلبية. دعنا أولاً نلقي نظرة على القوات المتحدة بقيادة ملك عيلام. تظهر ألواح أشور أن عيلام قد هزم بابل وتغلَّب عليها.

١- أمْرافل، ملك شنعار

مع أن أمرافل كان ملكاً مستعبِداً. إلا إن اسمه ورد أولاً. واسمه أكادي، وقد يعني «دائرة القلائل». وكثير من علماء الأشوريات يقولون إن أمرافل هو حمورابي، وهو واحد من أعظم وأشهر ملوك بابل القدامي - وقد كان معاصراً لإبراهيم في حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م، ويؤكد دكتور ر.ك هاريسون أن أمرافل، ملك شنعار، هو حمورابي ملك بابل.

في سنة ١٩٠٢، تم التوصل لأهم الاكتشافات الأركيولوچية بالتنقيب في آثار سوسة عن حجر حمورابي الموجود الآن في متحف اللوفر. وهو الحجر المطلي جيداً والشديد الصلابة من صخور الديوريت السوداء، والذي يبلغ ارتفاعه ٨ أقدام، يحمل الكتابة المسمارية باللغة البابلية السامية، ويمثل القوانين المستقاة من إله الشمس شماك Shamach وكانت القوانين المكتوبة قبل أن يتلقى موسى الناموس بـ ٨٠٠ سنة تدعى «أحكام الأبرار»، وكانت عبارة شنعار، التي كان يحكمها أمرافل، مكتوبة بنقش مسماري باسم سومر.

٢- أريوك، ملك الأسار

هناك اسطوانة بابلية تتحدث عن أريوك باسم إرياكو «خادم الإله الشمس» وتعلن أن أمه كانت أخت كدرلعومر. والإسار هو الاسم القديم لسنقرع، والتي يمكن رؤية ألواحها القديمة في المتحف البريطاني.

٣- كدرلعومر، ملك عيلام

أحياناً يطلق على هذا السيد العيلامي اسم كدرلاجامار

KUDUR-LAGAMER الموجود في نقوش مسمارية - اسم لخادم إله بابلي يحمل نفس الاسم.

٤ - تدعال، ملك الأمم

تتحدث الطبعة السورية عن تدعال تحت اسم «ترجيل ملك جيلا» وتعطينا الـ R.V الكلمة جُوبيم بدلاً من «الأمم» يقول اليكوت: إن هذا اسم علم، وتهجئته هي جولويم في النقوش، ويمثل كل رقعة الأرض الممتدة من نهر دجلة إلى الحدود الشرقية لمادي بما فيها المنطقة المعروفة فيما بعد باسم أشور.

ثم نجد أن الملوك الخمسة اجتمعوا متعاهدين أي اتحدوا اتحاداً كونفيدرالياً للقضاء على الملوك الأربعة السابق ذكرهم. في ذلك الوقت كانت فلسطين من ممتلكات مصر، وكانت أسرة امنحوتب تفرض سيطرتها.

بارع، ملك سدرم

برشاع، ملك عمورة

شنآب، ملك أدْمة

شميئبر، ملك صبوييم

وآخر ملك غير مذكور اسمه، ويشار إليه

بملك، بالع أو صوغر

هزم الملوك الأربعة الخمسة ملوك في «وادي السديم» الذي كان «فيه آبار حمر كثيرة» (تك ١٤:١٠). هذه الآبار المليئة بالحمر والتي كانت تميز شواطيء البحر الميت، أصبحت قبوراً للملوك الخمسة. وتم الاستيلاء على جميع معدات القتال والإمدادات.

واجتمعت بقية من الجيوش فقط معاً، وهربت إلى الجبال، ودخل الجيش المنتصر سدوم أخذ لوط أسيراً (١٤:١٢)، ولكن بسبب رحمة الله تم إنقاذه على يد إبراهيم الذي نسب الملك ملكي صادق انتصاره «لله العلي». وبفضل عدد قليل من المقاتلين المدربين جيداً والذين يبلغون ٣١٨ فرداً، شن إبراهيم هجوماً في منتصف الليل، واستعاد الغنيمة التي كان قد استولى عليها الملوك الأربعة. وقد كتبنا في مواضع أخرى عن ملك ساليم الشهير المذكور في أصحاح الملوك الذين أمامنا.

الفصل الثاني

أشور والملوك الأشوريون ١٤٥٦ - ٦١٥ ق.م

الاسم أشور كلمة يونانية تُنسب إلى أشور الذي بنى عاصمتها الأصلية القديمة، نينوي. والبلد كان يمتد من بابل شمالاً إلى الجبال الكردية، وفي بعض الأحيان كانت تضم الأقليم غرب نهر الفرات ونهر خابور. وكانت كل المنطقة معروفة لأهل بابل الأولين باسم (سبارتو Subrtu). ومع أن تاريخ بابل وتاريخ أشور يبدوان متداخلين معاً منذ أقدم العصور، وكانت أشور تابعة لبابل ذات مرة، إلا أن العهد القديم لم يخلط بين أشور وبابل كما فعل هيرودوت والكُتَّاب الآخرون القدامى.

الإمبراطورية الأشورية

وعلى الرغم أن المصريين كانوا من نسل حام، إلا أن الأشوريين كانوا من نسل سام. لا أحد يعرف بالضبط متى أصبحت أشور إمبراطورية، والأمر لا يتعدى مجرد تخمينات. يزعم بعضهم أنها تأسست حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م على يد محتلين من بابل ومنذ عصر موسى حتى عصر سليمان لا يوجد ذكر في الكتاب المقدس لملوك مصر.

وفي حوالى سنة ١٣٠٠ ق.م كسر (شلمنآصر) وابنه (توكولتي ماس) نير بابل وحكم كل وادي الفرات، وبعد فترة وجيزة انهارت أشور. ثم جاء تغلث فلاسر الأول، في حوالي ١١٢٠ - ١١٠٠ ق.م، أي في حوالي عصر صموئيل، واستعاد أمجاد أشور كمملكة عظيمة. ثم تبع ذلك فترة أخرى من الانهيار، أصبحت إسرائيل خلالها مملكة. وبعد ذلك، تم إحياء أشور كإمبراطورية عالمية وشهدت حقبة مزدهرة تبلغ ٣٠٠ سنة.

أول إشارة عن مملكة أشور منذ أيام نمرود الذي كوَّن مملكة هناك (تك ١٠:١١) موجودة في ٢ مل ١٥:١٩ . ويبدأ التاريخ الأشوري برؤساء كهنة، "Patesis" أشور، وأقدم الأسماء المعروفة لدينا أوسبين "Auspin" وكيكيا "Kikia" اللذان يحملان أسماء متباينة. وطبقاً لآسر حدون، تأسست المملكة على يد بلباني "Belbani" ابن أداسي "Adasi" الذي جعل نفسه مستقلا أولاً، ومع ذلك فهدد نيراري ينسب تأسيسها

لزوليلي "Zulili" يبدو أن أشور كان لها خمس أسرات تمتد من حوالى ١٤٥٠ - ٦١٥ ق.م، وهي فترة تبلغ ٨٣٥ سنة. وارتباط الكتاب المقدس بأشور يبدأ بشلمناصر الثاني من الأسرة الثالثة، ويشمل كل من ملوك الأسرة الرابعة وأربعة من الملوك الخمسة في الأسرة الخامسة. كانت أشور مملكة حربية، وكان الملك هو قائد الجيش، الذي كان يضم أغلبية السكان الذكور، وكانت قوة جيش أشور المكتمل العدة والعتاد تثير الرعب في غرب أسيا (إش ٥:١٤، نا ٢:١١،١٣،١٣:١-٤).

وقد بدأت الإمبراطورية الأشورية تتدهور في حوالي ٦٢٥ ق.م وسقطت في سنة ٦٠٦ ق.م. عندما استولى عليها الماديون، وبسقوطها انتهت سلطة أشور إلى الأبد، وفي حوالي ٦٣٥ ق.م تنبأ ناحوم بسقوط تلك المدينة التي تابت بمنادة يونان قبل ١٨٠ سنة مضت. يذكّرنا دين ستانلي أن «إمبراطورية أشور اختفت من على ظهر الأرض فجأة وبلا ضوضاء حتى أن سقوطها لم نعرفه إلا من خلال المجد الزائل لقصور آخر ملك لها، وعن طريق صيحة الابتهاج بدمارها على لسان النبي الإسرائيلي ناحوم».

من الناحية الدينية كان الأشوريون وثنيين يختلفون عن الوثنيين البابليين من ناحيتين:

١- كان الملك، وليس رئيس الكهنة، هو صاحب أعلى منصب.

٢- كان الرئيس الديني هو الإله القومي لأشور، والذي كان رئيس كهنته والممثل له هو الملك. وفي الأصل كان أسر "Asir" قائداً في الحرب، ومصوَّراً كإله محارب مسلَّح بقوس، والذي كان يُعرف بأنه إله الشمس وذلك في العصر الذي أصبحت فيه عبادة الشمس شائعة في بابل. إن التشابه في الاسم كان سببًا في أن اسمه يطلق على مدينة أشور، حيث كان يُعبد. وفيما يتعلق بالديانة فقد كان الأشوريون غير متسامحين ومتشددين.

كان الأشوريون يتصفون بأنهم قساة، ويتسمون بالعنف في الحرب، وكان حكمهم للناس يتسم بالقسوة والغلظة، يقول هـ.هـ هالي عنهم «إنهم كانوا محاربين ماهرين، يشنون غارات مستمرة» ويقول عنهم أيضاً «لقد بنوا دولتهم عن طريق نهب الشعوب الأخرى، وكانوا يسلخون جلود سباياهم وهم أحياء أو يقطعون أياديهم وأقدامهم وأنوفهم وآذانهم ويقلعون أعينهم، وينزعون ألسنتهم، وكانوا يكومون الجماجم البشرية لبث الرعب».

كشفت النقوش البارزة في نينوي أن الأشوريين كانوا يتميزون بكثرة المباني الحجرية وفي النحت الفني في التفاصيل وجمال الصنعة. وتفوَّق الأشوريون أيضاً في أعمال تشكيل البرونز، وقد اكتُشفت مشاهد بارزة على أبواب برونزية في بالاوات "Balawat" وقد اشتهروا أيضاً بالمشغولات الذهبية والفضية والعاجية والزجاجية والخشبية. كانت نينوي عاصمة أشور، تدل في امتدادها الشاسع وسكانها على روعة وقوة ملوكها.

كانت أشور وثيقة الصلة بإسرائيل، كما تكشف دراسة في تاريخ العهد القديم. وأصبحت أشور مكاناً لسبي أفرايم أو العشرة أسباط الذي استعبدوا، إلا أن التساؤل عن من هم وأين هم الآن، فهذا مالا يمكن التأكد منه على الرغم من إدعاءات علماء الإسرائيليات البريطانيين. قامت أشور بتدمير مملكة إسرائيل في سنة ٧٢١ ق.م، وقد فرضت جزية على يهوذا. وعلى القاريء أن يرجع لشواهد عديدة مثل (٢مل ١٥:٢٩، ١٧:٦،٢٤،١٨:١٣-١٩،١٩:٣٦،إش ١٠:٥-٣٢،٢٠:١،٣٦،٣٧،٣٨).

استخدم الله أشور كعصا في يده لتأديب شعبه العاصي المرتد (إش ١٠:٥-٣٤). والأشوريون والمصريون

الذين كانوا في الماضي يكرهون بعضهم بعضاً بشدة وقد جاهدوا قديماً للسيطرة على العالم على حساب تدمير كل طرف للآخر، سوف يتحدون معاً ويدفنون إلى الأبد عداواتهم القديمة وشكوكهم، لأن الله سوف يوحِّدهم ويباركهم ليكونوا في خدمة شعبه، كما أن المعارك القديمة بين أشور ومصر (دا ١١) لأجل احتلال فلسطين سوف تندمل جروحها الغائرة. وفلسطين الواقعة بين الاثنين سوف تكون أرضاً مباركة ومثالاً يُحتذى به للدولتين.

وإذا نأتي لتأمل ملوك أشور أنفسهم، فإنه يجب أن يقال أنه من المستحيل أن نقدم قائمة كاملة وصحيحة بهذا الشكل، فلا تزال هناك فجوات واسعة في كل من التاريخ الأشوري والبابلي. ولكن استمرار الاكتشافات تملأ هذه الفجوات. قدمت «أخبار بابل» القديمة أسماء وطول مدة حكم ملوك أشور وبابل وعيلام من ٧٧٤-٦٦٨ ق.م. ويختلف المفسِّرون في عدد وأسماء وترتيب عدد كبير من ملوك أشور المعروفين.

ويبرز هاستنجز في «قاموس الكتاب المقدس» أكثر من ٦٠ منهم، بدءاً من أداسي "Adasi" سنة ١٧٢٥ ق.م. ويبدأ فاوست في «دائرة معارف الكتاب المقدس» قائمته بـ «بيل - سوميلي - كابي Bel-Sumili-Kapi» من حوالى ١٧٠٠ ق.م مع الإشارة أن لوحة بأنساب الملوك تدعوه مؤسس المملكة، وكتب هاستنجز مقالة توضيحية عن «التاريخ المتزامن» والتي رتبت فيها الأسرات البابلية والأشورية في أعمدة طبقًا لوجودهم في زمن معاصر لبعضهم البعض.

وفي المذكرات الموجزة التالية، تعاملنا تقريباً مع ملوك أشور الذين لهم ارتباط بالكتاب المقدس، وللحصول على معلومات عن الآخرين، نشير على القارىء بقراءة الكتب الدراسية السابقة.

أشور باليد ١٤٠٠ ق.م

هذا الملك من أقدم ملوك أشور الذي زوج ابنته لملك بابلي، وبذلك أعطى ذريعة للتدخل في شئون بابل، وعندما قُتل زوج ابنته، ذهب أشور باليد إلى بابل وأجلس حفيده على العرش. وبعد أن أخذت بابل في التدهور، أضطرت أن تحمي نفسها من القوة المتزايدة لأشور، وكوَّنت تحالفاً مع بلاد ما بين النهرين ومصر.

شلمنآسر (شلمناصر) الأول ١٣٠٠ ق.م

شلمنآصر هو اسم لعديدين من ملوك أشور، وربما يكون الاسم مشتقاً من شلمان (هو ١٠:١٤)، كرَّس هذا الملك جهوده لإضعاف قوة الحيثيين التي كانت قد نجحت في احتواء بابل والاتحاد معها، نجح شلمنآصر في قطع الروابط بين بابل والحيثيين وعن طريق العديد من الحملات أضعف إمبراطورية الحيثيين.

توكولتي - ماس

حصل ابن شلمنآصر وخليفته على ثمار أعمال أبيه. فمع القضاء على قوة الحيثيين، استطاعت مملكة أشور أن تحصل على الحرية في سحق بابل، فتم الاستيلاء على بابل، العاصمة، وظل توكولتي - ماس لمدة سبع سنوات سيداً على كل الأرض التي يرويها نهرا دجلة والفرات. ومع ذلك فقد استطاعت ثورة ناجحة أن تطرد الإمبراطور الأشوري إلى أشور، وعندما قُتل على يد ابنه، رأى البابليون في موته عقاباً للأشوريين من إلههم بل مردوخ.

بل - قدور - أزور

هذا الملك الأشوري فقد حياته في معركة ضد

البابليين، وبموته اعتلت أسرة جديدة عرش أشور (لمزيد من التفاصيل فيما يتعلق بملوك أشور الذين لا يظهرون في تاريخ الكتاب المقدس، ننصح القارىء بقراءة مقالة هاستنجز المذكورة سابقاً).

تغلث فلاسر الأول ١١٢٠ ق.م

إذ كان مشهوراً بنجاحه في امتداد الإمبراطورية الأشورية غرباً حتى كبدوكية، فإن هذا الملك الذي كان أول من حمل اسماً مألوفاً، وصل حتى البحر المتوسط وتلقّى هدايا من ملك مصر، وفي أشور غرس بستاناً وضع فيه الأشجار من المناطق التي فتحها. وبموته تدهورت قوة أشور. فسقطت فتور (فتور عد ٢٢:٥) في أيدي الآراميين.

أشور نازربال الثاني (الثالث) أشورناصربال ٨٨٤-٨٦٠ ق.م

تحت قيادة هذا الملك أصبحت القوة الحربية لأشور رعباً للأمم المجاورة، كان أشورناصربال رجل حرب وإنساناً قاسياً وكان يفتخر بقسوته، يستشهد (ر.ج فاينجان) في «نور من الشرق القديم» بهذا النقش المسماري المكتشف عن بربرية هذا الملك إذ يقول:

«بنيت عموداً مقابل باب المدينة، وسلخت جلود كل القادة الذين ثاروا، وغطيت العمود بالجلود، ووضعت بعضهم داخل العمود، وغرست العصي في بعضهم لأثبّتهم على العمود، وربطت البعض الآخر على قضبان حديدية حول العمود».

لقد حول أشورناصربال الأمة الأشورية إلى أفضل آلة حربية في العالم القديم. وقد تم إحياء الإمبراطورية تحت قيادته، وأعاد بناء كالح وأسس مقراً للحكومة في نينوي، حيث بني لنفسه قصراً. واضطر الحيثيون أن يقدموا له فروض الطاعة والولاء، وفرض الجزية على الفينيقيين، وهو الذي فتح الطريق إلى الغرب أمام التجار الأشوريين.

شلمنآصر الثاني (الثالث)

مع أن شلمنآصر ابناً وخليفة لأشورناصربال، إلا أنه لم يكن قانعاً كأبيه بمجرد شن الغارات للاستيلاء على الغنائم. لقد حاول جاهداً أن ينظم ويدير دفة الأمور في الدول التي أخضعتها جيوشه، وكان أول ملك أشوري يدخل في صراع مع إسرائيل. حاربه كلا من بنهدد وآخاب وهُزموا. والملوك الذين هزمهم كياهو، اضطروا للاعتراف بسيادته (١مل ١٩:١٥-١٧، ٢٠:٣٤، ٢٢:١-٣، ٢مل ٨:٧-١٥، ٩:١-٥). إن سجلات هذا الملك الذي حكم لمدة ٣٥ سنة يمكن مشاهدتها في المتحف البريطاني.

ولم يُذكر سوى القليل في التاريخ الأشوري عن الحكام الآتية اسماؤهم:

شمس - أداد ٨٢٥ - ٨٠٨ ق.م
ساماس - رامون الرابع ٨٢٤ - ٨١٢ ق.م

قمع الأخير الثورة التي ظلت مشتعلة تحت الرماد منذ وقت الاستيلاء على نينوي، وكانت حملته الرئيسية ضد مادي.

هداد - نيريري ٨١١ - ٧٨٣ ق.م

كان هذا ابن ساماس رامون، الذي زارة يونان عندما ذهب إلى نينوي (يون ٣:٦) زعم هداد - نيريري أنه أخضع كل سوريا بما فيها فينيقيا وأدوم وفلسطين، وأنه أخذ مارياس ملك دمشق أسيراً في مدينته، وفرض جزية أيضاً على إسرائيل.

أعقب هذه الفترة ملكان أو ثلاثة ملوك ضعاف

شلمنآصر (الثالث) ٧٨٣ - ٧٧١ ق.م

أشور دايا أو أشور دان الثالث ٧٧١ - ٧٥٣ ق.م

أشور لوش أو آشورنيراري ٧٥٣ - ٧٤٧ ق.م

تغلث فلاسر الثالث (الرابع) ٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م

كان هذا اسم ضابط حربي أصبح ملكاً لأشور. واسمه البابلي كان فُول - فقد كان لعدة سنين أيضاً ملك بابل - (٢مل ١٥: ١٩-٢٩، ١٦: ١٠-١٦، ١ أخ ٥: ٢٦، ٢أخ ٢٨: ١٩-٢١، إش ٧: ١-٩، عا ٧: ١-٣). تدهورت حالة أشور مرة أخرى، وأنقذتها ثورة فول أو فولو الناجحة. وإذ وضع حداً لملوك العهد القديم، اتخذ لنفسه اسم تغلث فلاسر، وأسس الإمبراطورية الأشورية الثانية، جاعلاً من أشور القوة المسيطرة في أسيا، وأعاد تنظيم جيشه وجعله قوة لا تقاوم، وأدخل نظاماً إدارياً جديداً. أصبحت نينوي مركز الإمبراطورية، وكانت تحكم عن طريق هيئة بيروقراطية يترأسها الملك.

يقول دكتور چون أدامز في كتابه عن «الأنبياء الصغار»: «إن العيب الرئيسي في الإمبراطورية الأشورية الأولى كما يُري في فترات النشاط المتغيرة والتدهور، كان يوجد في عدم التماسك والدوام، فطالما كانت تستمتع بالعبقرية الخلاقة والشخصية الطاغية لفاتح عظيم، كانت جيوشها تضرب في جميع الاتجاهات لتسيطر على الأمم البنيان الذي أقامه ينهار ويتحطم إلى قطع متناثرة، وكان لابد من تكرار عملية الغزو كاملة مرة ثانية حالما يجلس على العرش خليفة جدير بأن تتجسد فيه آمال الأمة. وحتى في عهد الإمبراطورية الثانية، التي دامت منذ وصول تغلث فلاسر الثالث إلى مدة الحكم حتى سقوط نينوي في سنة ٦٠٦ ق.م، لم يكن هذا العيب الخطير في البنيان السياسي قد تم التغلب عليه تمامًا.

وفي حين أن أشياء كثيرة تُنسب إلى تغلث فلاسر هي مجرد تخمينات، بسبب الحالة المزرية لحولياته، إلا أننا نعرف على وجه اليقين أنه ضم شعوب غرب آسيا في إمبراطورية واحدة متماسكة عن طريق القوة الحربية والقوانين المالية. كانت فتوحاته عديدة وقام بتأمين التجارة العالمية أمام تجار نينوي. وقد غزا إسرائيل وأخذ سكان الجليل إلى السبي، كان منحيم يدفع له الجزية، وكان آحاز يرشوه ليساعده.

ذكر تغلث فلاسر خمسة ملوك ليهوذا وإسرائيل في النقوش الأشورية - عزاريش ومنحيم ورصين وفقح وآحاز وهوشع.

شلمنآصر الرابع (الخامس) ٧٢٧ - ٨٢٢ ق.م

لدينا القليل من المعلومات عن حياة وأعمال هذا المغامر الحربي الذي كان اسمه الأصلي أولولا. لقد حاصر السامرة ولكنه لم يستول عليها. ومات أو قتل أثناء هذه المحاولة. وشلمناصر هذا أوثق هوشع في السجن لمدة ثلاث سنوات (٢مل ١٧: ٣) لعدم استمراره في دفع الجزية لأشور ولتحالفه سراً مع مصر.

مردوخ بلادان ٧٢٢ - ٧٠٢ ق.م

على الرغم أن هذا الملك من الدولة الكلدانية في بابل ينتمي بالفعل للقسم التابع لملوك بابل، إلا أننا ندرج اسمه هنا، لأننا نراه تابعاً لتغلث فلاسر الثالث، ولأن اسمه ظاهر في النقوش الأشورية لسرجون باعتباره قد تمرَّد عليه، وأقام مملكة مستقلة. والنقوش تقول إن سرجون طرد مردوخ بلادان من بابل بعد أن حكم هناك لمدة ١٢ سنة.

إن ابن بلادان هذا جعل نفسه سيداً على بابل، وكان يجد مساندة من عيلام. هاجم سرجون العيلاميين دون

تحقيق نتيجة كبرى، وفيما بعد، نجح سرجون في التغلب على مردوخ بلادان الذي أخضع لملك أشور، وبعد ذلك عاد إلى العرش لمدة تسعة شهور فقط، ثم طُرد على يد سنحاريب. استطاع مردوخ بلادان أن يهرب عن طريق البحر إلى الجزر الواقعة في شمال نهر الفرات» ويبدو أنه تم القضاء على كل عائلته، وقد حكم عليه هو نفسه بالموت على يد بعليب، إن مردوخ بلادان هو الذي أرسل رسلاً إلى أورشليم لتهنئة حزقيا بشفائه من مرضه، وأرسل له هدايا، ولكن كان هدفه الحقيقي من وراء ذلك أن يضمن وقوف حزقيا معه كحليف ضد أشور، وقد وبخ إشعياء حزقيا لأنه عرض على الرسل الأشوريين كل ذخائره، وتنبأ بالإطاحة بيهوذا (إش ٣٩، ٢مل ٢٠:١٢-٢١، ٢أخ ٣٢:٣١).

سرجون الثاني ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م

إن سرجون الذي كان في الأصل قائداً كبيراً في جيش أشور، وحكم لمدة ١٧ سنة، ارتقى بأشور ووصل بها إلى قمة المجد. وقد قضى أفضل فترة من حكمه في محاربة تحالف دول الشمال ضد أشور، وبعد اعتلائه العرش، استولى سرجون على السامرة، ودمرها تماماً وأخذ ٢٧,٢٩٠ أسيراً من سكانها. ومازال فخره بذلك موجوداً في حوليات «كورزباد».

«حاصرت السامرة واستوليت عليها، وحملت ٢٧,٢٩٠ من شعبها الساكنين فيها. وجمعت منهم ٢٠ مركبة».

قضى سرجون على مملكة الشمال، إسرائيل، في ٧٢٢ - ٧٢١ ق.م إن هذا المحارب والبنَّاء هزم أيضاً سو ملك مصر في معركة راجياً. ويمكن جمع حقائق عن غزواته من الألواح واللفائف. وقوالب الطوب والجرار في المتحف البريطاني، وأيضاً من الآثار الموجودة في متحف اللوفر بفرنسا قُتل سرجون في سنة ٧٠٥ ق.م . إن ذكر «ملك أشور» (٢مل ١٧:٣-٦) أربع مرات ينطبق على سرجون.

سنحاريب ٧٠٥ - ٦٨١ ق.م

كان سنحاريب ابن وخليفة سرجون الثاني، ووالد آسرحدون أول ملك أشوري أول ملك أشوري يجعل نينوي مركزاً لحكمه. ومع إنه حاول جاهداً أن يستمر في التوسع غرباً لمد إمبراطوريته، إلا أنه لم يكن القائد القوي كوالده. فقد كان على النقيض، ضعيفاً، إذ كانت تعوزه المهارة الحربية والمقدرة الإدارية التي لسرجون. كانت بابل في حالة من الثورة الدائمة بسبب سياساته وحكمه. وبالرغم من ذلك، فقد سوى مدينة بابل المقدسة بالأرض في سنة ٦٨٩ ق.م

لم يكن أول هجوم له على الملك حزقيا ناجحاً، وفي الهجوم الثاني كان أكثر نجاحاً، واضطر حزقيا لدفع الجزية له. وقد قُتل على يد ولديه (٢مل ١٨:١٣-١٧، إش ٣٧:٣٣-٣٧، نا ٣:٣، ١٤، مز ١٢٤:٧،٨). إن سجلات سنحاريب موجودة في النقوش البارزة والأسطوانات في المتحف البريطاني.

آسرحدون ٦٨١ - ٦٦٨ ق.م

إن آسرحدون المشار إليه باعتباره «أكفأ ملوك أشور» اعتلى العرش بعد أن أقدم إثنان من إخوته على قتل أبيهم في العشرين من شهر طيبت (الشهر العاشر في السنة العبرية) (٢مل ١٩:٣٧). وعلى النقيض من أبيه الضعيف، كان آسرحدون متميزاً كقائد عسكري وإداري، وقد وصلت الإمبراطورية الثانية تحت قيادته إلى أوج القوة والرخاء، أعاد بناء بابل جاعلاً إياها العاصمة الثانية لإمبراطوريته.

كان الملك منسي يدفع الجزية لآسرحدون، الذي أخذه فيما بعد أسيراً، ولكنه أطلق سراحه وفتح فلسطين ووضع

حكاماً أشوريين في مصر، والذين عارضوا بناءه لهيكل آخر أخذوا إلى السامرة. مات وهو في طريقه لإخماد ثورة في مصر التي كان قد فتحها. دام حكمه ١٣ سنة (٢مل ١٩:٣٧، ٢١:١٣،١٤، ٢أخ ٣٣:١١، عز ٤:٢،٩).

جاء حكم الملك شماشوم أوكين (٦٦٨-٦٤٧) بين آسرحدون وأشور بانيبال والذي ليس لدينا سجلات كافية عنه.

أشور بانيبال ٦٤٧ - ٦٢٦ ق.م

إن أشور بانيبال إبن وخليفة آسرحدون، والذي كان اسمه اليوناني (ساردانسبالوس Sardanspalus)، ومن المرجح أن يكون هو أسنفّر المذكور في (عز ٤:١٠)، كان أكثر ملوك أشور تعليماً، كان آخر ملوك أشور العظماء، التي من المرجح أنها سقطت في سنة ٦٠٦ ق.م. وإذا كان الحاكم الفعلي لبابل لأكثر من ٤٠ سنة، فإن حكمه في أشور دام ٢٢ سنة، وقد أصبح أخوه سماشوم أوكين، نائباً له في بابل، ولكن عندما عم التذمر في كل أنحاء الجزء الأعظم من إمبراطورية أشور، وكان يشعر بذنبه في إحداث الثورة، قام هذا النائب بحرق نفسه حتى الموت في حطام قصره.

كان أشور بانيبال راعياً سخياً للتعليم، وقد زوَّد مكتبة نينوي الشهيرة بالكثير من الأموال، وقد بنى قصراً عظيماً هناك، واهتماماته الثقافية جعلته يشتهر بأنه أوصل الفن لذروته في أشور، هذا هو الملك الذي جعل الملك منسى مع ٢١ ملك آخر يدفعون الجزية له ويقبِّلون قدميه. كانت فتوحاته كثيرة، ولكنه توقف لكي يستريح. سادت الرفاهية المفرطة كل أرجاء القصر، وكان الملك يدير حملاته العسكرية من خلال قواده، بينما ظل هو مستريحاً في القصر، ومع ذلك فالحروب المستمرة جعلت خزانة أشور ينضب معينها، ومع نقص عدد المقاتلين، لم تستطع الأمة مقاومة هجوم الكمريين عليها. وبموت أشور نابيبال حوالي ٦٣٠ ق.م ذبلت إمبراطورية أشور، وأكدت بابل استقلالها، حيث استولى عليها بنولاسر ودُمِّرت نينوي تماماً واندثر موقعها، وفي وقت كورش، كانت أشور، العاصمة القديمة لإمبراطورية أشور، لا تزال قائمة، ولكن كمدينة إقليمية صغيرة (٢مل ٢١:٢، ٢أخ ٣٣، عز ٤:٢، ٩،١٠)، أعقب أشور بانيبال ملكان غير جديرين بالاهتمام - ابنه أشور إتيل ايتانيا وسنسار إسكوم.

وحيث إنه من المرجح أن سوريا مشتقة من كلمة أشور، فيمكن أن نشير عند هذه النقطة لملوك سوريا. يقول هيرودوت إن «السوريين» والأشوريين» كانوا المسمى اليوناني والهمجي لنفس الشعب، والكلمة العبرية لسوريا هي أرام، وهي تشير إلى أرام النهرين (تك ٢٤:١٠)، أي أرام التي ما بين النهرين في بلاد ما بين النهرين، وجزء منها فدان أرام. إن لابان، الذي كان يعيش هناك يُدعى الأرامي أو السوري. وكان يسكنها في الأصل الحمويون أو الحيثيون، وهو العنصر السامي المتمثِّل في شخصيات إبراهيم وكدرلعومر وأمرافل.

وفي العصور القديمة، كانت سوريا مقسمة بين حكام كثيرين يلقبُّون بالملوك - مثل دمشق ورحوب ومعكة وصوبة وحشور (انظر عد ٢١:١٣، قض ٢٨:١٨). وهناك إشارات «لملوك سوريا» و«ملوك الحيثيين» (١مل ٢٩:١٠، ٢مل ٦:٧).

قاتل يشوع رؤساء لبنان وحرمون (يش ١١:٢-١٨) وهزم داود هدد عزر ملك صوبة، وجعل صوبة ورحوب ومعكة مستعبدة له (٢صم ١٠). وفي أيام حكم بعشا وآسا، كانت سوريا حليفة لكل من إسرائيل ويهوذا (١مل ١٥:١٨). كانت دمشق وإسرائيل في حروب

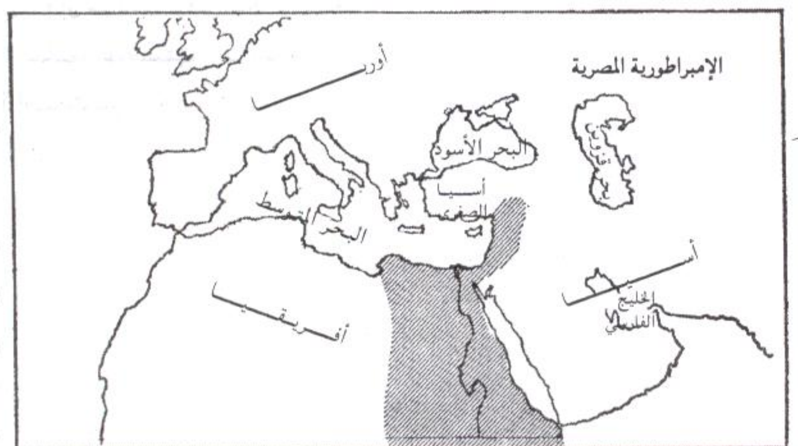
مستمرة (إش ٧).

تزوج الملك داود معكة بنت تلماي، ملك جشور، وأصبحت أماً لأبشالوم الذي هرب بعد ذلك إلى جشور حيث قضى ثلاث سنوات في المنفى (٢ صم ٣:٣، ١٣:١٨). وارتبط الملك آحاز ملك يهوذا أيضاً بسوريا (٢مل ١٦: ١٠)، والتي كانت مكونة من مراكز صغيرة تحكمها ملوك خاصة بها، فحماه كان لها ملك واحد اسمه توعو (٢مل ١٩: ١٣، ١أخ ١٨: ٩)، وكان هناك عدة ملوك مستقلين آخرين مثل بنهدد و٣٢ ملكاً آخر متحالفين معه (١مل ٢٠: ١)، وقد ضم الملوك كل قواتهم للقيام بحملات مشتركة ضد أعدائهم، قام تغلث فلاسر في سنة ٧٣٢ ق.م بإخضاع سوريا واقتسم البلاد بين قواده، وعندما مات الإسكندر الأكبر، فإن خليفته، لوقس نيكاتور، جعل سوريا تترأس مملكة شاسعة عاصمتها أنطاكية في سنة ٣٠٠ ق.م . وأخيراً أصبحت سوريا تحت سيطرة روما.

الفصل الثالث

مصر والملوك المصريون

حققت مصر حضارة عظيمة، وأصبحت مملكة مستقرة قبل أن يرحل إبراهيم من أور الكلدانيين ليذهب إلى أرض كنعان. كانت مصر في أوج مجدها عندما كان العبرانيون مستعبدين هناك، ولكنها كانت قد بدأت تتراجع عندما اعتلى داود وسليمان عرش إسرائيل، وفي الوقت الذي بزغ فيه فجر قوة روما، تراجعت مصر وتدهورت قوتها. وعند بزوغ فجر التاريخ الحديث توارت مصر، ومع ذلك فقد لعبت دوراً كبيراً في شئون العالم (هو ١١:١، مت ١١:١٤، ١٥).



في العصور القديمة كانت مصر تعرف باسم كيميا، أرض حام بن نوح، ربما لأنه كان يعيش هناك، كانت مصر ذات مرة من أعظم وأخصب الدول، وقد فتحت بالتعاقب على يد البابليين والفرس والمقدونيين والرومان والعرب والمماليك. وفي جزيرة فيلة «جزيرة الزهور» كما يدعوها السكان هناك، والتي كانت موقعاً بعيداً عن العاصمة لإقامة السادة الذين حكموا مصر على التوالي - الفراعنة والبطالمة والقياصرة والخلفاء العرب - ففيها آثار تدل على الاحتلال العسكري للبلاد.

يذكرنا (الأسقف تريفورز) أنه - «لا توجد دولتان في العالم تجذبان اهتمام الباحث المسيحي كفلسطين ومصر، أرض الميعاد وبيت العبودية، باب السماء، وصورة العالم الموضوع في الشرير.

وفي العهد القديم، فإنهما مرتبطتان ومتعارضتان في وقت واحد، مثل الكنيسة والعالم تحت الإنجيل، والرمز مستمر في العهد الجديد الذي يستهل بالقول: «من مصر دعوت ابني». فإذا كان دارس الكتاب المقدس يعطي المكانة الأولى في تفسيراته لأرض الناموس والأنبياء، والجبال والوديان التي ردَّدت صدى تسبيحات الهيكل، ومشاهد حياة المخلِّص

والمعجزات التي أجراها وآلام الصليب - فالمكانة الثانية من الطبيعي أن تطالب بها الأمة التي أخرج من وسطها الشعب المختار، «بيد قوية وذراع ممدودة» وهي الأرض التي حمت إسرائيل من المجاعة، كما أنقذت يسوع من السيف.

تبلغ مصر ٦٠٠ ميل طولاً، و٣٠٠ ميل عرضاً، يحدها من الجنوب أثيوبيا ومن الشمال البحر المتوسط ومن الشرق البحر الأحمر ومن الغرب ليبيا (خر ٣:٢٠) كانت مصر القديمة تقوم بالتجارة والصناعة على نطاق واسع. كانت الفنون والمهارات اليدوية والعلوم منتشرة فيها، وقد وصلت لدرجة الإتقان مدداً طويلة من الزمن، تعلم موسى بكل حكمة المصريين (أع ٧:٢٢). وكانت شهيرة أيضاً بخصوبتها التي ساعدها عليها فيضان نهر النيل، كانت الفواكه والخضراوات والأسماك مصادر لثراء عظيم.

ومن الناحية الدينية كانت مصر وثنية، مع أنه في عصر إبراهيم كان الملك وأمراؤه يعرفون الله ويحترمون حق الزواج وكرم الضيافة (تك ١١:١٠-٢٠). وفي عصر يوسف. كان الملك والنبلاء يعترفون بحكمة وصلاح التدبير الإلهي، وكانوا يعاملون الإسرائيليين بإحسان عظيم، ولكن في عصر موسى، أصبح الحكم ظالماً، واستسلم الناس لفنون السحر والشعوذة ولعبادة الوحوش والطيور وقوى الطبيعة. كانت أفخم المعابد تشيد للعجل أبيس. وقد أظهرت الضربات العشر التي لحقت بالمصريين دينونة الله عليهم لعبادتهم لعشرة آلهة وثنية مختلفة. أظهرت ديانة مصر ما يمكن أن يؤول إليه الإنسان الذي يُترك لتسيير شئونه بنفسه.

لقد تأثرت إسرائيل بالوثنية في مصر، وتلقَّت التوبيخ لأنها جعلت مصر مجدها. ولكون مصر رمزاً للقوة، اتكلت إسرائيل على قوة مصر بدلاً من الاتكال على الله. للاضطلاع على نبوات عن مصير مصر عندما كانت في قمة وثنيتها وكبريائها وقوتها، يجب الرجوع للكتاب المقدس في الشواهد الآتية: إش ١٩:٤،١١، خر ٢٩:٣،٦،٣٠:٤،٨،١٣-١٩،٣١،٣٢، يوئيل ٣:١٩،٢٠. ومنذ الغزو الفارسي الثاني، أي ما يزيد على ٢٠٠٠ سنة مضت، لم يملك حاكم وطني مصري، ومع أن البطالمة، خلفاء اليونان، الإسكندر الأكبر، حكموا لمدة ٣٠٠ سنة، ووصلت مصر في عهدهم إلى مرتبة الصدارة برعايتهم للآداب، إلا أنهم كانوا يمثلون سلالة أجنبية.

ومن الجانب الاركيولوچي، فدراسة مصر القديمة مذهلة، وقد صدرت العديد من الكتب الممتعة التي كتبها علماء المصريات، ومن بين آثار الماضي تبرز الأهرامات بالطبع، فهذه المباني الضخمة القديمة لا تزال من عجائب الدنيا، عندما أصدر نابليون «أمره اليومي» الشهير في عشية معركة الأهرام، صاح قائلاً: «أيها الجنود، إن أربعين قرناً تنظر إليكم من فوق!» لقد قيل أن «كل الأشياء تخشى الزمن، ولكن الزمن نفسه يخشى الأهرامات».

وإذ يشعر المرء بالإغراء أن يطيل النظر للأهرامات والمعابد والمسلات والمقابر التي يرقد فيها فراعنة طيبة «في مجد، كل واحد في بيته»، أحث القارىء أن يضطلع على أحدث المؤلفات عن «المصريات» (ما يتعلق بالآثار واللغة والنواحي المصرية القديمة) للمعالجة الكاملة للموضوع، ويمكن أن نشير لمومياء رمسيس الثاني، الذي ربما يكون فرعون الاضطهاد. فبعد ٣٦ قرنًا من الزمان، يمكن للأعين البشرية أن تتأمل ملامح الرجل الذي فتح سوريا وقبرص وأثيوبيا ورفع مصر فوق جناح المجد، وجعل حدودها حيث أراد.

وحيث أن الغرض من هذا الكتاب أن يتعامل فقط مع أولئك الملوك والملكات المذكورين في الكتاب المقدس فهو لا يحاول أن يجمع من خارج المصادر التاريخية. حقائق ونظريات عن كل الملوك المصريين. وللبحث عن أفكار نيرة تتعلق بالأسرات والملوك وعقائد مصر القديمة، نشير إلى الفصل الذي يتعامل في هذا الشأن في كتاب ر.ك هاريسون «تاريخ عصور العهد القديم». ومن بين أكثر الموجزات المفيدة التي عثرنا عليها عن الأسرات المصرية من ٢٧٠٠ ق.م إلى ١٥٢٠ ق.م والأحداث المعاصرة المسجلة على الآثار والأحداث الكتابية الموازية لها، وتلك الموجودة في دائرة معارف فاوست.

الفـــراعنـــة
(تك ١٢: ١٨، ٤١: ٣٨-٤٥، خر ١٤: ٢٨، ٢مل ٢٣: ٢٩ الخ)
الملوك الذين حكموا مصر

بعد أن تأملنا بإيجاز في أرض الفراعنة، نلقي الآن نظرة على صور بعض الملوك الذين ذكرهم الكتاب المقدس، والذين أسهموا في مجد وعظمة مصر.

حوالي ٢٥٠ ق.م كتب كاهن مصري تاريخاً لمصر باللغة اليونانية مرتَّباً تحت ٣١ أسرة مصرية يبدأ من مينا، أول ملك تاريخي، حتى الغزو اليوناني بقيادة الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م. إن الأسرات تعني سلاسل نسب الملوك، والكثير من الجوانب التي يحتوي عليها هذا التاريخ قد ساهمت فيه الاكتشافات الأركيولوجية.

وفيما يختص بهذه الأسرات، فهناك سجلات قليلة عُثر عليها حتى اليوم، فقد تم الكشف عن فراعنة ثلاث أو أربع أسرات فقط عن طريق الآثار والمقابر وأوراق البردي.

حققت دراسة المصريات في السنوات الأخيرة طفرات كبيرة، فقد تمت دراسة لغة البلد جيداً، وتم اكتشاف العديد من الأعمدة والنقوش وفهم الكتابة التي عليها.

يصف دكتور صموئيل مانج في كتابه الشهير «أرض الفراعنة» أروع حدث في التاريخ المصري الحديث، ألا وهو الاكتشاف العالمي الشهير للدير البحري في سنة ١٨٨١

إن مومياوات أغلبية حكام مصر خلال الأسرات الثامنة عشر والتاسعة عشر والحادية والعشرين قد أخرجت من قبورها المفقوده لمدة طويلة، ويستطيع المرء أن ينظر الآن إلى الوجه الحقيقي لفرعون الخروج، وإلى كثير من الملوك المشهورين وملكات التاريخ المصري.

ويذكر دكتورماننج الملوك والملكات الآتية أسماؤهم:

الملك سقرم رع تاكين، أحد سادة التاريخ المصري المبكر، والملكة أنسرا من الأسرة السابعة عشرة، والملكة أحمس نفرتاري، والملك أمينحوتب الأول، وتحتمس الثاني وتحتمس الثالث، ومن الأسرة الثامنة عشرة الرائعة، وسيتي الأول والد رمسيس الثاني، ورمسيس الثاني ورمسيس الثالث من الأسرة التاسعة عشرة.

ومن ملوك الأسرة الحادية والعشرين نيتيم موت وملك الفنتين الأول وملك الفنتين الثاني، ولمزيد من الاضطلاع على الاكتشافات السابقة واكتشافات أخرى حديثة مثل مقبرة الملك توت عنخ آمون الفخمة، نوجه نظر القاريء لأحدث الكتب الأركيولوجية التي تتعامل مع الاكتشافات المصرية. وعلى الرغم من أن موضوع الأسرات القديمة والملوك الذين تعاقبوا موضوع جذاب، إلا أننا سبق أن نوَّهنا أنه ليس في مجال دراستنا التعامل مع هذا الموضوع، ونستطيع أن نقول إن المزيد من الاكتشافات سوف تؤيد «كتاب الحق». إن غرضنا التمييز بين فراعنة

الكتاب المقدس ونسبتهم إلى التاريخين المصري والإسرائيلي، ولدينا بالترتيب سبعة أو ثمانية مذكورين في العهد القديم.

١- الفرعون الذي وبخ إبراهيم على الكذب (تك ١٢:١٨).

٢- الفرعون الذي جعل يوسف يحكم مصر (تك ٤١:٣٨-٤٥).

٣- الفرعون الذي حاول تدمير اليهود، دمر نفسه (خر ١٤:٢٨).

٤- الفرعون الذي تزوجت ابنته سليمان (١مل ٣:١).

٥- الفرعون الذي قدم الحماية لملك أدوم (١مل ١١:١٥)

٦- الفرعون المعروف باسم شيشق (٢ أخ ١٢:٢).

٧- الفرعون نخو المرتبط بيوشيا (٢ مل ٢٣:٢٩).

٨- الفرعون خفرع الذي هاجمه نبيان بسبب خطاياه (إر ٤٤:٣٠، ٤٦:٢).

ومن الضروري أن نذكر أن «فرعون» هو اللقب الشائع لملوك مصر أثناء وجود الإمبراطورية، لقد كان لقباً رسمياً مثل القيصر والشاه أو مثل بطليموس اللقب المُعطى للملوك الذين جاءوا بعد الإسكندر الأكبر. إن يوسيفوس والكُتّاب الآخرين يقدمون كلمة «ملك» ، «أمير» «السيد الأعلى» معنى لهذا اللقب. والكلمة فرعون تدخل في تركيب أسماء مثل «فوطيفار» و«فوطي فارع» ويؤكد عديد من العلماء أن الكلمة Pharah فارع تعني (شمس) التي شبَّه ملوك مصر أنفسهم بها.

الفرعون امينمحت
(تك ١٢:١٤-٢٠) الملك الذي وبَّخ خليل الله

حدث احتكاك إبراهيم بواحد من الملوك الأوائل في تاريخ الكتاب المقدس أثناء وقت رخاء مصر. ومن المرجح أن الفرعون المذكور هنا هو امينمحت، أول ملك في الأسرة الثانية عشرة، والقصة التي أمامنا تحمل شيئاً مخزياً، ألا وهو أنها تسجل ابتعاد إبراهيم عن طريق الطاعة لإرادة الله. لقد اقتيد أبو المؤمنين هذا إلى كنعان، لكنه ذهب بمبادرة خاصة به إلى مصر - وهي خطوة أوصلته إلى الخوف كإنسان، والكذب، ووضع زوجته في ظروف خطرة من الناحية الأخلاقية.

عند ترك إبراهيم لحاران، جعل إبراهيم ساراي توافق على تبنِّي مبدأ الحيطة، بأن تقول إنها أخته. لقد كانت فعلاً أخت إبراهيم - أو على الأقل - أختاً غير شقيقة، على اعتبار أن لكليهما نفس الأب، تارح، ولكن ليس نفس الأم (تك ١٢:١٢، ١٣).

ولكن إبراهيم تصرف تصرفاً خاطئاً لأنه كان بذلك يقصد أن يقول إن ساراي كانت أخته وليست زوجته، إن صراحة الكتاب المقدس تُرى في أنه لا يداري على أخطاء أبطاله.

والكتاب المقدس لا يذكر فقط سقطة القديس بل يوضح أنه سقط من نفس النعمة التي ميزَّته، فقد كان إبراهيم يشتهر بإيمانه، ومع ذلك فمن المحزن أنه كانت تنقصه هذه الفضيلة عندما جاءت به المجاعة المحزنة إلى مصر.

كم كنا نتمنى أن نلقي حجاباً على الظروف التي حدثت في مصر، وأصبحت سبباً في إلقاء اللوم على إبراهيم! وكم يجب أن نتحذَّر بسبب النقص الذي اعترى مثل هذا الشخص الذي كان يتميز بالتقوى والسمو الأخلاقي، ألا وهو المتمثل في خطيئة عدم الإيمان!

إن خليل الله استسلم لخوف متشكك وغير لائق عندما

فكر أنه قد يُسرق وأن يقع هو وزوجته ضحية للعنف.

ولكن محاولة إبراهيم تجنُّب الخطر الوهمي جعلته يسلك الطريق الذي اقتاده بالفعل نحوه، ربما شعر أن ساراي قد تكون ماهرة بالدرجة الكافية التي تجعلها تخلص نفسها من مثل هذا الموقف المحرج. فإذا لم يكن إبراهيم مذنباً بالكذب المباشر، فهو بالتأكيد كان مذنباً بتجنب قول الحقيقة بقوله عن زوجته إنها أخته، إن عدم الصراحة الرخيصة ليس لها ما يبررها على الإطلاق. فكل إنسان يجب أن يتكلم الصدق مع صاحبه.

إن الملاحظات السابقة تأتي للظروف التي أدت إلى احتكاك إبراهيم بفرعون، الذي لاحظ أمراؤه ساراي الجذابة وتكلموا مع الملك عنها. ومع أن ساراي قد تعدي عمرها ٦٠ سنة، إلا أنها كانت محتفظة بالكثير من الجمال الذي كان هو السبب في امتداحها أمام نسل حام الذين لا يتميزون بالجاذبية. وبعد عدة سنوات كان إبراهيم لا يزال خائفاً من تأثير جاذبية زوجته (تك ٢٠:٢).

لأن فرعون كان قد تأثر بسحر ساراي، أخذها إلى بيته بقصد الزواج منها، أليس محزناً أن يعقد إبراهيم اتفاقاً يتضمن احتمال التضحية بعفاف زوجته؟ لقد أنتجت خطيته المخاطرة بأقرب المقربين إليه.

كان سلوك فرعون مستقيماً ومشرفاً. فقد كان يتصرف بناء على التأكيد من أن ساراي يمكن أن تصبح زوجة شرعية له. ولذا فقد كان سلوكه منضبطاً، وقدم لإبراهيم الكثير من الهدايا القيِّمة كالتي تعطي للأقارب عند أخذ ابنة أو أخت لتكون زوجة. ومع ذلك فقد كانت عين الله على ابنيه بالخير، ومع أن إبراهيم وساراي تصرفا تصرفاً محزناً، إلا أن الله قد أعد لهما إنقاذاً بعيداً عن استحقاقهما.

ماهي بالضبط طبيعة الضربات التي ضرب بها فرعون وكل بيته؟ لا يذكر الكتاب شيئاً عن ذلك، لم تكن بالتأكيد شيئاً محزناً لأن فرعون قد تصرف بإيمان، ومهما كانت نوع الضربات، فقد كانت هذه طريقة الله ليمنع فرعون من أن يأخذ زوجة رجل آخر، ولابد أن إبراهيم قد شعر بالتوبيخ بسبب سؤال فرعون : «ما هذا الذي صنعت بي؟»، «لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟».

كم من المحزن عندما يوبِّخ قديس لامع من قبَل شخص عالمي بسبب نقص الإيمان!

إن كرم فرعون وشفقته نراهما في استعداده أن يجعل إبراهيم يأخذ زوجته ويمضي بعيداً، متأكداً أنه لا ضرر يلحق بهما بسبب خداعهما، «أخذها وذهب» - ولابد أن كليهما في حضرة فرعون كانا يشعران بالذلة. فلم يكن لهما ما يجيبان به على توبيخ الملك المستحق، ويالحسرة! فتكرار نفس هذه الخطية (تك ٢٠) يكشف أن إبراهيم لم يشعر بالكثير من التبكيت الذاتي على ما فعله! ونحن نقرأ أن إبراهيم عاد إلى كنعان (١٣:١)، حيث كان قد استمتع سابقاً بالحضور الإلهي، وهناك جدَّد علاقته مع الله غافر الإثم وشافي ارتداد أولاده.

الفرعون - بيبي الثاني
(تك ١:٣٩) الملك الذي أحسن الاختيار

إن قصة يوسف تعد قصة نجاح مثيرة، فمنذ الصغر فإن قصة صعوده من الحفرة إلى قصر فرعون قد خلبت ألبابنا. إن سجله يعد نقلة كبيرة من الأسمال البالية إلى أوج الثراء!

إن الكتاب المقدس والاكتشافات الأركيولوجية تؤكد أن الأسرة الحاكمة في عصر يوسف كانت من أنجح الأسرات في

تاريخ مصر. وهذه الاكتشافات تؤكد أن فرعون الذي ارتبط به يوسف ارتباطاً وثيقاً هو بيبي الثاني، أحد ملوك الهكسوس أو الملوك الرعاة من الأسرة السادسة عشرة.

كلنا نعرف قصة يوسف جيد المعرفة، والذي كان تفسيره لأحلامه الأولى باعثاً على كراهية إخوته له، والذي قال لإخوته إن حزمهم سجدت لحزمته - مما كان يعد نبوءة تدل على منصبه المستقبلي كالرجل التالي لفرعون، والمسئول عن مخازن غلال مصر، وموجز حياته يمكن أن نجده في العبارة القائلة أن كل ما يصنعه ينجح.

عند بيع يوسف كعبد لبيت فوطيفار، سرعان ما كان لشخصية يوسف تأثير كبير على أهل البيت، خاصة زوجة فوطيفار، التي اشتهت جمال يوسف وقوته الجسمانية وأغرته، ولو كان قد استسلم للشهوات الشبابية، لفقد مستقبلاً مجيداً، وفوق الكل، اعتباره في نظر الله. وهكذا فالقصة تُروى كما حدثت بالضبط.

إن الشاب التقي يرفض ببساطة عرض سيدته الوضيع أن يخطيء معها.

كان يوسف يعرف، بكراهية شديدة، كل ما ينطوي عليه استسلامه لإغراءاتها. لم يكن بمقدور يوسف أن يخون الثقة التي وضعها سيده فيه، ويتصرف بهذه الطريقة الوضيعة الجاحدة لسيده، كيف يفعل هذا الشر العظيم ويخطيء إلى الله؟ كانت التجربة تتكرر يومياً، ولكن يوسف كان راسخاً في رفضه، ياله من تناقض صارخ هنا بين الخيانة في جانب، والأمانة في الجانب الآخر!.

ويوما ما أمسكت هذه المرأة الشهوانية بثوب يوسف عندما حاول أن يتجنَّبها، وهرب تاركاً ثوبه في يدها. وبذلك اتهمت يوسف بارتكاب نفس الخطية التي حاولت جاهدة أن تغريه بارتكابها دون نجاح. هناك قصة مصرية مشابهة عنوانها «الأخان» يمكن رؤيتها في أوراق البردي في المتحف البريطاني، وحقيقة أن فوطيفار لم يحكم على يوسف بالموت دليل على أنه لم يكن متأكداً من قصة زوجته، وأنه كان يعتقد أنه من المرجَّح أن يوسف كان بريئاً، لأن قائد فرعون كان متأثراً من أمانة عبده. قدم لنا چون ملتون هذه الفكرة - «من يتحكم في نفسه، وشهواته ورغباته ومخاوفه هو أكثر من ملك» ومع أن يوسف أصبح الرجل الثاني بعد فرعون، إلا أنه قد أظهر هذه الصفات الأخلاقية الرفيعة، مما جعله ملوكياً أكثر من ملكه.

كانت عين الله على ابنه الأمين في السجن، وقد أظهرت تجارب يوسف بصورة واضحة كيف أن الله، دون أن يظهر بأي صورة واضحة حتى لا يربك المسار الطبيعي لتصرفات البشر، يجعل أسوأ الشرور تجلب أعظم الخيرات وهكذا فإن حسد إخوة يوسف، والاتهام الباطل لزوجة فوطيفار، وسجن يوسف، كلها ساهمت في أن يتولى يوسف ذلك المنصب الذي به مكّنه الله أن يحفظ إسرائيل من المجاعة (تك ٥٠: ٢٠، مز ١٠٥: ١٧).

إن أحلام رئيس سقاة فرعون ورئيس الخبازين قد فتحت الطريق لرفعة يوسف، وقد نسى رئيس السقاة وعده ليوسف لمدة سنتين بعد استعادته لمنصبه، ولكن عندما لم يستطع حكماء مصر المدّعون تفسير حلميّ فرعون عن البقرات السمان والبقرات الرقيقة اللحم، تذكر رئيس السقاة يوسف وامتدحه أمام فرعون كمفسر للأحلام. وهكذا كانت هذه الأحلام سبباً في وصول يوسف إلى القصر. وأخيراً، فقد قادت هذه الأحلام لخلاص يعقوب وعائلته، والذي كان واحداً منهم ليصبح الجد الأكبر للمسيح.

إن يوسف الطاهر المنتصر استطاع بمعونة الله أن يفسر حلم الملك، وقد تصرف هو بدوره تصرفاً حكيماً إذ رفع

المفسر الملهم بروح الله ليكون الرقيب الأكبر على بيته وشعبه، وأعطى فرعون ليوسف الخاتم الذي يحمل اسمه والذي أصبح خاتم السلطة.

وكاعتراف منه بالحكمة الإلهية التي أظهرها يوسف، أعطى فرعون ليوسف الاسم المصري صفنات فحنيح الذي يعني «مخلص العالم» أو «إله الحياة أو الأحياء»، ويفسرها معلمو اليهود «كاشف الأسرار». واسم يوسف العبري يعني «إضافة» الله يزيدني (يوسف) ابنا آخر. وكحاكم مطلق، أمر فرعون بزواج يوسف من ابنة كاهن أون، وبذلك يرتبط بأنبل الرجال في الأرض لاشك أن كهنة مصر كانوا مترددين في السماح لهذا الغريب بالزواج من إحدى بناتهم: ونحن متأكدون أن يوسف جعل أسنات أكثر قرباً من عقيدته التي كان يجاهر بإيمانه بها (تك ١٨:٤٢).

كان يوسف بمثابة الأب لفرعون، والسيد والحاكم لمصر (٨:٤٥)، والتالي لفرعون فقط في كل أرض مصر. وخلال سنوات الوفرة، والمجاعة، بارك الله يوسف كثيراً كمدبر، وأخيراً جاءت كل عائلته إلى مصر، وأصبح أخوته رعاة أغنام وسكنوا في جاسان التي عرفت فيما بعد باسم رعمسيس.

مات يوسف بعد أن بلغ ١١٠ سنة، ويختتم سفر التكوين قصة حياة يوسف بوضع جسده المحنط في تابوت. وهكذا فالسفر الذي يبدأ بالله خالق السموات من فوق، ينتهي بتابوت إنسان في مصر، وفي الوقت المناسب، حُملت عظامه إلى شكيم ودُفنت هناك (خر ١٣:١٩). ومن المحزن أن نفكر في ابنيه، أفرايم ومنسي، اللذين اتبعا عبادة الأوثان، عقيدة أمهما بدلاً من العقيدة الطاهرة لأبيهما التقي.

قصة حياة يوسف التي تعد من أطول القصص المذكورة في الكتاب المقدس، واحدة من أجل القصص وأكثرها جاذبية. فقد أظهر طرازاً مثالياً في الصلاح في مواقف الحياة المختلفة، وماذا يمكننا أن نفعل سوى أن نعجب بنعمة الله التي أعطت يوسف مثل هذه الحكمة الرائعة والقناعة في الشبع والجوع على حد سواء؟ لقد عرف يوسف كيف يشبع ويجوع ويستفضل. وكإبن وكعبد وكحاكم في البلاط الملكي، وكأخ، كان أحرص ما يكون على ممارسة التمسك الشديد بالحق ورجاحة الفكر. إنه واحد من أبطال الكتاب المقدس من البشر الذين لم يرتكبون أخطاءً بارزة، وواحد ممن كان فرعون يكن لهم عظيم الاحترام.

الفرعون منفتاح
(خر ١-١٥)
الملك الذي كان تحديه يعني الدمار

العبارة الواردة في مستهل سفر الخروج القائلة «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف» (١٨:١) تعني تقديم أسرة جديدة، يقترح بولنجر أن الكلمة «قام» التي تعني وقف، تدل على الوقوف في مكان شخص آخر تم إبعاده (دا ٢:٣١،٣٩،٤٤،٣:٢٤)، وأن كلمة «جديد» تعني أسرة جديدة ومن نوع مختلف عن تلك السابقة لها، فهذا الفرعون إذن، كان من جنس مغاير وأسرة مختلفة، كما يوضح يوسيفوس الذي يقول «قد جاء التاج من عائلة أخرى» لقد كان هو الأشوري الوارد ذكره في إش ٢٠:٤ .

إن رغبته في أن يتعامل مع بني إسرائيل بحكمة أو بدبلوماسية «نحتال لهم» أمر جدير بالاعتبار. إن حكمة مصر آلت إلى فرعون اضطر أن يربي ويعلم ويعد نفس الرجل الذي كان سيحقق ما كان يخشاه (فرعون). (أي

١٣:٥، أم ١٩:٢١، ٢١:٣٠، مز ٣٣:١٠، ١١). كانت صوعن عاصمة مصر، وكانت تشتهر بالحكمة، وهناك أعلن موسى حكمة أسمى وقوة الله.

(ولم يكن يعرف يوسف) تعني أن الفرعون الجديد شعر أنه لم يكن تحت التزام نحوه، لابد أنه عرف عن حسن تدبير يوسف الرائع لصالح مصر، ولكنه كان ينظر للموقف السياسي بمعزل عن كل الأهواء الشخصية، ورأى فيه شيئاً من الخطورة، لم يكن أي اعتبار لذكرى يوسف، ولم يشعر بأي امتنان نحو المدبِّر الناجح للأمة.

لقد كان هذا الفرعون ينظر بعين الحسد للزيادة السريعة في عدد الإسرائيليين، وكطاغية قاسٍ، أمر بالقضاء التام على كل الأطفال الذكور عند ميلادهم.

من هو الفرعون الذي ربَّت ابنته موسى كابنها؟ إن الحوليات المصرية، في أفضل حالاتها، محدودة ومجزَّأة، وليس من السهل دائماً تتبع الصلة بين التاريخ المقدس والتاريخ الدنيوي، ولهذا السبب تكثر دائماً التوقعات فيما يتعلق بهوية فراعنة الكتاب المقدس.

أما عن «الملك الجديد» الذي أمامنا، فالبعض يفترض أنه أحمس الأول، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة طبقًا لقول مانيتو، ويقول آخرون إنه رمسيس الثاني من أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشر، ويقترح آخرون أن الدلائل في صف سيتي الأول، والد رمسيس المذكور سابقاً وابن رمسيس الأول الذي حكم لمدة وجيزة تبلغ عاماً ونصف فقط، ومع أن سيتي ليس المؤسس الحقيقي للأسرة التاسعة عشرة، إلا أنه كان الباعث على عظمتها.

إن طول مدة حكم الفرعون الذي هرب منه موسى يبدو أنها تتفق مع ما نعرفه عن رمسيس الثاني، ولا يحدد له مانيتو مدة حكم تزيد على ٦٠ عاماً فقط، وفقاً لجميع الروايات التي وصلتنا، إلا أن مدة الـ ٦٧ سنة مذكورة في الآثار التي خلَّفها. فعدد الملوك المصريين الذين حكموا مصر لمدة تصل لـ ٤٠ عاماً قليل جداً.

يقول فاوست إن أحمس الأول هو ملك بداية الاضطهاد، وتحتمس الثاني من المرجح أنه الفرعون الذي هلك في البحر الأحمر. عندما عاد موسى من مديان، وجد الأخير في صوعن، كان هذا الملك ضعيفاً ومتقلباً وعنيداً. ويقول اليكوت، من الناحية الأخرى، إنه لا يوجد ملك في قائمة ملوك مصر يتفق مع العبارات الواردة في سفر الخروج سوى منفتاح. فإذا كان سيتي الأول هو الملك الذي بدأ الاضطهاد. ورمسيس الثاني هو الملك الذي هرب منه موسى، فإن الفرعون الذي وجده جالساً على العرش عند عودته لابد أن يكون منفتاح.

ووصف شخصية هذا الملك، كما دُوِّن على الآثار المصرية يتشابه تشابهاً كبيراً مع عدو موسى، فقد كان مغروراً، لا يميل لتعريض نفسه للخطر في الحرب، ومع ذلك كان على استعداد كافٍ أن يرسل جنوده إلى مواقع الخطر.

ومهما كان الفرعون الذي دخل موسى في مواجهة معه، فقد كان شخصاً استخدم السخرة لتنفيذ خططه. وملاحظات لينورمانت عن رمسيس الثاني تصلح لأي فرعون تقريباً، أثناء حكمه، لابد أن آلاف الأسرى ماتوا تحت قضيب السخرة، أو سقطوا فريسة للعمل الشاق، أو الحرمان في شتى أنواعه، ففي كل أثاره، لم يكن هناك حجر واحد لم يكلف حياة نفس بشرية. هناك تناقض صارخ بين الهدوء والوجوه الرقيقة، أو الفراعنة الآلهة على الحجر، والأفعال الهمجية القاسية المنسوبة إليهم، وما نعرفه عن يقين أن شخصية الأمة، بما مرَّت فيه من تجارب تحت حكم الفراعنة، كانت تُعد للمركز الرفيع الذي تبوأته تحت حكم شاول

وداود وسليمان.

يكشف الفصل الافتتاحي لسفر الخروج عن الحياة المريرة التي عاشها بنو إسرائيل في ظل مسخِّريهم، ولكن كلما ازدادت معاناتهم، تكاثروا ونموا. إن منظر اضطهاد شعبه، أثار غضب موسى، ودفعه الذي كان منفيًا المصري. وهو عمل طائش أجبره على الهروب من مصر. وطالما كان هذا الملك القاسي عائشاً، شعر موسى الذي كان منفياً أنه لا يستطيع العودة إلى أرض مصر، وإلى الحكمة والطرق التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياته.

إن تعب الأربعين سنة التي قضاها موسى في مصر تظهر في الاسم الذي أعطاه موسى لابنه الأكبر «فدعا اسمه جرشوم. لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة» (خر ٢٢:٢، ١٨:٣). ولكن بمضي الوقت، حوالي ٦٣ سنة، «مات ملك مصر» (٢٣:٢)، وأخبر الله موسى بالحقيقة، فرجع موسى إلى مصر إلى إخوته (١٩:٣). أيا كان الفرعون الذي رجع موسى إليه، فهو الذي أقامه الله لكي يريه قوته (١٦:٩)، ومع ذلك فقد كان هو الذي رفض أن يخضع نفسه أمام الله (٣:١٠).

إن الصفات الإلهية ظاهرة في حياة الفراعنة في سفر الخروج. فعناية الله ترى في ابنه فرعون التي تبنَّت المنقذ الآتي لإسرائيل من اضطهاد فرعون. كما أن طول أناة الله على فرعون ليست أقل وضوحاً (٨: ١٣، ٣١، ٩: ٣٣، ١٠:١٠).

ونفس الضربات على مصر، كان القصد منها أن تكشف لهذا الفرعون حماقة وثنيته، وبذلك تقتاده لينبذها، كان المصريون يعبدون عشرة آلهة وثنية، وكانت كل ضربة موجهة نحو إله خاص يُعبد.

فالنيل بما فيه من أسماك، كان موضوع عبادة وثنية: فحوَّل الله مياه النيل إلى دم، ومات السمك.

وكانت الريح أيضاً أحد آلهة مصر: فجعل الله الريح رسولاً لغضبه بجلب الجراد، وأيضاً لرحمته بإزالته.

وعبد المصريون الشمس: فجلب الله عليهم لمدة ثلاثة أيام ظلاماً دامساً. وفي جاسان حيث كان بنو إسرائيل يقيمون كان نور.

وكانت ضربة الذباب لطمة قاسية لكل العبادات الوثنية ولكل العابدين الوثنيين. فالنظافة كانت أمراً محتماً. ولهذا السبب، كان الكهنة النجسو القلب، يلبسون الكتان النقي ويحلقون ذقونهم يومياً. وقضت الضربة أيضاً على عبادة بعل زبوب، إله الذباب، وأظهرت عجزه (١٢:١٢).

وكانت الحيوانات، والعجل بالذات، تمثل بعضاً من آلهتهم الرئيسية، فأرسل الله وبأ على الماشية، فقضى عليها.

ومع ذلك فقد أظهرت الضربات المتعاقبة أن عناد فرعون غير قابل للإصلاح، سواء عن طريق العقاب أو عن طريق الرحمة، فالضربات وإزالتها، لم تكن كافية لإخضاع كبرياء وتشامخ روحه. وكان أي لين من جانبه مؤقتاً فقط.

وأخيراً وافق فرعون على السماح للإسرائيليين بالذهاب لتقديم ذبائح لله في الأرض، وليس في البرية كما طلب موسى. ثم قال إنه يمكنهم الذهاب إلى البرية، ولكن ليس بعيداً. ثم استطاع الرجال أن يذهبوا، ولكن بدون النساء والأطفال، ثم استطاع النساء والأطفال أن يذهبوا ولكن ليس البهائم، وهكذا العالم، ممثلاً في فرعون، يضع قيوداً على الخدمة التي يجب أن نقدمها لله.

فيما يختص بتقسية قلب فرعون، يقول الكتاب المقدس إن الله قسَّى قلبه، ولكن فرعون قسَّى قلبه أيضاً.

واستخدمت العبارة (وسوف أقسّي) «منسوبة لله ست مرات»، ولكن ليس قبل أن يفعل فرعون ذلك سبع مرات، كان يحدث في كل حالة أن رقة قلب الله ولطفه وصبره ينتج عنها تقسية قلب فرعون. إن هذا اللطف يقتاد إلى التوبة (رو ٢:٤)، تماماً كما أن نفس الشمس التي تذيب الشمع، تقسّي الطين.

ترك الله فرعون لعناده والتواء موقفه، وإذ تُرك هكذا، فإنه جعل قلبه العنيد يقف موقف العداء لله. إن الله لم يمل عليه اتخاذ أي موقف شرير، فالله لا يمكن أن يفعل ذلك لأي مخلوق (يع ١:١٣). كان لفرعون سلطان ملكي، ولكن باستخدام تلك السلطة استخداماً خاطئاً، أظهر شر قلبه. عندما يتمرد إنسان بعناد ضد النور، ينتهي به المطاف حتماً أن يتبع شهوات قلبه (رو ١:٢٤-٢٨).

ومن الأسئلة المثيرة للجدل، إن كان منفتاح هو الفرعون ذو القلب القاسي، قد هلك بالفعل في البحر الأحمر عندما حل العقاب النهائي بجيش مصر. يقول اليكوت في هذا الصدد: «إن قوات المركبات والفرسان وحدها دخلت البحر، وليس قوات المشاة. فلو أن كل قوات فرعون دخلت، لما أمكنه أن يبقى إلى الوراء وحده، ولو أن قسماً واحداً فقط دخل، فمن المرَّجح أنه كان يفضِّل البقاء مع الآخرين. إن منفتاح، الفرعون المرَّجح لسفر الخروج، حري به أن يأخذ جانب السلامة... فلو أنه كان قد قُتل، ألم يكن بالحري أن تشير الحوليات المصرية إلى ذلك؟ ألم يكن بالأحرى أن تكون هناك قصة عن ملك عظيم قد مات في ربيع شبابه، بعد حكم لم يدم سوى عامين أو ثلاثة أعوام على الأكثر؟... فمن المرَّجح تماماً أنه بقي مع بقية أفراد المشاة عندما دخل الفرسان إلى البحر وغرقوا في قاعه... وبعد مرور سنتين على تلك الحادثة، ربما يكون قد استسلم لبعض التحركات الثورية نتيجة للخسائر الثقيلة التي مُني بها جيشه في كارثة البحر الأحمر».

ومع ذلك فإن أسلوب الكتاب المقدس عن كارثة البحر الأحمر، توحي بأن فرعون قد هلك مع المصريين الذين تتبعوا بني إسرائيل (١٤:٨). وتدل العبارة الواردة في (١٤:٢٨) والقائلة «فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. لم يبق منهم لا واحد» على أن فرعون نفسه لم ينج. وربما كانت جثته قد ألقى بها البحر على الشاطىء (١٤:٣٠ مع١٥:٤،٩،١٠). انظر أيضاً مز ١٠٦:١١،١٣٦:١٥ . فلاعجب أن قيل إن الله أجرى عملاً عظيماً لشعبه. إن تدمير الجيش المصري على البحر ونجاة جميع بني إسرائيل كان يعد معجزة بالفعل. إن فرعون قد قضى على الأطفال الذكور من بني إسرائيل بإلقائهم في نهر النيل، والآن يعاقبه الله على شره بإلقاء فرعون آخر في البحر الأحمر. كتب توماس جراي، شاعر القرن السابع عشر قائلاً:

«الدمار يحلِّق بك، أيها الملك القاسي!
والارتباك والفوضى تنتظر راياتك!»

إن نشيد موسى الذي قيل بمناسبة الإنقاذ الإلهي من أكثر الأناشيد روعة في الأدب. ونحن نذكر هنا، أن موسى استهلَّ واختتم مهامه في البرية بنشيد. إن نشيد سفر العدد أصحاح ٣٢ هو النشيد المشار إليه في رؤ ١٥: ٣ .

الفرعون نخو

(٢مل ٢٣:٢٩-٣٥، ٢أخ ٣٥:٢٠-٢٧،٣٦:٤، إر٤٦:٢)

الملك ذو الطموح الزائد عن الحد

اللمحات القليلة التي يعطيها الكتاب المقدس لنا عن

هذا الملك المصري كافية لتبرزه كملك ذي طموح زائد. وهذا الفرعون يقال عنه إنه نخو أو نخورو، نخو الثاني، الملك السادس من الأسرة الخامسة والعشرين، والذي كان أبوه، إبسماتيك الأول، سادس ملك من الأسرة السادسة والعشرين أو أسرة سيتي، كان مستعبداً لأشور، ولكنه حصل على الاستقلال لمصر.

في مستهل حكمه، حاول نخو جاهداً أن يبسط نفوذ مصر على سوريا، وانتهز فرصة انهيار أشور، ولذلك قاوم الحاكم الذي كان يُطلق عليه إمبراطور أشور، الذي كان قد فتح نينوي العاصمة المنافسة، ليقتسم معه غنائم الإمبراطورية المنهارة، فتصدى يوشيا، الذي كان عبداً لأشور، لنخو، ومن المحتمل أنه شعر بالغضب لرغبة ملك مصر في امتلاك ما اعتبره أرضه لوحده. واجه نخو يوشيا على مضض، وهذا دليل على العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين إسرائيل ومصر بعد الخروج . ولكن الرماة المصريين قتلوا يوشيا الطيب أثناء ركوبه لمركبته، ودُفن وسط مناحة قومية في أورشليم، كتب جوڤينال، الفيلسوف اللاتيني قائلاً: «قلائل هم الملوك والطغاة الذين يموتون دون عنف أو سفك للدماء أو ميتة طبيعية».

وبعد عام أو أكثر قليلاً، اتجه نخو في حملة ثانية، ولكن في هذه المرة كان ضد ملك بابل، ولكنه هُزم هزيمة منكرة في كركميش. كان نخو يطمح في فرض السيطرة على أسيا ولكن قواته تم دحرها على يد نبوخذ نصر، الذي أخذ منه كل ممتلكاته السورية. إن نبوة إرميا عن هزيمة ملك مصر، قد تحققت مرتين في وقت قريب ووقت بعيد، أي الهزيمة التاريخية التي ألحقها الغزو البابلي، وأيضاً العقاب الذي ستنزله الأمم بأورشليم كما تنبأ المسيح (مت ٢٣:٣٢).

إن الاعتراف بالله في الطلب الذي قدمه نخو ليوشيا لافت للانتباه:

«الله أمر بإسراعي:
فُكفّ عن التطفُّل على الله
حتى لا يهلكك، لأنه معي»

يعلق إليكوت على ذلك بالقول «إن ملوك مصر، كملوك إسرائيل، كانوا يستشيرون أنبياءهم قبل القيام بأي حملة عسكرية. وهكذا فعل الأشوريون، كما يظهر بكثرة في نقوشهم، وهذه الحقائق تشرح النص بما فيه الكفاية، دون الافتراض أن نخو قد تلقى وحياً من الرب أدانه، أو كان ذلك الوحي يشير لإله إسرائيل». يبدو كما لو كان تحذير نخو كان تحذيراً إلهيًا حقاً، كما أثبتت الحوادث. إن «كلمات نخو».٢ اسدراس ٢٦:١ تحوي «كلمات من أقوال النبي إرميا» ولكن ليس هناك أثر لمثل هذا التحذير في النبوات الموجودة والتي تحمل اسمه.

يرجع لنخو الفضل كرائد لشق قناة السويس، العمل الذي قام به الفرنسي دي ليسيبس بتكاليف باهظة. يقول دكتور صموئيل माننج إن «شق قناة ليس مشروعاً حديثاً، فقد تم البدء في ذلك العمل عندما كان بنو إسرائيل في مصر، وربما اشتركوا في شقها في المدة السابقة للخروج، وقد استكملت تقريباً على يد الفرعون نخو الذي هزم الملك يوشيا في معركة مجدو الكبير. وبعد مائة سنة أكملها الغزاة الفرس الذين فتحوا مصر».

ونخو هو الملك المصري الوحيد الذي يظهر اسمه قرين مؤسسة تجارية بحرية، ونظراً لأن هذا الملك كانت لديه رغبة قوية في تحسين الملاحة، فقد خطط لإنشاء قناة لعبور السفن من النيل إلى البحر الأحمر، ولكنه حُذر من قبل الحكماء أن يتوقف عن تنفيذ المشروع.

ترك لمسيو ديليسبس أن يتمم حلم الفرعون. ولتنفيذ العديد من المشروعات، كانت تُفرض ضرائب باهظة (٢أخ ٣٦:٣)، وتضيف الترجمة السبعينية لذلك هذه العبارة: «اعطوا الفضة والذهب لفرعون: في ذلك الوقت بدأت الأرض تعطي المال حسب أمر فرعون، وكل واحد حسبما استطاع، استمر يطالب بالفضة والذهب من شعب الأرض ليعطيها للفرعون نخو».

الفرعون خَفْرع
(إر ٤٤: ٣٠، ٤٦: ٢٥، خر ٢٩، ٣٠: ٢١)
الملك الذي كانت خطيته الكبرياء

اللغة التي استخدمها النبي حزقيال عن خَفْرع تدل على كبريائه «نهري لي وأنا عملته لنفسي» إن هيرودوت يقول إن خَفْرع كان معتاداً أن يقول إنه «ولا حتى الله يمكنه أن يجرِّده من القوة». إنه لم يتعلم المثل القائل «قبل الكسر السقوط». وكلا من إرميا وحزقيال هاجماه لغطرسته وعدم تقواه وخيانته،، إن حكم وموت خَفْرع كانا سيصيرا مختلفين عما كانا عليه لو أنه امتثل بالعبارة التي عبَّر عنها سنيكا حين قال:

«حيثما لا يكون هناك تواضع ولا اعتبار للقانون والدين ولا يكون هناك احتشام أو نية حسنة، تكون المملكة في مهب الريح».

إن الأسرة التي كان يمثلها قد حسَّنت من الملاحة في النهر، وشجعت التجارة مع الدول الأجنبية، وبذلك اكتسبت ثروة هائلة.

إن خَفْرع أو أقريس وفقاً لهيرودوت كان ابن بسميس، وكخليفة لنخو، كان الملك الرابع في الأسرة السادسة والعشرين، ولا يعرف عن حكمه الذي دام لمدة ٢٥ سنة سوى القليل. ربما كان يعتمد على الجنود المرتزقة اليونانيين، وظل يحكم الوجه البحري مع حاكم آخر بالإكراه حتى السنة الثالثة من حكم أناسيس. وهو الذي «أغرى صدقيا بالعصيان على بابل، وهكذا غرر بيهوذا ودفعها للدمار». وقد رفع الحصار مؤقتاً عن أورشليم كخليفة لصدقيا، ولكنه هوجم بعد ذلك من قبل نبوخذنصر في عقر داره، وهُزم وهو يحاول مقاومة تقدم الجيش البابلي.

أعلن إرميا مصير هذا الملك المصري، الذي جاء قبل الهاربين من أرض مصر «كعلامة» بأن التنبؤ بمصيرهم سوف يتم أيضاً في الوقت المناسب، إن تنفيذ حملة خَفْرع كانت مأساوية وقد ثار رعاياه، وأعفى من منصبه، ووُضع في السجن في سابيس لمدة من الزمن، وبعد ذلك قُتل خنقاً. كان إرميا وبقية من اليهود قد ذهبوا إلى مصر، إلى تحفينس حيث وجد العالم الأثري (بيترك) المبنى الذي وضع فيه إرميا الحجارة النبوية.

وإذ نودِّع فراعنة الكتاب المقدس، يجب أن نذكر باختصار واحدا أو اثنين أقل شأناً.

أولاً، نذكر الفرعون، والد بثية، زوجة مرد (١ أخ ٤: ١٨). بثية اسم عبري، يعني أنها قد اعتنقت ديانة إسرائيل. «بنت فرعون»، إذا كان نظام التسمية هذا وفقاً للعشيرة، فهي لا تعني سوى عشيرة مصرية اتحدت مع عشيرة مرد. فكلمة فرعون لا تُستخدم هنا بالمعنى الحرفي كما في الشاهد التالي.

لدينا أيضاً ابنة فرعون، التي تزوجها سليمان (٢أخ ٨: ١١، ١مل ٩: ٢٤، ١١: ١). إن رفيقة سليمان المصرية، من المرجح أنها كانت أميرة من الأسرة الثانية والعشرين البوباستية، والتي أسسها شيشق، والتي كانت من أصل سامٍ، وهذه الفترة كانت مشوَّشة ولا يُعرف عنها إلا القليل،

هل الارتباط الأجنبي بامرأة مصرية التي قدم لها جازر كهدية زواجها، كانت بداية لانحدار سليمان؟ إن ابنة فرعون هذه تختلف عن «النساء الغريبة» اللواتي أغرين سليمان وأملن قلبه لعبادة الأوثان» (١ مل ١١: ١). وكأجنبية لم يكن لها الحق أن تقيم في قصر داود المقدس بوجود التابوت، فبني سليمان لها قصراً.

يجب أن نعرف الفرعون الذي ذكره النبي إشعياء (١٩: ١١، ٣٠: ٢،٣، ٣٦: ٦). من المرجح أن الفرعون المذكور هخو شباتوكا أو سباكو الثاني، والد ترهاقة المذكور في ٣٧: ٩، من الأسرات الأثيوبية التي حكمت مصر من ٧٢٥ - ٦٦٥ ق.م. «ظل مصر» و«حصن فرعون» عبارتان لوصف مملكته. ياللحسرة، فمثل هذه القوة ما هي إلا «قصبة مرضوضة» تثقب يد من يتوكأ عليها!

يصف سرجون عمل السفير بأنه «حمل هدايا، لطلب التحالف، إلى فرعون، ملك مصر، وهو ملك لم يستطع أن يساعدهم».

وعلى الرغم أن الفراعنة، عن طريق الزهو والطموح، انشأوا إمبراطورية قوية، وجلبوا لمصر كثيراً من المجد، إلا أن ما تبقى من إنجازاتهم قليل. وقد أعطانا مونتسكيو، الكاتب الفرنسي، المثل القائل: «إن الذين يحققون إنجازات عظيمة دائماً هم المغامرون وليسوا الملوك الذين كوّنوا إمبراطوريات عظيمة».

شيشق

(١ مل ١١: ٤٠، ١٤: ٢٥، ٢أخ ١٢: ٢-٩)

الملك الذي كان مغامراً جسوراً

إن شيشق، المغامر الجسور والملك القوي لمصر، والذي في أيام حكم رحبعام، غزا يهوذا بجيش قوي ونهب خزائن الهيكل، يحمل اسماً وثنياً هو سوزاكيم Susachim الذي يعني «يصعب اكتشافه». وهو شيشق الأول، وفقاً للآثار المصرية، وسيزونكيس Sesonchis، وفقاً للمؤرخين اليونانين، وقد حكم لمدة لا تقل عن ٢١ سنة.

لم يكن شيشق من سلسلة الملوك القدماء، ولذا لم يذكر قرين اسمه اللقب القديم، فرعون، كان مؤسساً لأسرة جديدة، الأسرة الثالثة والعشرين، المعروفة بالأسرة البوباستية. وقد وحّد نسب الأسرتين اللتين سبق أن حكمتا حكماً ضعيفاً في مصر السفلى والعليا، وهكذا افتتح عصراً جديداً من الرخاء والغزو. إنه يظهر في الهيكل في طيبة «كسيد لكل من مصر العليا والسفلى» وفي سنة ١٩٣٩ وُجدت مومياء شيشق في تانيس في تابوت من الفضة مغلّف بالذهب الخالص، ربما بعض الذهب الذي أخذه من أورشليم.

يشار إلى غزو شيشق ليهوذا في السنة الخامسة لرحبعام في الآثار، باعتباره قد حدث في السنة الثانية عشر من حكمه، ولذلك فقد كان ملكاً لمصر طيلة الـ ١٥ سنة الأخيرة من حكم سليمان، وكان لا يزال في مصر عندما مات سليمان.

وإذا كان معادياً لسليمان بسبب زواجه من ابنة ملك مصري سابق من أسرة أخرى، فإن شيشق قد استقبل يربعام استقبالاً حافلاً، وهو اللاجيء السياسي الهارب من سليمان، كما أن تحالفه السياسي الوثيق مع يربعام، كمنفي وكملك، يوحي بتغيير طبيعي في الاتجاه نحو القوة الإسرائيلية.

وكانت غزوات شيشق لافتة للنظر، كما أنها تلقى تأكيداً ملحوظاً في النقوش الشهيرة على الحائط الجنوبي في بهو المعبد العظيم لأمون في الكرنك، وكواحد من أعظم المحاربين القدماء، جمع ١٢٠٠ مركبة، و٦٠٠٠٠ فارس،

استطاع أن يستولى بها على مدن يهوذا الحصينة، والنقش البارز لشيشق في المعهد الشرقي يصوره وهو يقدم ١٥٦ مدينة فلسطينية لإلهة آمون.

وقد مُنع شيشق من تدمير أورشليم - فقد تُرك هذا العمل لنبوخذ نصر، ومع ذلك فقد استسلمت أورشليم لشيشق بالرغم من توبة الشعب بناء على دعوة شمعيا. ونهب شيشق الهيكل وحمل معه الكنوز الكثيرة من أيام حكم داود وسليمان، والتي لابد أنها كانت هائلة، ليس هناك أي ذكر في السجلات بأنه دنس الهيكل بأي حال من الأحوال، ولذلك فوجهة النظر القائلة، بأنه كاستيلاء الفرنجة على روما، فإن غزو شيشق دمر كل الآثار القديمة والمحفوظات، فكرة لا تستند إلى أي أساس. والفلسفة التي نسبها شيشق هي أن:

«الملك موجود لأجل المملكة، وليست المملكة لأجل الملك، إن القوة تعطى فقط لأغراض صالحة».

وإذ نختتم هذا الموجز لملوك مصر، فإن فقرة عن واحد منهم، هو بطليموس فيلادلفوس، قد يكون مناسباً، فهو الذي أصدر الأوامر بترجمة العهد القديم إلى اليونانية قبل ميلاد المسيح تقريباً بـ ٣٠٠ سنة، وهي اللغة التي كانت سائدة وقتها على نطاق عام. وخلال حكم الملوك الذين أعقبوه، تم إكمال هذه الترجمة وتوزيعها على نطاق واسع.

وإذ نقترب من القسم الهام الخاص بالدراسة المتعلقة ببداية وتواصل وختام حكم الأمم، يتوجب علينا أن نتأمل في حلم نبوخذنصر ورؤي دانيال كما هي موجودة في سفر دانيال، حيث تم تصويرها ببراعة.

قيام وسقوط إمبراطوريات الأمم

على الرغم أن هناك فترة تبلغ من ٦٢-٦٥ سنة تفصل بين الرؤي والحلم، إلا أن الاثنين يجب أن يؤخذا معاً، حيث إنهما يمثلان فترة طويلة من سيادة الأمم، بدأت مع نبوخذنصر واستمرت عبر القرون حتى وقتنا الحالي. وإذ نجعل حلم دانيال في الأصحاح الثاني يتزامن من الرؤي في الأصحاحات ٧، ٩، ١٠، نحصل على تقييمين لهما - التقييم الأرضي لسيادة الأمم واعتبارها شخص كلي القوة ولا يُقهر، وتقييم السماء لنفس الشكل الملكي على أنه بمثابة نوع من الحكومات يمثل القسوة.

حلم نبوخذنصر (د ٢:١)

إن الحلم غير العادي والذي أربك الملك فترة من الزمن، غاب عن ذهنه لبعض الوقت. وعندما حاول استرجاع الحلم وفهم معناه، قام نبوخذنصر باستدعاء حكمائه ومنجِّميه ليخبروه بالحلم ويشرحوا معناه. ولكن هذا العمل كان بالنسبة لهم من رابع المستحيلات. ولو عرفوا الجواب، ما كان في مقدورهم أن يتجرأوا لإعلان نهاية سيادة الأمم الذي كان قد بدأ لتوه بصورة واعدة، إن كشف الحلم وتفسيره قد أعطيا لدانيال من الله (٢:١٩).

والحلم كان عبارة عن «تمثال عظيم، بهي جداً، ومنظره هائل» وهي صفات تستخدم للدلالة على ملك أممي.

إن التمثال الذي رآه نبوخذنصر كان شبه إنسان، لأن ما يمثله يشمل ويتحكم في عصر الإنسان (١كو٤:٥) وكان يتكون أيضاً من أربعة معادن وهي الذهب والفضة والنحاس (الأحمر وليس الأصفر، لأن الأصفر لم يكن معروفاً وقتها)، والحديد مع خليط من الخزف والحديد. وهكذا فالتمثال يبدأ برأس من ذهب وينتهي بأصابع القدمين المكونة من الحديد والطين، وكل معدن يمثل مملكة والأربع ممالك تعقب كل منها الأخرى بالترتيب - بابل،

مادي وفارس، اليونان وروما (٢:٢٧-٤٥، ٨: ٢٠، ٢١،
لو٢: ١-٤، ٣: ١).

والتاريخ السياسي للإمبراطوريات الأربع العظمى مقدَّم لنا في دانيال أصحاح ٢ و٧- والأصحاح الثاني يرمز لها بمعادن والسابع يرمز لها بوحوش، وهكذا نجد انخفاضاً في القيمة والوزن، ولكن ليس في التماسك الذي كان يزداد. كان في قصد الله قيم ووزن عندما قال «وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك» (٢:٣٩) وهكذا نجد تدهوراً تدريجياً في السلطة الحكومية، التي كان أولها مستمداً من الذهب (٢:٣٧).

كانت إمبراطورية مادي وفارس أقل من بابل في القيمة، ولكن ليس في القوة والتماسك. والمعدن الأخير المذكور، «الحديد» أكثر عرضة للفساد، ويسهل أن يصيبه الصدأ والتلف عن النحاس والفضة والذهب، ولكن عندما يكون على شكل «صلب» فإنه يكون أكثر صلابة ويقطع أي معدن آخر. كانت روما مرادفاً للحكم الحديدي. ولذا فمع أن طبيعة ونوعية الحكومة يتم تصويرهما في الأجزاء المختلفة للتمثال، إلا أن المعادن التي تمثلها لا تعني أي انكماش في السلطة والمساحة.

الفصل الرابع

بابل والملوك البابليون ٦٠٦ - ٥٣٨ ق.م

في العصور القديمة، كانت بابل وأشور مندمجتين معاً، وكان يصعب الفصل بينهما، وقد ألقت الحفريات في بابل القديمة الضوء على مدن مثل إريدا Erida جنة عدن التقليدية - ربما كانت أول مدينة بُنيت، وكانت هناك مدينة قديمة ثابتة هي إريك Erech، إحدى مدن نمرود، وكانت لارسا Larsa (أيوك الكتابية) مدينة أخرى هُزم ملكها على يد إبراهيم (تك ١٤:١). وكانت أكاد أكبر عاصمة إمبراطورية سرجون تُعرف أيضاً باسم (سفر) أي «مدينة الكتاب» وسميت هكذا بسبب مكانتها الشهيرة وكانت مدينة أخرى من مدن نمرود.

كانت بابل ومصر - والمسافة التي تفصل بينهما ١٠٠٠ ميل - كانتا مركزين رئيسيين من مراكز الحضارة في العالم القديم، وكانتا مأهولتين بنسل حام . إن بابل القديمة ذات أهمية عظمى إذن لكل دارسي الكتاب المقدس، باعتبارها مهداً للجنس البشري «باب الآلهة»، الموطن الأصلي لإبراهيم الذي خرج من بابل، وتغرَّب في مصر واستقر في كنعان.

ولأنها كانت تقع عند رأس الخليج الفارسي، بين نهري دجلة والفرات، وتبلغ مساحتها ٤٠٠ ميل طولاً، ١٠٠ ميل عرضاً، فقد كانت - لعصور عديدة - مركزاً لكثافة سكانية كبيرة، وتحوي النقوش المسمارية. وألواح الأسرات قائمة بأسماء الملوك والأسرات منذ أقدم العصور حتى حمو رابي ملك بابل، وقت إبراهيم.

إن بابل عاصمة امبراطورية الكلدان، أسسها نمرود بن كوش، الذي أسس أيضاً مملكة أشور (تك١٠) هذه المدينة التي تعد أول وأقدم المدن تحتل مكاناً بارزاً في الكتاب المقدس، وهي بلاشك أكبر مدينة بناها الإنسان. ودوناً عن كل مراكز النشاط في الإمبراطورية كانت أشهرها في إظهار كبرياء وقوة الإنسان، أسس نمرود بابل بإرادته الذاتية دون اعتماد على الله، وكانت محبة القوة والغزو من السمات التي تميز

نشأتها المحزنة، وتضع بصماتها على ملامحها التاريخية المقبلة.

وصلت بابل تحت حكم نبوخذنصر إلى أسمى درجات بهائها ومجدها في الحجم والقوة. ويعطينا هيرودوت - أقدم مؤرخ في التاريخ - «أبو المؤرخين» الذي رأى بابل في قمة مجدها، وصفاً مبالغاً فيه إلى حد ما عن جمال المدينة ومبانيها. ومن التاريخ الكتابي، نفهم أن بابل كانت أعظم وأكبر مدينة بناها أو شهدها الإنسان.

إن المعلومات الكتابية بخصوص بابل خالية من الأخطاء. ومن بين الأسماء التي تُطلق عليها «سيدة الممالك» و«المدينة الذهبية» و«بهاء الممالك» و«الوافرة الخزائن» و«فخر كل الأرض» و«زينة فخر الكلدانيين» و«المغطرسة» (إش ١٣:١٩، ١٤:٤، إر٥١:١٣، ٤١). كان شعبها كثير العدد، ثرياً، تجارياً، وثنياً، قاسياً ومؤمناً بالخرافات. كانت بابل أيضاً أداة الله لعقاب مصر ويهوذا وأدوم وموآب وعمون وصور وصيدون وأشور وحاصون ونينوي. ونعرف من هيرودوت أن بابل كانت موجودة في سهل متسع، وكانت تكوِّن مربعاً يبلغ ٦٥ ميلاً بالعرض. كان نهر الفرات يجري في وسط المدينة من الشمال إلى الجنوب، وقد بُنيت عليه قنطرة رائعة، وعلى إحدى جانبيه كان يوجد معبد بيلوس الذي تُنسب إليه عظمة زائفة، وقد كان يحوي العديد من التماثيل من الذهب الخالص، وقد نُهب على يد أحشويرش الشهير. وعلى الجانب الآخر من القنطرة كان يوجد قصر نبوخذنصر الرائع الجمال. وكانت «الحدائق المعلَّقة» - أروع عمل فني -، مقامة كمصاطب مرتفعة مثل ارتفاع الأسوار، تعد إحدى عجائب الدنيا السبع، كانت أجمل الفواكه والزهور والخضراوات تُزرع في تلك الحدائق، ولابد أنها أبهجت قلب اميتيس Amytes صديقة نبوخذنصر المادية، والتي أقام الحدائق تكريماً لها.

كانت أسوار المدينة مرتفعة جداً، وتبلغ حوالي ٨٧ قدماً عرضاً، وبذلك كانت تتسع اتساعاً كافياً لمرور ٦ مركبات جنباً إلى جنب لتستدير وتستطيع أن تلف في أي نقطة. كانت أبواب المدينة المائة، ٢٥ باباً في كل جانب، من النحاس المصمت، كما كان هناك العديد من الأبواب الداخلية، وكان من بين كل باب إلى الباب المقابل شارع مستقيم بطول المدينة كلها أو عرضها، وكان بدوره يتقاطع مع الشوارع الأخرى، حتى يتكون في النهاية ٦٧٦ مربعاً. فلا عجب أن كانت «فخر كل الأرض».

والاسم الذي أطلقه عليها نمرود يعني «باب الله» ويعلِّق فاوست على ذلك بالقول: «بعد ذلك ارتبط بها الاسم بمعنى آخر (رتبَّت العناية الإلهية ذلك حتى يطلق عليها اسم له معنى آخر في اللغة الأصلية يشير إلى العقاب الإلهي القادم)، تك ١١: ٩، فكلمة (بابل) جاءت من (بلبل) «لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض» حتى يعترض محاولتهم إقامة مدينة مركزية وبرج، الأمر الذي كان سيمنع تحقيق الغرض الإلهي، فقد كان في قصد الله أن تتعدد قبائل الجنس البشري وذلك بتبديدهم على وجه كل الأرض، وبذلك يجبرهم على التشتت في الأرض حيث أنهم لا يعودون يفهمون كل واحد الآخر.

إن هذا الصرح الهائل الذي رأسه بالسماء، قد أقامه البابليون «ليصنعوا لأنفسهم اسماً» في تحد لله الذي وحده له الحق في أن يصنع لنفسه اسماً. (إش ٦٣:١٢، ١٤، إر٣٢: ٢٠). كان البرج أثراً يدل على كبرياء الاعتماد على الذات، بتنفيذ الإنسان لإرادته ضد إرادة الله، وإعلانًا لتوهم قدرة الإنسان على هزيمة الغرض الإلهي. إنه مثل واضح على فساد الإنسان (أم ٢١: ٣٠) ودليل على أول عصور الوثنية. عندما نزل الله ليرى المدينة والبرج اللذين بناهما البشر، تأمل عملهم في ضوء عدالته

وأحكامه، وواجه «هلم نصنع» التي قالوها، بسخرية صارمة، فقال بدوره «هلم ننزل ونبلبل» (تك ١١:٣،٧). إن التبُّدد على وجه الأرض، وتشويش الألسنة الذي لايزال عقبة في وجه الوحدة الدولية جاء كعقاب إلهي على محاولة الإنسان فرض إرادته الذاتية بمجهوده الشخصي.

إن الارتباط الوثيق بين إسرائيل وبابل علامة بارزة في تاريخ الكتاب المقدس، فبابل تبرز في الكتاب كعدو لله ومستعبِد لشعبه، لقد كُتب سفر دانيال أثناء أحلك فترات سبي اليهود المريعة، حين كانوا يجلسون على أنهار بابل ويبكون وهم يعلقون أعوادهم على شجر الصفصاف (مز ١٣٧). إن فترة السبي لمدة سبعين سنة في بابل، والأحداث المعجزية المسجلة في سفر دانيال، أثبتت أمام العالم أن ملوك بابل اضطروا للاعتراف بأن إله دانيال هو الملك العظيم على كل الألهة (٣:٢٨،٤:٣٤،٦:٢٦)، ومعرفة ظروف اليهود فيما بين ٦٠٦ ق.م و٥٨٦ يمكن جمعها من كتب الأنبياء (انظر إر ٢٤:١١،٢٩:١٠) إن خطايا ومخاوف وآمال الشعب نجدها محددة بوضوح في الأسفار الكتابية الشعرية والنبوية.

ويسرد عزرا عودة عدد معين من اليهود من سبيهم في بابل بقيادة زربابل حفيد يهوياقيم ملك يهوذا (٢:٢). وقد وصُفت هذه العودة بأنها أمجد استعلان لعناية الله (إش ٤٣:١٩،٥٤:١٧). يقول والتر سكوت: «إن إسرائيل قد افتُديت بالخروج من مصر، ولكن الشعب أُرسل لبابل بسبب خطاياهم»، «كانوا عبيداً في الأولى وسبايا في الأخرى».

وتدهور بابل ودمارها يتم تصويره أيضاً في الكتاب المقدس. إن مدينتي بابل ونينوي - عاصمتا الملوك الكلدانيين والأشوريين - قد حكم عليهما في الكلمة النبوية بالخراب الدائم، وهذه السمات المختلفة لخراب بابل محددة هكذا .

١- أمم معينة تنهبها (إش ٢١:٢،إر ٥١:١١).

٢- القائد المكلف بالإطاحة بها (إش ٤٤: ٢٨، ٤٥:١).

٣- وقت الإطاحة بها (إر ٢٥:١١،١٢).

٤- الطريقة التى تؤخذ بها بابل (إش ٤٤:٢٧، إر٥٠:٢٤،٢٨،٥١:٣٦،٣٧).

٥- دمار المدينة الكامل (إش ١٣:١٩،١٤:٢٢، ٢٣،إر٥٠:١٣،٢٣،٢٩،٤٠).

تنبأ دانيال بسقوط بابل (٥:٢٨-٣١). صرح إرميا بصوت عال بأن بابل قد ارتكبت إثماً مريعاً بتدمير شعب الله، ولذلك، فهي بدورها سوف تدمَّر، وتظل هكذا خربة إلى الأبد، وبابل الحرفية، الواقعة على نهر الفرات، هي موضوع نبوة إرميا (اصحاح ٥١). وإشارة بطرس للكنيسة في بابل يفهم منها بابل الحرفية، المركز الذي تشتت فيه اليهود (الذين آمنوا بالمسيح) (١بط ٥:١٣).

وحيث أن نمرود كان مؤسس بابل القديمة، فقد وضعنا دراستنا عنه أولاً في قائمة ملوك بابل. لقد ابتدأ عصر جديد لبابل بقدوم نبولاسار، الذي عُين حاكماً لبابل من قبل آخر ملك أشوري عندما قام الماديون بشن هجومهم الأخير على نينوي. ولأجل دراسة شاملة للأسرات قبل الإمبراطورية البابلية الجديدة بقيادة نبوخذنصر، فالمرء يعتمد على القصص التاريخية التي رواها هيرودوت وعلى النقوش المسمارية والألواح، وللحصول على موجز وافٍ لهذه الأشياء، مع معلومات عن الأسرات غير المذكورة في الكتاب المقدس، أشير على القاريء باللجوء للمقالة المختارة تحت عنوان «بابل في دائرة المعارف الكتابية الدولية الموحَّدة»، وكما يوضح عنوان كتابنا، فإن دائرة بحثنا محصورة في أولئك الملوك المذكورين بالتحديد في الكتاب المقدس، والذين حكموا أثناء تاريخها كإمبراطورية

عظمى. وفيما يتعلق بالأسرات البابلية القديمة يقول ر.ك هاريسون: «بعد ٣١ سنة من جلوسه على العرش، قضى حمورابي أخيراً على ما يهدد أمن إمبراطورية بابل، وأوصلها لذروة مجدها في فترة دامت حتى منتصف القرن السادس عشر ق.م.

نمرود
(تك ١٠:٨-١٢، أخ ١:١٠)
الملك الذي ابتدع الاستعمار

مع الابن السادس لكوش، نجد بدايات الإمبراطوريات ذات القوة الوحشية. إن تاريخ بابل ونينوي مليء بأحدث نتيجة للرغبات الأنانية والمنغلقة والمجرَّدة من المبادىء بعد الحصول على الممتلكات أو القوة. ونمرود أول جبار حرب في الكتاب المقدس والذي بهرت كفاءته في القتال أعين الناس، حتى برغم الكوارث الناجمة عن صحوة الطموح المجرَّد من المشاعر الإنسانية.

نمرود، أول شخص بعد الطوفان قد ذُكر عنه شيء أكثر من مجرد اسمه، فقد ذُكر أنه من نسل حام (تك ١٠:٨)، الابن الشرير غير الموقَّر لنوح (تك ٢٢:٩)، والذي ورث نمرود لعنته، والذي بدوره، كالجد الأعلى للمالك قد ميزَّ نفسه بعدم التقوى تجاه الله، وعدم المعاملة الإنسانية تجاه البشر، إن رذائل حام كانت في دم نمرود، وكانت سمة مميزة أيضاً للممالك التي أسسها.

ومع أن نمرود لم يذكر بالتحديد بأنه «ملك» فهو أول شخص في الكتاب المقدس يرتبط «بمملكة» وقد مدّ سلطانه حتى أصبح ملكاً للأمم التي أسسها أول ملك يذكر اسمه في تاريخ الكتاب المقدس، كان نمرود مؤسساً لبابل التي عُرفت لمدة طويلة باسم (أرض نمرود) وقد أنشأ ٨ مدن، ٤ في بابل و٤ في أشور. ولكن هذه المدن كانت مجتمعات قبلية صغيرة ومستقلة، ولكن نمرود حولَّها إلى ممالك أو إمبراطوريات. في المجموعة الجنوبية نجد بابل، المدينة الأعجوبة، وإرك وأكد وكالنل. وفي المجموعة الشمالية كانت نينوي، العاصمة الشهيرة لإمبراطورية أشور ورحوبوت عير وكالح ورسن.

بعد موت نمرود، جُعل إلهاً وأصبح اسمه مرادفاً لمردوخ. وكان يُمتدح كالبطل الممثل للامبراطوريتين العظيمتين بابل وأشور التي أسسهما. بقدوم نمرود، نرى بداية استعمار شرير، يتسم بالثورة الصريحة ضد المقدسات الإلهية والبشرية.

ينسب العرب إليه، في أرض إنجازات نمرود، كل الأعمال العظيمة في العصور القديمة، ويحتفظون باسمه في بلدة «برس نمرود» بالقرب من بابل، وفي «تل نمرود» بالقرب من بغداد، وفي «صدر نمرود»، السد الذي على نهر دجلة.

يكشف اسم نمرود عن شخصيته، وعلى الرغم أن بعض الدارسين يقول إن نمرود يعني حاكم، إلا أنه يبدو أنه مشتق من مجموعة من أسماء الأعلام التي تعبِّر عن المتاعب والعصيان. الاسم «نمرود» مشتق من الكلمة العبرية مرد Marad أي «يتمرد» وهي تقال أيضاً عن «الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض». ومثل هذه العبارة توحي بأنه ناضل بحثاً عن الشهرة والنفوذ، وعن طريق قوة الإرادة والقوة الفعلية حصل عليهما، وإذا كان متعطشاً للقوة، فإن طموحه كان بلا حدود حتى أنه تنهد حسرة مع الإسكندر الأكبر على عدم وجود عوالم أخرى ليفتحها.

إن السجل الكتابي عن هذا الاستعمار الأول يساء فهمه غالباً، فقد قيل عن نمرود إنه كان «جبار صيد أمام الرب» ولكن العبارة «أمام الرب» لا تعني هنا نفس الشيء عندما نقرأ عن إبراهيم أنه سار أمام الرب، وأن

داود رقص أمام الرب، فلم يكن هناك خشوع أمام الله في عمله كصياد. كما أن نمرود لم يكن خبيراً في فن الصيد للدرجة التي تجعل الله نفسه يقر بعظمته في فنه.

فالكلمة «أمام» Liphnee عد ١٦:٢ تعني «مقاومة» فقد كان متمرداً أمام الرب - في تحدٍ صريح له (تك ١١:٦)، وكان يخطيء بجسارة وتحدٍ ضد سلطة الله. كان نمرود وراء خططه الاستعمارية في معارضته للنواميس الإلهية، وكصياد، كانت قدرته غير محدودة لحماية الناس من الحيوانات المفترسة عندما كانوا في خطر دائم. يقول الأسقف أندروز إن نمرود «كان يتفوق على الناس كما على الوحوش في الغابة».

أصبح نمرود صياداً للناس كما كان صياداً للحيوانات، فعن طريق الغزو أو التسلط، أصبح حاكماً للبشر، وشهوته للسلطة جعلته أقرب ما يكون لحيوان مفترس منه إلى إنسان بشري، كما حدث مع أدولف هتلر، وقد وُصف نمرود أربع مرات بأنه «جبار»، وهي كلمة تعني «قائد»، «رئيس قبيلة» أو «بطل» وطموحه الزائد كان ينحصر في أن يصنع لنفسه اسماً، بغض النظر عمن يعانون في سبيل ذلك، إن الألواح البابلية القديمة تمثّله كملك منتصر في قتال مع أسد، والتاريخ العالمي، مع ذلك، يسجل أن نمرود كان يُسر بصيد الرجال، كما كان يُسر بصيد الحيوانات المقدسة.

يقول يوسفيوس المؤرخ اليهودي: «لقد أغرى نمرود الجنس البشري بألا ينسبوا سعادتهم لله، وإنما يعتقدون أن تفوقهم هو مصدر هذه السعادة. وسرعان ما اتجه نمرود إلى الطغيان، معتقداً أنه لا توجد طريقة أخرى تبعد الناس عن خوف الله، سوى بجعلهم يعتمدون على قوته هو.

يقول ترجوم يوناثان: «منذ تأسيس العالم، لم يوجد شخص كنمرود، قوياً في الصيد، وفي التمرد على الرب».

ويعبر ترجوم أورشليم عن ذلك بالقول: «كان قوياً في الصيد وفي الشر أمام الرب، لأنه كان صياداً لأبناء الناس، وقال لهم «لا تحذروا من عقاب الرب وخافوا من عقاب نمرود!» ولذلك يقال: «كنمرود ألقوي، القوي في الصيد والشر، أمام الرب».

تقول الصياغة الكلدانية لما جاء في أخ ١:١٠ «كوش ولد نمرود الذي بدأ يكثر الشر لأنه سفك دماً بريئاً، وتمرد على الرب».

لقد استغل نمرود طاقته لأغراض شريرة. فإذ كان مجرداً من خوف الله، لم يعمل أي حساب لتحقيق الصالح العام للبشر، وقد استخدمت القوة المكتسبة في الطغيان والظلم، يُنسب الفضل للملك ألفريد الكبير لقوله: «لايمكن للسلطة أن تكون خيِّرة إلا إذا كان المِمسك بها خيِّراً». وتقول ترجمة دكتور موفات لما جاء في ميخا ١٣:٥ «لا يجب أن تسجد فيما بعد للأشياء التي تصنعها». كانت حماقة نمرود في أن قواه لم تُسخَّر لأغراض خيِّرة. ولم يستخدم قوته ومهارته، لإنقاذ زملاءه الضعاف، ولكنه استخدمها ضد مصلحة الآخرين، وإذ أساء نمرود استعمال قوته، فقد أصبح مجرداً من الإنسانية، وحشياً قاسياً متحدياً لله.

اشتركت بابل في صفات مؤسسها، وأصبحت المقاوم الرئيسي لحث الله لشعبه، ولا نستطيع التغاضي عن أن نرى في نمرود أول محاولة شيطانية لإقامة حاكم بشري عالمي للناس، لقد كان رائداً لمن جاءوا بعده من الاستعماريين المتعطشين للقوة، مثل الإسكندر ونابليون وهتلر وموسوليني والدكتاتوريين الشيوعيين القساة.

إن عقاب الله لا يتغير «فكل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون». (مت ٥٢:٢٦). إن مصير الاستعماريين المتعطشين للدماء، سوف لا يثير إشفاق أحد، بل سوف يكون مصدر فرح للأتقياء والرحماء (مز ١٩:٩،

٥٨: ١٠، يع ٢: ١٣، رؤ ١٨: ٢٠). إن نمرود ومن على شاكلته، هم أضداد المسيح، الذي علم أن التضحية بالذات، وليست القوة، هي السبيل للعظمة الحقيقية والدائمة (إش ٥٢: ١٤، ١٥، مت ٢٠: ٢٥-٢٨).

نبولا سار

على الرغم أن هذا الملك البابلي غير مذكور في الكتاب المقدس، إلا أن السرد التاريخي الخارجي عنه يشكل مقدمة ضرورية لهذا القسم، نظراً لأنه والد نبوخذنصر الشهير.

كان الأمير الكلداني آخر حاكم عينته أشور، وقد عين نفسه ملكاً لبابل، وأصبح مؤسساً لإمبراطورية بابل الحديثة وحكم لمدة ٢١ سنة، وفي سنة ٦٠٦ ق.م فإن البابليين، الذين مع بروغ فجر إمبراطورية أشور، أكدوا استقلالهم، كانوا بقيادة نبولا سار متحالفين مع الماديين الذين أضعفوا أي نفوذ متبق لأشور، والتي كان سقوطها المدوي تأكيداً لنبوات صفنيا (٢: ١٣) وناحوم (٣: ١).

عقد نبولاسار تحالفاً مع (عمان ماردا Ummman Marda) ودعم هذا التحالف بزواج ابنه وخليفته نبوخذنصر من ابنه (استياجيس Astyages) الملك.

نبوخذنصر
(دا ١-٤)
الملك الذي كان طاغية متعجرفاً

يعلمنا الكتاب المقدس أن نعترف بالنفوذ المتحكِّم أو السلطة الفورية للحاكم البار الحكيم والقوي في كل الأحداث التاريخية، سواء كانت قومية أو شخصية. وعندما تنتقل الممالك من شخص لآخر، يجب أن نعلم أن الله هو القاضي «هذا يضعه وهذا يرفعه» (مز ٧٥: ٧). فلا يجب أن نعتقد أن العناية الإلهية بمعزل عن إدارة الكون، لأن «الله يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض» إن إلقاء نظرة على طبيعة العالم الوثني اللافت للنظر والتأمل فيه يعطينا مثالاً توضيحياً بارزاً على التدبيرات الإلهية التي تصوغ أهدافنا، على الرغم مما يبدو في الظاهر أننا نحن الذين نصوغها (أم ٢١: ١ مع حز ٢٩: ١٨).

إن التهجئة المنطقية لاسم نبوخذنصر يجب أن تكون نبوخذراصر، فالاستخدام المعتاد باستخدام النون خطأ، وهو اسم تكرر حوالي ٩٠٠ مرة في الكتاب المقدس.

إن نبوخذنصر بن نبولاسار اعتلى عرش بابل في سن مبكرة وحكم لمدة ٤٣ سنة، ومات في ٥٦١ ق.م عندما بلغ ٨٣ أو ٨٤ سنة من العمر يخبرنا هيرودوت أن أول ملكة كانت أميتيس، ابنة إستياجيس، والملكة الثانية هي نيتقريس، التي ينسب لها كثير من الأعمال، وقد كانت أم نبونيد. إن طاغية بابل المتعجرف هذا كان مجرماً جسوراً وقحاً، وقد كان أشبه ما يكون بفرعون في محاولته الاتصال بالسماء، حتى عرف أخيراً أن الله يقاوم المستكبرين، وأن من يرفع نفسه يتضع (لو ١٤: ١١، يع ٤: ٦).

كان نبوخذنصر بلاشك ملكاً مشهوراً وحكيماً وشجاعاً جسوراً كقائد حرب، استطاع بوسائله الشخصية أن يضيف مساحات شاسعة إلى الرقعة التي ورثها من أبيه. فكان أغلب العالم المعمور وقتئذ خاضعاً له، حتى أن «كل الشعوب والأمم كانت ترتعب وتخاف منه». وهو الذي جعل بابل سيدة وأعجوبة العالم القديم.

وعلى الرغم من أن السرد المفصل لإنجازات نبوخذنصر عندما كان ينتقل من غزو لآخر، خارج عن نطاق دورنا لتصوير ملك بابل العظيم، إلا أننا يجب أن نتعامل مع جانب أو جانبين من جوانب حياته.

إنه هو الذي قضى على مملكة يهوذا، وأوصل الأمة إلى

السبي في بابل، ونفس هذا الملك هو الذي هاجم يهوياقيم وأخضعه طبقاً لنبوءة إرميا، وسلب منه خزائنه وتركه خاضعاً له. وعند ثورة يهوياقيم فيما بعد، صعد عليه نبوخذنصر وأباده (٢مل ٢٤:١)، ثم خلع الملك الصغير يهوياكين وأخذه إلى بابل بعد نهب المدينة وهيكل أورشليم، ثم عين صدقيا كحاكم، وعندما حنث بيمين الولاء لنبوخذنصر، نصب البابليون أورشليم وقلعوا عيني الملك الخائن (٢مل ٢٥:١، ٧) وهكذا ليشبع طموحه أو أهواءه فقد كان ينصب ويعزل الملوك.

إن عظمة وبهاء قصر نبوخذنصر كانت معادلة لقوته وقسوته، فبابل، مقره ومركز امبراطوريته، قد جعلها أعجوبة العالم. إن عظمة مبانيها ومعابدها وقصورها الملكية وحدائقها أصبحت محط إعجاب العصر (إش ١٣:١٩). كان يبدو أن الملك وصل إلى قمة العظمة البشرية، ولو كانت الثروة والاحتفالات التقليدية الفخمة والسيادة تؤدي للسعادة الفائقة، لكان نبوخذنصر أسعد انسان في عصره. ولكن بقية قصته تكذّب النظرية القائلة بأنّ الثروة والتكريم تمنح السعادة.

وقد نتوقف لنتساءل عن مصدر هذه الرفعة والمجد الذي وصل إليه هذا البابلي المستبد. قد يبرز المؤرخون أن السبب يرجع لمشورة نبوخذنصر الحكيمة، وحكمة قواده أو قوة التحمل غير العادية لهذا الملك، ولكن أنبياء كإشعياء وإرميا وحزقيال يعلموننا أن نبوخذ نصر، على الرغم من أنه كان طاغية جباراً، إلا أنه كان أداة في يدي الله، خادماً استطاع أن يستخدمه الله لتنفيذ أغراضه، لقد صمم الله أن يعاقب شعبه على خطاياهم عن طريق وقاحة وظلم هذا الحاكم الكلداني، ولذلك سمح له بأن يواصل النجاح (٢مل ٢:٢٤، إر ٢٥:٨-١٢، ٢٧:٦، ٤٤:٣٠). ياله من إله عظيم، يستطيع من خلال تحكمه في كل الأحداث أن يسخّر حتى المبادىء الشريرة وأهواء البشر الفاسدة لتكون في خدمة مقاصده النبيلة!

وعلى الرغم أن نبوخذنصر يبدو أمامنا كشخص شرير، متكبر وظالم ومضطهد عنيد لشعب الله في القديم ومقاوم لله، إلا أنه برغم كل انحرافاته، كان يهتم اهتماماً خاصاً بخدام الله. عندما هُجرت أورشليم، أظهر الملك عطفاً على إرميا، واختار دانيال ليكون رئيساً لوزرائه في بابل واستمر النبي يمارس نفوذه خلال حكم نبوخذنصر ومن أتوا بعده. ومع ذلك فحتى علامات الشفقة هذه، تنسب لتأثيرات العناية الإلهية التي حاصرته وليس لأي صلاح في موقف نبوخذنصر، على الرغم أنه خلال مدة حكمه الطويلة، كانت لديه فرصة كافية لإرضاء الله بدلاً من إغضابه.

والتحدي الذي نراه في نبوخذنصر يتمثل في أنه لم يكتف بنهب وتدمير هيكل الله في أورشليم، لقد حمل الآنية المقدسة إلى بابل ووضعها في هياكل أوثانه. كان يوجد ببابل ٥٣ معبداً و١٨٠ مذبحاً لعشتار، وكانت الآلهة الوثنية تُكَّرم باعتبارها قد انتصرت على إله إسرائيل، وألصقت التهم المخزية بالنسل الملكي الذي صار بعض أفراده يخدمون كخصيان في قصر الملك (دا ١:٦، ٧). ومع ذلك فهذه الشخصية التي تستحق الازدراء كشخصية نبوخذنصر قد تلقّت رؤية سماوية تتعلق بتأسيس ملكوت المسيح على أنقاض امبراطوريات العالم العظمى - إنها رؤية اضطر دانيال لتفسيرها (دا ٢).

ومع أن نبوخذنصر اعترف بأن الإله الذي كان يعبده دانيال هو إله الآلهة، إلا أنه ظل وثنياً وأقام تمثالاً ضخماً ليستعرض عظمته الفائقة ويخلد اسمه (دا ٣:١) وعند تدشين التمثال الضخم، أمر الجميع بالسجود أمامه، وإلا فمن يرفض ذلك، فإنه يعرِّض نفسه لموت مريع. ولكن أصدقاء دانيال الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو، رفضوا

السجود للتمثال، وكلنا نعرف القصة المثيرة لإنقاذهم من أتون النار.

إن الحفظ الإلهي لدانيال وشجاعته أخجل كبرياء هذا الحاكم القوي، وكان يبدو أنه سوف يرجع إلى الله في تواضع. إن نبوخذنصر وهو منبطح عند قدمي دانيال كان يمثل تواضع قوي الأمم أمام إله إسرائيل. ولكنه لم يتب توبة حقيقية. فقد ظل خاضعاً لسيادة أهوائه الشريرة السابقة. فقد ارتفع قلبه وقست روحه في كبرياء (دا ٥: ٢٠)، وعرف في حلم القضاء الذي كان على وشك أن يصيبه (دا ٤: ١) لقد طُرد من بين الناس لمدة سبع سنوات وأصبح رفيقاً لوحوش الحقل.

كم صالح الله الذي سمح لطاغية بابل أن يظل على قيد الحياة برغم كل ما عمل!

وبعد انقضاء السنوات السبع من النفي والشدة، استعاد نبوخذنصر عقله وحكمه، وعاد لكل مجده السابق، وباستعادته لذلك، تغير سلوكه الأخلاقي، كان له موقف عقلي مختلف. فقد بدت عليه إمارات التواضع والطاعة. وسجد أمام الرب وباركه وسبح العلي واعترف بحقه في عقابه عما فعل. وسواء كان التغيير الذي طرأ على نبوخذنصر دائماً أم لا، فهذا موضوع مفتوح للنقاش. وبشفائه من حالته الحيوانية، أصبح نادماً على ما فعل. ولكن هل رجع إلى الله حقاً بكل قلبه أم لا، فهذا لا نستطيع أن نؤكده. ولكن ما نعرفه أن رحمة الله تسع أشر الخطاة (أم ١٦: ٦).

أويل مردوخ
(٢مل ٢٥: ٢٧-٣٠، إر ٥٠: ٢، ٥٢: ٣١-٣٤)
الملك الذي أشفق على ملك أشور

كان أويل مردوخ ابن وخليفة نبوخذنصر، والمسمى باسم بيل مردوخ إله الحرب، ذا شهرة عظيمة في أشور وبابل، يُعتقد أنه حكم بابل أثناء الفترة التي فقد فيها أبوه عقله، وعندما استعاد نبوخذنصر سيطرته على الإمبراطورية بعد الكارثة التي لحقت به، وسمع عن سوء سلوك ابنه وأنه ابتهج بالمأساة التي لحقت بأبيه، ألقى به في غياهب السجون، حيث التقى بيهوياكين أو يكنيا وأصبح صديقه.

كانت فترة أويل مردوخ القصيرة في الحكم. والتي تبلغ سنتين تتسم بحكم غير منضبط، لا يسود فيه القانون. وكل ما نعرفه عنه أنه بعد اعتلائه العرش، أطلق سراح يهوياكين، ملك يهوذا من السجن بعد ٣٧ سنة من السبي، وأغدق عليه كثيراً من النعم، ووهبه امتيازات خاصة كل بقية حياته. قُتل أويل مردوخ بيد نيري جلاسار أو نرجل شراصر، صهره، وهو شريف بابلي تزوج أخت أويل مردوخ، واعتلى العرش.

ولا يُعرف سوى النذر اليسير عن نرجل شراصر. لقد كان واحداً من أولئك الذين أطلقوا سراح إرميا من السجن (٣٩: ٣، ١٣)، من المرجح أنه كان قائداً في جيش نبوخذنصر (إر ٣٩: ٣). وبعد اغتياله لأويل مردوخ، حكم لمدة أربع سنوات. إن القصر الوحيد المكتشف على الضفة اليمنى لنهر الفرات بناه نرجل شراصر أو نيري جلاسار.

لم يكن لابوروسوركود Laborsorchod سوى غلام عندما خلف والده نرجل شراصر، كملك بابل، وقُتل بعد مدة حكم لم تمتد سوى تسعة أشهر.

نبو نيدس
الملك الذي كان آخر ملك في الإمبراطورية

في حين أنه لا يوجد لدينا مرجع كتابي لنبونيدس والمعروف أيضاً باسن نبونيد، إلا أنه من الضروري أن نضعه في قاعة ملوك الكتاب المقدس، حيث أنه كان والد

بلشاصر. إننا نتحدث عنه كآخر ملك في امبراطورية بابل الحديثة، نظراً لأنه من بين سجلات (رولنسون) Rowlin-son المكتشفة، كانت هناك وثيقة رسمية من كورش، ملك فارس الذي غزا بابل تقرر أن نبونيدس هرب أولاً، إلا أنه أخُذ أسيراً فيما بعد بعد موت بلشاصر، ويبدو أنه من الثابت أن نبونيدس عاش وقتاً طويلاً بعد القضاء على بابل.

مع أن بلشاصر يذكره دانيال مراراً كآخر ملك لبابل، إلا أنه لا يوجد ذكر له في سجلات بابل، أو أي تاريخ آخر يسرد قائمة لملوك الإمبراطورية.

وبسبب هذه الحقيقة والحقيقة الأخرى أن نبونيدس كان من المعروف أنه آخر ملوك بابل، فقد أشارت مصادر موثوقة من النقاد إلى بلشاصر كشخصية أسطورية، إلا أن الأيام كانت في صف الكتاب المقدس حين اكتشف السير هنري رولنسون عام ١٨٥٤ في «أور الكلدانيين» بعض الأواني الفخارية الأسطوانية تحتوي على نقش كتبه نبونيدس يذكر ابنه بلشاصر. والفقرة المنقوشة الكاملة تقول: «أما عن نبونيدس، ملك بابل، فأرجو إلا أخطىء إليك (إلهه الوثني). وليت الخشوع لك يسكن في قلب بلشاصر، ابني الأول، ابني المحبوب».

وهكذا، كما يذكر «سدني كوليت» في «كتاب الحق»، فقد اتضحت هذه الحقيقة:

«نبونيدس وبلشاصر ابنه كانا يحكمان معاً في نفس الوقت، مما يفسر - كما لا يمكن لشيء آخر أن يفعل - عرض بلشاصر أن يجعل دانيال ثالثاً في المملكة (دا ٥:١٦) نبونيدس الأول، وبلشاصر ولي العهد، الثاني، وإلا لكان دانيال قد ذُكر ثانيًا للمملكة، مثلما فعل فرعون مع يوسف. هذه حالة أخرى نجد فيها قصتين تبدو متعارضتين، ولكن كليهما صحيحتان. كان المؤرخ الكلداني محقاً بقوله أن نبونيدس كان ملكاً، بينما الكتاب المقدس منذ القدم كان صحيحاً بنفس الدرجة بقوله إن بلشاصر كان ملكاً». إن نبونيدس، الذي حكم لمدة ١٧سنة، وأحد قاتلي الملك السابق، سعى لتركيز ديانات بابل، ولهذا الغرض جلب لبابل تماثيل الآلهة من مدن أخرى. وقد أغضب هذا العمل اليهود، ولم يلق تأييداً من الكهنة أو العسكريين، إذ شعر الأخيرون أن نبونيدس كان يهمل تأمين الامبراطورية بسبب اهتمامه بالقيم الماضية. يقول ر.ك هاريسون عن نبونيدس، الذي اقتسم عرشه مع ابنه، بلشاصر إنه:

«كان رجلاً على قدر كبير من الثقافة، وكان مهتماً بنوع خاص بالأبحاث الاركيولوچية. وقد وزع مكتبته في كل أنحاء بلاد ما بين النهرين ليجمع النقوش القديمة من مصادر متفرقة على نطاق واسع، وأمر بجمع أسماء وتواريخ ملوك ما بين النهرين، وهذا من بين الأسباب التي تدعو للاعتقاد أن أمه كانت كاهنة في معبد إله القمر في حاران، وهذا ما أثَّر على نبونيدس ليصبح متمسكاً بالقيم الدينية القديمة. كان آخر ملك بابلي يحاول إصلاح عبادة إله القمر في أور، وعندما أكمل ما أراد أقام ابنته كرئيسة كهنة».

وعلى الرغم أن نبونيدس عاش في بلاد العرب، كان بلشاصر الحاكم الوحيد في بابل، ولذلك يشار إليه كآخر ملك في بابل (دا ٥:٣٠).

بلشاصر
(دا٥)
الملك الذي كان تديُّنه للمقدسات مدمّراً

إن تاريخ بلشاصر، ابن نبونيدس وشريكه في الحكم، يوضح ويؤكد ملاحظة أن حاكم العالم القدير (الله) ليس

معروفاً كما يجب. هل لأنه غير منظور أم أن الناس تتجاهله وتنكره؟ «أين الله صانعي؟» (أي ٣٥ : ١٠)، فإعلانات المعاملات الإلهية مع القدامي في العصور الماضية، والعقاب الذي حل بالملوك والحكام بسبب آثامه سرعان ما نُسيت في قصور بابل.

بلشاصر، حفيد نبوخذنصر، (الكتاب المقدس يدعوه «ابنه» كتعبير يوحي بأنه ينحدر مباشرة من نسله بدلاً من أن يتعلم البر من كبرياء نبوخذنصر، والعقاب الذي لحقه كنتيجة لها، تقدم إلى مستوى أخطر من تدنيس المقدسات أكثر من جدُّه. فلم يكن للماضي أثر مفيد في حياة بلشاصر، وعندما لحق به الهلاك فجأة في النهاية، فقد استُعلن في نهايته المريعة والمستحقة عدالة الله وبره. وظل بلشاصر بمثابة تحذير جاد لكل الحكام المتعاقبين بأن العصيان الوقح دائماً يلقى جزاءه من قبل إله السماء الذي يدين الأرض.

القصة الوحيدة المقدَّمة عن بلشاصر تصوره كمجرم جسور، متطرِّف، مجدِّف، مرتكب لأفعال جنسية فاضحة دون إحساس بالخجل. إن سلوكه أشد هولاً في ضوء المصالح القومية، لأن بلشاصر كان قد هُزم في معركة على يد كورش، ملك مادي وفارس، الذي كان قد حاصر بابل لمدة سنتين، وبدلاً من أن يرعى مصالح امبراطوريته، استسلم بلشاصر للملذات الحسية، وإذ كان يثق في المناعة الحصينة لبابل، وفي قوته التي كان يتوهم أنها لا تُقهر، فقد احتقر أي محاولة للهجوم على عاصمته. وإذ كان يعتمد على ذراعه البشرية، فقد نسي أن جده، نبوخذنصر، اضطر أن يتعلم أن «العلي متسلط في مملكة الناس». لم يستطع الملك أن يضبط نفسه ويمتنع عن فجوره حتى في وقت الكارثة القومية. ولذلك فقد فاض كأس إثمه.

وعلى الرغم أنه توجد العديد من الليالي المظلمة في تاريخ الكتاب المقدس، إلا أنه من أسود الليالي كانت تلك الليلة التي تفرَّغ فيها بلشاصر لكل أنواع اللهو والولائم والضحك والرقص مع زوجاته وسراريه والآلاف من قواده. وبالإضافة لكل هذا كانت هناك رجاسة من أسوأ الأنواع ألا وهو الاحتقار العلني لله. فالآنية المقدسة التي جلبها نبوخذنصر من أورشليم كانت تُستخدم في تلك الوليمة الصاخبة، وفي ذلك إهانة لسبايا اليهود والله الذي عبدوه.

ومن بين سكِّيري الكتاب المقدس، يبرز بلشاصر كأكثرهم نجاسة لأنه سمح لضيوفه السكارى أن يدنِّسوا الآنية المقدسة بلعابهم. لقد تصور الملك أنه من باب الدعابة أن يشرب نخب الآلهة الوثنية من آنية مخصصة لعبادة الله. ولنا أن نتصور هذا السكِّير المدمن يمسك بإحدى الأواني وهو يصيح في صوت صاخب قائلاً «أين إله العبرانيين الآن؟ ليخرس كل لسان يرفض أن يشرب نخب آلهة بلشاصر». أين اله إسرائيل وياللحسرة، فقد كان الله أقرب مما يتصور بلشاصر أو أي واحد من السكارى الثملين!

تحول الضحك غير المقدس سريعاً إلى نواح، والفرح المصحوب باللذات الحسية إلى غم واكتئاب، لأنه في وسط سعادته غير المقدسة صدر الحكم الإلهي بالدينونة على بلشاصر، وسرعان ما تم كبح زمام الوقاحة والنجاسة فجأة - فقد تحدَّى الأرض والسماء في لحظة، وفي اللحظة التالية يقف الملك السكير مهتزاً كالمجرم الواقف في القفص أمام منصة العدالة. إن أصابع غريبة تكتب على الحائط، ومع أن الملك لا يستطيع تفسير الكتابة، إلا أنه فزع واصطكت ركبتاه». فشل حكماؤه في تفسير الكتابة غير المفهومة على الحائط، واضطر دانيال الذي كان الملك يشعر نحوه بقليل من العطف، أن يفسر الكتابة الغامضة:

لم يستغرق دانيال وقتاً طويلاً في تفسير الاتهام الموجّه

للملك المجرم، وأعلن إدانة بلشاصر على كبريائه ونجاسته وإفراطه دون خوف أو وجل. قرأ دانيال للملك المعذّب الضمير تلك العبارة المريعة على الحائط «منا منا ثقيل وفرسين» والتي كانت تعني أن العلي القدير قد قرر نهاية الامبراطورية البابلية العظيمة، فالله في السماء قد وزن الملك المتعجرف المتحدي في الموازين، فوجده ناقصاً. وبموته آلت امبراطوريته إلى الماديّين والفارسين، إن قوة وكبرياء بابل قد زالتا باختفاء بلشاصر. هذا ما عمله الله، لأننا نفهم أن هذا عمله».

بعد أن ارتعب بلشاصر لرؤيته أصابع يد إنسان تكتب مصيره، اقتحم جنود داريوس السلم الرخامي، ودخلوا قاعة الوليمة، وضرب جندي فارسي بسيف مسلول بلشاصر تحت الضلع الخامس، وسقط على الأرض وسط آلاف النبلاء ونسائهم الذين ماتوا وسط الخمر الممتزج بالدماء. ياله من إنذار لكل السكيرين بألا يدنسوا المقدسات - خاصة الجسد الذي هو إناء مقدس!

قتلوه في تلك الليلة على عرش والده
مات دون أن يلحظه أحد واليد غير معروفة
بلا تاج وبلا صولجان يرقد بلشاصر
ورداء أرجواني يلف جسده الترابي

ملك بابل
(إش ١٤:٤)

يُرمز لضد المسيح بهذا اللقب، لأنه النهاية والتاج الختامي لبابل.

الفصل الخامس

فارس والملوك الفرس ٥٣٩ - ٣٣١ ق.م

كانت فارس نفسها في الأصل بلداً صغيراً، إن أكامينيس Achaemanes هو الذي اقتاد المهاجرين الفرس لكي يستقروا في مقرّهم الأخير في ٧٠٠ ق.م، وكانت هذه مملكة قديمة في أسيا. إن الفرس جنباً إلى جنب مع العبرانيين والأشوريين وعدد كبير من العرب كانوا من نسل سام. وفي وقت من الأوقات امتدت فارس من الهند إلى مصر وتراقيا، وكان نهر دجلة هو النهر الرئيسي لها. وكان يحدها من الشمال مادي وبحر قزوين، وأقليم التتار الروسي وجبال القوقاز، ومن الغرب سوريا أو نهري دجلة والفرات، ومن الشرق أرمينيا وكابول وبلوخستان، ومن الجنوب الخليج الفارسي (إس ١:٣).

ومما يدل على حجم فارس افتخار كورش أمام اكسينوفون قائلاً «امبراطورية والدي متسعة لدرجة أن الناس يهلكون من البرد في أحد الأطراف، في حين يختنقون من الحرّ في الطرف الآخر». وهذه سمة لا تزال تميز الأرض، كما هو الحال في القارة الأمريكية. وبعد ٧٠ سنة من الخضوع لمادي، ثارت فارس وأصبح لها السيادة في سنة ٥٨٨ ق.م، ولهذا السبب كان وصف دانيال لها بإمبراطورية مادي وفارس.

الكلمة العبرية لفارس Persia هي Phars، أو التسمية الحديثة Parsa أو Parsee (حز ٢٧: ١٠، ٣٨:٥)، وتُعرف أيضاً باسم Fars أو تركستان، إحدى أقاليم فارس الحديثة وبالنسبة لليهود، كانت معروفة باسمها القديم عيلام. ودانيال يدعوها فارس (٢٨:٥) وزكريا الذي ابتدأ يتنبأ بعد حوالي شهرين من حجي في السنة الثانية لداريوس هيستوبس واستمر يتنبأ لمدة سنتين. مثل دانيال، يصف زكريا رمزياً الإمبراطوريات العظمى الأربع، إذ تمثّل المركبات والخيول الإمبراطوريات البابلية والفارسية واليونانية والرومانية (١:٧). وتنبأ دانيال بنهاية إمبراطورية فارس على يد الإسكندر الأكبر في الوقت الذي

كانت تصعد فيه إلى قمة مجدها (١١:٢،٤).

كقاعدة عامة كان ملوك الفرس يميلون لمعاملة اليهود معاملة حسنة، وقد سمحوا لهم بالعودة من السبي وقد ساعدوهم في إعادة تأسيس دولتهم. كانت سياسة ملوك الفرس إعادة الشعوب الذين سبق وتم ترحيلهم على يد الغزاة الأشوريين والبابليين إلى أوطانهم مرة أخرى. يوضح هالي أن إسرائيل وجدت الرعاية والحماية في مصر في أيام قوة مصر، وتم تدميرها من قبل أشور وبابل في أيام مجدها، واستردت وطنها على يد فارس في أيام مجد فارس... والأسفار الثلاثة الأخيرة التاريخية من العهد القديم فيما بعد السبي، وهي عزرا ونحميا واستير تقدم لنا وصفاً لمعاملة إسرائيل على يد الفرس، كما تقدم لنا سجلاً بكل ما يتعلق بمملكة فارس والبلاط الملكي، ويؤكد التاريخ العالمي المستقل السجل الكتابي.

عندما أطاح الفرس بالماديين، فقد ساروا على نهجهم في الرفاهية واتبعوا آلهتهم. وللحصول على دراسة مستفيضة عن الديانة الفارسية، نوجه نظر القاريء للمقالة الشاملة عن هذا الموضوع في دائرة المعارف الكتابية الدولية الموحدة The International Standerd Bible Encydopedia يكفي أن نقول إنه كانت هناك العبادة الثنائية لـ أرمزد Ormuzed، الإله العظيم السامي واهب الحياة، وميثرا Mithra، الشمس، وHoma القمر، كانت عبادة العناصر شيئاً شائعاً لدى الفرس.

وبالنسبة لملوك الإمبراطورية الفارسية، نلاحظ أن ملوكها كانوا مستبدين يرأسون مجلساً «رؤساء فارس ومادي الذين يرون وجه الملك ويجلسون أولاً في المُلكْ» (إس ١:٤١، عز ٧:٤١)، لم يكن لهؤلاء الرؤساء أي سلطة في حكم الأمة. كان الملك ينتدب أولئك الذين يخدمونه (إس ٣:١-١٠، ٨:٨، ١٠:٢، ٣)، وكانت خدمة الملك تسجل ويؤخذ عنها مكافأة (اس ٢:٣٢، ٦:٢،٣).

ومن يدخل إلى حضرة الملك دون إذن، يعرِّض نفسه لعقوبة الموت (إس ٢:١٢،١٥،٤:١١-١٦)، كانت شريعة مادي وفارس تتحكم في قرارات الملك (إس ١:١٩)، الذي كان حاكماً مطلقاً ذا سلطة غير محدودة. ولننتقل الآن لإلقاء نظرة على ملوك فارس الذين يتحدث عنهم الكتاب المقدس.

كورش ٥٥٨ - ٥٢٩ ق.م
(٢أخ ٣٦: ٢٢، ٢٣، عز، إش ٢١: ٤١-٤٦، دا ٢١، ٥، ٧، ٨، ١٠: ١)

الملك الذي يقدم مثالاً على السلطان الإلهي

إن كورش الذي يرد اسمه حوالي ٢٤ مرة في العهد القديم، كان سليلاً للعائلة الفارسية القديمة التي يطلق عليها اسم الاكمنيدي Achaemenidae، والتي كان أسلافها رؤساء أو (ملوك) إيشان، منطقة في فارس أو عيلام. كان ابن قمبيز الفارسي، وماندان، ابنه استياجس، ملك مادي (انظر ٢أخ ٣٦:٢٢،٢٣، عز ١٠:١،٢) يقدم بولنجر نظرية نرفضها بأن كورش كان ابن استياجس واستير، وبذلك تم ما جاء في إش ٤٤:٢٨، ٤٥:٤. هكذا فطبقاً لهذا المفسِّر، فإن سفر استير يجب أن يسبق سفري عزرا ونحميا، وأن كورش كان قد أعد إعداداً جيداً للدور الذي لعبه عن طريق استير ونحميا ومردخاي.

تنبأ إرميا أن الاضطهاد الكلداني سوف يستمر ٧٠ سنة، وهذا ما حدث، وأن نبونيدس آخر ملوك بابل سوف يموت، وكان قد اعتلى العرش في ٥٥٥ ق.م، لمدة ٧٠ سنة بعد معركة كركميش في ٦٠٥ ق.م. إن كورش العظيم استولى على بابل في سنة ٥٣٨ ق.م، وهكذا فإن التاريخ

الفارسي كما نعرفه بدأ بهذا الفاتح العظيم، الشهير بفتوحاته التي لا نظير لها، وسلوكه البطولي الذي أكسبه تعاطف الماديين، ويكتب ر.ك هاريسون عن إنجازات هذا الملك الفارسي النشيط قائلاً: «ضم شعب دولة مادي التابعة له بسرعة، وقام بثورة ضد استياجيس الحاكم الذي له السيادة عليه. وبعد وقت قصير هزمه في معركة، وهكذا أصبح كورش وريثاً للإمبراطورية المادية الفارسية. هكذا كانت قوته عظيمة حتى إن تحالفاً تكوَّن سريعاً ضده. والذين اشتركوا في هذا التحالف كانوا يتألفون من كروسوس، ملك ليدية (آسيا الصغرى)، الملك ذو الثراء الخرافي والذي يُنسب إليه فضل اختراع العملة، ونبونيدس ملك بابل وأمازيس فرعون مصر (٥٥٩-٥٢٥ ق.م) في سنة ٥٤٦ ق.م، هاجم قوات كروسوس وهزمه، وبذلك فرض سيطرته على كل أسيا الصغرى، ثم جاء انتصاره على بابل.

عندما اقترب كورش من العاصمة الكلدانية، ابتهج كثيراً كلاً من الأنبياء المعروفين والمغمورين، لأن الوقت الذي عيَّنه الله قد جاء لتزكية صهيون (إش ٢١:٩، ٢٤:١٤-٢٥، ٤٠-٦٥). ويذكر إشعياء كورش بالتحديد كالشخص الذي عن طريقه سوف تتحقق الأهداف الإلهية في التاريخ (٤٤:٢٨). وبعد الاستيلاء على بابل دون قتال، منح كورش الإذن لليهود ليعودوا إلى أرضهم (عز ١:١-٤٠). يقول الأسقف وستكوت: «إن الآثار الدائمة التي تركتها فارس على العالم يمكن تتبعها من خلال الشعب اليهودي أكثر من أي قناة أخرى، فالقوانين والأدب ونفس آثار عظمة فارس المادية كلها قد اندثرت، ولكن يمكن تمييز النتائج التي أحدثوها في إعداد اليهود لإتمام رسالتهم المعدَّة لهم من الله». إن المعجزة كما يبرزها (وين ستانلي)، هي أن الوثيقة التي تفتتح عصراً جديداً لليهود، لم تأت من قبل مشرع يهودي أو نبي أو كاهن، بل كانت مرسوماً أصدره ملك أممي!».

يصف الأنبياء مزايا وعيوب هذا الملك الفارسي بعبارات واضحة، فإشعياء يتحدث عن كورش على اعتبار أنه «لُقِّب» و«نُطِّق» من قبل الله على الرغم أنه لم يعرف الله (٤٥:٤، ٥). وأنه أيضاً «دُعي» من قبل الله، كما دعى إبراهيم واسحق (٤٦:١١، تك ١٧:١٩). والرب أيضاً نبَّه «روح كورش» ليعمل الأشياء التي عملها «لأجل عبدي يعقوب وإسرائيل مختاري» (٢ أخ ٣٦:٢٢). ويطلق الرب على كورش لقب «راعيَّ» و«مسيحه» أو المسيا. وهو «الرجل البار من المشرق» (٤١:٢)، والشخص المعين لبناء أورشليم وتأسيس هيكلها المدمر (٤٤:٢٨،٤٥:٦).

ويصور إشعياء بالمثل الجانب الآخر من شخصية كورش، ولأنه طموح كفاتح فهو «كطائر جارح من المشرق» ،«كدب» مفترس كالمؤسس للإمبراطورية الثانية من بين الإمبراطوريات الأربع الوحشية التي يصفها دانيال «وكالكبش صاحب القرنين» فإن كورش يُرمز له بأنه الشخص الذي سوف يجمع ما بين - مادي وفارس - في شخصه، وهذا ما فعله (دا ٨:٣-٢٦)، إن اختيار الله لملك أممي ليساعد شعبه، اليهود، يقدم لنا ثلاثة دروس عظيمة:

١- إن كل أعمال الله معروفة عنده منذ بدء العالم (إش ٤٤:٧،٨، أع ١٥:١٨).
٢- إن الله، فيما يتعلق بما ندعوه عنايته المعتادة، يستطيع أن يجعل كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبونه (رو ٨:٢٨).
٣- يختار الله أحياناً الأمم كما يختار اليهود، وعظماء هذا العالم، وأحياناً غير الكاملين وغير الراسخين في العلم، كما يختار القديسين والأنبياء، كأدوات في يمينه ولتنفيذ أغراضه. حقاً

إن «ريحه تهب حيث تشاء» (يو ٣:٨)!

إن شخصية كورش، الذي كان يكره الأصنام ويعبد الله الواحد، ولهذا السبب تأثر كثيراً بإحساس إسرائيل بقوة ومجد الله، لا تصعب دراستها، فكرمه، وسلوكه البطولي المتسم بالشفقة ومساعدة الآخرين، قد أكسبه تعاطف الماديين. يكتب دكتور (و.كاي) في تعليقه على ما جاء في إشعياء عن هذا الملك الفارسي قائلاً: «أقر كل من الكتاب المقدس والعصريين أن شخصية كورش تتميز بالنبل بشكل فريد. كان نشطاً وصبوراً وعادلاً وفطناً ومتسماً بالكرم والشفقة والتواضع، ومحباً للتدين، يدعوه (اسكيلوس) «شفوقاً» واختاره (اكسنيفون) كالحاكم القدوة لكل الأمم، ويقول (بلوتارك) عنه إنه يتفوق بكثير على كل الملوك في الحكمة والفضيلة وعظمة النفس، بينما يصر كاتب ألماني يدعى (ديليتش) على أن: «المبادىء الأساسية للسياسات العالمية تتسم بالأنانية، ولكن كورش الذي يستحق تكريماً خالداً، كان يتصرف بناء على مبادىء أطهر من ذلك».

وفقاً للأقوال المقتبسة كثيراً للكاتب الدستوري الفكتوري، يؤكد (باجيهوت)، أنه إذا كانت القوى العظمى الثلاث للحكام هي الحق في أن يؤخذ بنصائحهم، والحق في التشجيع، والحق في التحذير، فإن كورش كان حاكماً تتجسَّد فيه كل هذه الحقوق.

قبل موته في يوليو سنة ٥٢٩ ق.م، بعد أن حكم لمدة ٢٩ سنة، فإن كورش كان قد كوَّن أكبر إمبراطورية قد شهدها العالم حتى هذا المنعطف التاريخي - إنها إمبراطورية دامت لما يقرب من ٢٠٠ سنة، أما عن موته، فيقول بعض الكتاب إنه مات في سلام على فراشه. ويؤكد آخرون أنه قُتل في معركة ضد عشيرة حدودية في سنة ٥٢٩ ق.م. وقبره في (البرجاب) بالقرب من آثار (باسارجادة)، في فارس. وسجل بلوتارك أن النقش الآتي كان على قبر كورش «أيها الإنسان، كائناً من تكون، ومن أي مكان جئت، أنا كورش، مؤسس الإمبراطورية الفارسية، لا تحسدني على التراب القليل الذي يغطي جسدي». ويقال إن الإسكندر الأكبر قد تأثر كثيراً بهذا النقش، عندما رآه أمامه، بطريقة لافتة للنظر، نظراً لعدم يقينية وتقلبات الأمور العالمية، وإذ وضع تاجه الذهبي على قبر كورش،. تساءل لماذا لم يُدفن ملك بهذه الشهرة وهذه الممتلكات من الخزائن الضخمة، بطريقة تليق بثرائه العريض؟.

قمبيز

هذا الابن الأكبر لكورش وخليفته، يتم الحديث عنه على أنه أحشويرش، ويُعرف باسم احشويرش في (عز ٤:٦، دا ١١:٢). ومع ذلك ليس هناك دليل على أنه دُعى «أحشويرش» - الاسم الذي أعطى لـ استياجيس، ملك الماديين (دا ٩:١) ولزوج الملكة أستير (اس ١:١). إن سجل قمبيز، الذي حكم لمدة ٧ سنوات - ٥٢٩ - ٥٢٢ ق.م - لا يحتاج لمساحة كبيرة. كان له أخ، يُدعى باردس أو سميرديس، قتله سراً بعد وقت قليل من إعتلائه العرش، من المرجح خوفاً من محاولته التمرد عليه، غزا قمبيز مصر، وفتحها بعد معركة شرسة في الفرما في سنة ٥٢٥ ق.م. وتصرف بدبلوماسية لبقة ورقة مع المهزومين، وبعد إخضاع مصر، استسلمت له القيروان وبرقة (طرابلس الحالية). وقد تخلى عن محاولة للاستيلاء على قرطاج. وفيما بعد ، قاد الملك أبسماتيك الثالث المصري، والذي سبق لقمبيز أن أنقذ حياته، ثورة ضد الملك الفارسي الذي أخمدها بقدر كبير من الشدة، وأخذ الملك المصري وتم تنفيذ حكم الموت فيه، ودمرت العديد من المعابد المصرية. ثم نصَّب جوماتا Goumata المنتحل لشخصية أخي قمبيز

المقتول، نفسه ملكاً على فارس بعد أن حصل على تأييد كبير لدعاواه، فاستجمع قمبيز بقايا جيشه المحطم وسار ضد جوماتا، ولكنه في الطريق إليه مات إثر جرح أحدثه بنفسه، ويعتقد أنه إذ كان مريضاً بمرض عقلي، فقد انتحر.

سمرديس

إن هذا المدعي، سمرديس الكاذب، الذي يطلقون عليه اسم «جوماتيس»، والذي يظنه البعض أنه احشويرش لونجيمانوس (كان لملوك فارس عادة أكثر من اسم)، كان هو الذي اغتصب العرش وحكم في فارس لمدة ثمانية شهور في سنة ٥٢٢ ق.م منتحلاً شخصية ابن قمبيز الأصغر، سمرتيس (عز ٤:٧-٢٣، دا ١١:٢) إن احشويرش سمرديس هو الذي منع استمرار العمل الذي ابتديء به تحت حكم كورش واستمر في عهد ابنه لإعادة تسكين اليهود في أورشليم، وفي مرسومه لا يوجد دليل على الإيمان بالإله العظيم الذي كان يميز مرسوم كورش، كانت العقيدة المجوسية لسمرديس وهي الإيمان بالحلولية (إن الله يحل في كل شيء وفي الكون) - تتمثل في عبادة العناصر - التراب والهواء والماء والنار.

وبعد فترة حكم وجيزة تبلغ ٨ شهور، تم الإطاحة بسمرديس وقتله على يد داريوس وإخوته الستة من الرؤساء والذين ذكر هيرودوت أسماءهم، وقد تأكد ذلك في النقوش التي خلفها داريوس في (بيسيتون).

وحيث أن «داريوس» كان الاسم الشائع للعديد من ملوك مادي وفارس، فمن الضروري أن نميز بين الملوك الشرقيين الذين تسموا بهذا الاسم في العهد القديم. فعندنا أولاً:

داريوس المادي (دا ٥:٣١)

إن خليفة بلشاصر هذا على عرش بابل يملأ جنبات الأصحاح السادس من سفر دانيال، وهو الملك الوحيد الذي سُجل عمره ونسبه وجنسيته. ومع أن داريوس هذا لم يذكره مؤرخو الإغريق قط، ولم يوجد أي لوح فارسي يحمل اسمه، إلا أن هناك احتمال أن يكون هو جوبارو Gubaru، ملك بابل، الذي يظهر في النقوش البابلية، وقد بذلت الجهود للتعرف عليه، فمنهم من قال إن داريوس المادي هو قمبيز، ومنهم من ذكر أنه أبوه، كورش الفارسي، وقال البعض الآخر إنه أحشويرش، زوج أستير.

داريوس الأول

إذ كان معروفاً باسم داريوس الأعظم أو داريوس الأول، فإن ملك فارس هذا، ابن هيبتاسبيس Heptaspes، حكم لمدة ٣٧ سنة - ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م - وذكر في عز ٥:٥،٦:١-١٥ وفي دا ١١:٢، وإذا لم يكن معترفاً باغتصاب سمرتيس للسلطة، فإن داريوس يؤرخ حكمه بدايةً من ٥٢٢ ق.م. كالوريث الشرعي والخليفة لقمبيز، وفي السنوات الأولى من حكم داريوس، نشب تمرد في كل أجزاء الإمبراطورية الفارسية بقيادة سليلين حقيقيين أو مزعومين لملوك قدماء من كل دولة.

وبعد صراع دام ثلاث سنوات، تم تثبيت دعائم حكم داريوس في كل مكان، وشرع يقسم إمبراطوريته إلى ٢٩ ولاية أقام عليها رؤساء من أصل فارسي أو مادي بدلاً من مندوبين من المملكة القديمة. وامتدت الإمبراطورية بقيادة داريوس من الهند إلى البحر الأسود، ومن نهر جاكستاتس في كازاخستان إلى ما بعد نهر النيل، وجهوده لفتح اليونان جزء من التاريخ اليوناني، مات داريوس في ٤٨٥ ق.م قبل أن يقمع تمرداً مصرياً.

إن صخرة بيجستون، التي تحتوي النقش الشهير الذي قدم المفتاح لمعرفة اللغة البابلية القديمة، قد تم نقشه بناء

على أمر داريوس هذا، الذي أصدر مرسوماً وقام بتمويل إعادة بناء الهيكل في سنة ٥١٦ ق.م. وإليه يرجع الفضل في أنه أول من حفر قناة عند السويس، والنقش الذي يذكر هذا العمل يقول: أنا فارسي، وعن طريق فارس وضعت يدي على مصر، أمرت بحفر هذه القناة من النهر المسمى النيل والذي يجري في مصر، إلى البحر الذي يأتي من فارس، ثم حفرت القناة، حسبما أمرت، وقلت «تعالوا من النيل عن طريق هذه القناة إلى فارس».

أحشويرش
(سفر أستير، دا ٨:٧)
الملك الذي أنقذ شعباً من الانقراض

إن احشويرش الملك الفارسي الذي يملأ سفر أستير ، يعتبر عادة هو احشويرش الشهير في التاريخ الدنيوي، والذي أثار غزوه لليونان غضب الملك المقدوني القوي - الإسكندر (دا ٨:٧). لاشك أن ما هو مسجل عن أحشويرش - وعن ثرائه (أس ١:٤)، وابتداء امبراطوريته الشاسعة (١:١) وبحثه عن الملذات الحسية وولائمه (١:٦-١٠) وحكمه المطلق والتعسفي (١:١٣-٢٢)، يتفق مع طبيعة السرد التاريخي الذي كتبه المؤرخون عن ارتحشستا. يقول رولنسون - «لاشك أن الاسم أحشويرش Ahasuerus هو بلاشك المرادف العبري الصحيح للكلمة الفارسية التي كان اليونانيون يعبرون عنها بالكلمة احشويرش هكذا Xerxes ونندهش في الحال للتشابه القوي بين شخصيته وبين ما كتبه قدامى الكتاب عن ابن داريوس الشهير، فكشخص متكبر، عنيد، باحث عن الملذات الجنسية، غير مكترث بالقواعد التي تفرضها التقاليد الفارسية، غير مبال بالأخطار التي تهدد الحياة البشرية، ومع ذلك ليس متعطشاً للدماء، رغم أنه أرعن وسطحي، ومتقلب المزاج، فإن أحشويرش زوج استير يتفق من كل الوجوه مع الصورة اليونانية لأحشويرش التي لا تعتبر مجرد صورة لملك شرقي طاغية، ولكنها تتسم بمميزات مختلفة تميزها حتى عن ملوك فارس الآخرين».

إن أحشويرش، خليفة والده داريوس الأول، لم يأبه لفشل والده الأخير في الاستيلاء على بلاد اليونان، فقام بهجوم جديد، ولكنه هُزم وهرب إلى ساردس. إن فشله في إخضاع اليونان أنهك إمبراطوريته بشدة، مما قضى على طموحاته في الاحتفاظ بإمبراطورية قوية فتية. وقد أخضع رعاياه القلقين عن طريق السلطة العسكرية الجامدة (أس ٣:١٨، ٨:٩). بعد عزله لملكته وشتي، لأنها رفضت التعريض بوقارها الأنثوي، وتعريض نفسها لنظرات السكيرين العابثين، فإن أحشويرش الذي قال عنه بعض الكتاب إنه هو أحشويرش الوارد ذكره في (عز ٤:٦)، قدم أستير كملكة. لاشك أن استير عاشت مدة طويلة أثناء مدة الحكم التالية لارتحشستا، ابن زوجها الذي في عهده أعاد نحميا بناء أورشليم.

إن الليلة المؤرَّقة لأحشويرش كانت حلقة هامة في سلسلة حفظ إسرائيل من الانقراض، وتوضح كيف أن عناية الله تستغل أتفه الأمور، أو ما يبدو لنا أنه ظروف عابرة، لإتمام إرادته (اش ٦:١٠، رو ٨:٢٨).

إن الفترة الأخيرة من حكم أحشويرش تمثل قصة مليئة بالإفراط في الشراب والخلاعة والمذابح. فبعد حكم دام ٢١ سنة ، ٤٨٦-٤٦٥ ق.م قتله اثنان من ضباطه مثرداث وارطبانوس.

ارتحشستا الثاني
كان يدعوه معاصروه لونجيمانوس

كان ارتحشستا الاسم الشائع لملوك الفرس، الابن الثالث للملك الشهير أحشويرش، وحكم لمدة ٤٠ سنة من

٤٦٥-٤٢٥ ق.م. هناك اتفاق عام على أن هذا الملك الفارسي كان هو الشخص الذي عمل عزرا ونحميا في بلاطه الملكي، لقد اعتلى العرش عن طريق ارطبانوس أحد قاتلي والده. وبعد اعتلائه العرش بمدة قصيرة، قتل أخيه الأكبر، داريوس، وبعد ذلك شرب ارطبانوس من نفس الكأس لمحاولته الاستيلاء على العرش من ارتحشستا. ومن بين إنجازاته إعادة الاستيلاء على مصر، والاحتفاظ بجزيرة قبرص، وإعطاء الحرية لكل المدن اليونانية في آسيا الصغرى.

لاشك أنه تأثر بزوجة أبيه، الملكة استير، فقد عين هذا الحاكم نحميا كحاكم على أورشليم مع أمر بإعادة بناء الأسوار والعمل على مراعاة مصالح اليهود.

وظل نحميا ينفذ وصيته بنجاح عظيم بالرغم من المعارضة الشديدة التي لقيها، مكرساً كلا من عمله وثروته لهذا الموضوع (نح ٤:٢٣،٥:١٤). وقبل حوالي ١٣ سنة، كان عزرا قد أُرسل في مهمة مشابهة (عز ٧).

كان ارتحشستا يشتهر بين ملوك فارس بالحكمة والمشاعر النبيلة، ومثل كورش وداريوس قبله كان يعتبر الرب مرتبطاً بطريقة ما بإلهه الوثني أرمزد Ormuzd الذي كان يقدسه (عز ٧:١٢، ٢١، ٢٣)، وقد دعم العبادة اليهودية بالمنح والهبات من الدولة وخزائن الولايات. وكان يهدد بالموت والنفي والسجن أو المصادرة ضد الخصوم. يذكرنا فاوست أن أرتحشستا كان أميراً من الشرق «فمن يعاني من رحيل خادمه لمدة طويلة أثناء مشكلة شخصية، لأن وجوده يدخل عليه السرور، لابد أنه كان أكثر من مجرد شخص طيب بطبعه». والتاريخ الدنيوي يمثل ارتحشستا «كأول ملك فارسي معتدل المزاج، يتسم بالكرم والشفقة»، لقد مات في سنة ٤٢٥ ق.م. وخلفه ابنه الثاني أحشويرش.

توجد خمسة خطابات مذكورة في سفر عزرا، مرتبطة بالملك، ويمكن أن نذكرها في قائمة لفائدتنا فيما يتعلق بالخطابات المكتوبة في السفر:

١- من رحوم إلى ارتحشستا يتهم اليهود بإعادة بناء أسوار أورشليم (٤:١١-١٦).

٢- من ارتحشستا كرد على الرسالة، بإصدار الأمر بوقف إعادة البناء (٤:١٧-٢٢).

٣- من تتناي إلى داريوس يخبره أن الهيكل في أورشليم يعاد بناؤه، ويطلب رأي الملك في هذا الموضوع (٥:٧-١٧).

٤- من داريوس كرد على الرسالة، يأمر بوجوب استمرار العمل وأن يقدم لليهود كل عون (٦:٢-١٢).

٥- من ارتحشستا (لونجيمانوس) إلى عزرا، معطياً الإذن لليهود الذين مازالوا في السبي بالعودة إلى أورشليم، وهو يوصي عزرا بنوع خاص (٧:٢-٦).

ويمكن عمل قائمة بالمراسيم الملكية الأربعة معاً:

١- من كورش فيما يتعلق بإعادة بناء الهيكل (عز ١)

٢- من داريوس الأول (هيستاربس) فيما يتعلق باستكمال بناء الهيكل (٤:٢٤، ٦:١-٣٥).

٣- من ارتحشستا بخصوص تزيين الهيكل واستعادة العبادة فيه (٧:٢٧).

٤- من ارتحشستا بشأن إعادة بناء المدينة (دا ٩:٢٥، نح ٢:٥).

أما عن ملوك فارس الباقين الذين لم ترد عنهم أي إشارة كتابية، فيمكن أن نشير لما يأتي عنهم في التاريخ الدنيوي.

أحشويرش الثاني ٤٢٥ ق.م.
داريوس الثاني ٤٢٣-٤٠٥ ق.م

هذا الملك الفارسي ذو الاسم الملكي كان يلقبُه اليونان أوثيوس Aothius أي «الابن غير الشرعي» على اعتبار

انه الابن غير الشرعي لارتحشستا. جاء بعده سوجديانوس لفترة حكم قصيرة.

ارتحشستا الثاني ٤٠٥ - ٣٥٨ ق.م

يُعرف أيضاً باسم منيمون، حيث خلف ارتحشستا والده، وقد ظهرت البوادر الأولى لتدهور قوة فارس في عهده، فكانت الثورات في مختلف أنحاء الإمبراطورية تهدد بانتهاء نظام الحكم. تنبأ دانيال بالاطاحة بإمبراطورية فارس على يد الاسكندر في أوج شهرتها، وتحدث عن الإسكندر كأول ملك لليونان (٨:٢١، ١١:٢٠،٤).

كان على فارس أن تنحني لليونان، وأن تنتقل الإمبراطورية من أسيا إلى أوروبا، كما حدث.

ارتحشستا الثالث ٣٥٨ - ٣٣٨ ق.م.

هذا الابن لارتحشستا السابق كان معروفاً أيضاً باسم أوكوس Ochos. يقول ر.ك هاريسون: «لمدة أربعين سنة تقريباً (٣٧٨-٣٤٠ ق.م) كانت مصر تستمتع بالاستقلال عن الحكم الفارسي، بينما كان ارتحشستا الثالث يحاول جاهداً أن يستعيد الأرض التي فقدها سلفه». لقد قُتل مع جميع أبنائه، فيما عدا الأصغر، أرسيس، على يد خصي مصري يدعي باجواس، من المرجح انتقاماً لسلوك ارتحشستا في مصر سنة ٣٣٨ ق.م.

أرسيس ٣٣٨ - ٣٣٥ ق.م.

قُتل أرسيس على يد باجواس بعد ثلاث سنوات، عندما *اعتلى العرش* داريوس *الثالث*، وهو كودومانوس، ابن سيسجامبس، ابنة ارتحشستا الثاني، وزوجها، رئيس فارس.

كان داريوس الثالث، آخر ملك فارسي، يُعرف أيضاً باسم كودومانوس (انظر دا ٨، نح ١٢:٢٢) ٣٣٥-٣٣١ ق.م. بعد اعتلائه العرش، شدد داريوس قبضته على المدن اليونانية وأعاد فتح مصر في سنة ٣٣٤ ق.م. ،كان يبدو للجميع أن النجم الفارسي في طريقه للصعود. ولكن على الرغم من أن الفرس كانوا يتطلعون بشقة نحو استمرار امبراطوريتهم، إلا أن النهاية كانت قريبة ففي سنة ٣٣٤ ق.م. انطلق الإسكندر الأكبر يحرر المدن اليونانية من القبضة الفارسية ونجح في معركة أربيلا. وقد انهت تلك المعركة تاريخ الإمبراطورية الاكامينية، وآلت كل الأراضي التي تتألف منها لإمبراطورية مقدونيا، وسقط داريوس نفسه صريعاً بيد اغتالته.

يتحدث شكسبير عن «الملك المتَوج بأنه أفضل من تاجه» وباسترجاع تاريخ عدد كبير من الملوك الفرس، أو ملوك أي إمبراطورية أخرى لبحث هذا الموضوع، لا نستطيع أن نقول إن أغلبيتهم كانوا أفضل من تيجانهم.

الفصل السادس

اليونان والملوك اليونانيون

على الرغم أنه لا يذكر ملك يوناني بالاسم في الكتاب المقدس، إلا إن عدداً قليلاً منهم يتم وضعهم رمزياً ونبوياً. يتم ذكر بلاد اليونان واليونانيين على وجه التحديد، ولذلك فهذا الفصل يتعامل مع إمبراطورية من أعظم امبراطوريات الماضي.

البداية الحقيقية لليونان كقوة عالمية مهيمنة أثناء الجزء الأوسط من فترة ما، بين العهدين، المعروفة باسم «الـ ٤٠٠ سنة الصامتة» يلفُّها الغموض والأساطير. يشعر بعض المؤرخين أنها بدأت حوالي ١٢٠٠ ق.م. وكانت معاصرة لعصر القضاة، وكانت تنمو أثناء حكم كل من داود وسليمان. إن عصر هومر يرجع إلى ١٠٠٠ ق.م.

يبدأ التاريخ اليوناني الحقيقي مع أول أولمبياد، ٧٧٦ ق.م. الذي تبعه تكوين الولايات الهلينية، ٧٧٦ - ٥٠٠ ق.م. ثم جاءت الحروب الفارسية، ٥٠٠ - ٣٣٠ ق.م، ومعارك الماراثون الشهيرة، ٤٩٠ ق.م. في ثيرموبايلا وسلاميس، ٤٨٠ ق.م.

وأزهى عصور اليونان غطى الفترة ما بين ٤٦٥ - ٣٩٩ ق.م. كان الفلاسفة والشعراء مثل بيركليس وسقراط - المعاصرين لعزرا ونحميا - وفليون وارسطو، وديوجينس وأفلاطون، ذوي تأثير عظيم.

ولمدة ١٠٠٠ سنة - ٥٠٠ ق.م. إلى ٥٠٠ م - كانت أثينا ألمع مدن اليونان، مركزاً للفلسفة والأدب والعلوم والفن، ومقراً لأعظم جامعة في العالم «معلّمة أوروبا» وكانت أيضاً مكان تجمُّع لمثقفي العالم، ومع ذلك فقد كانت مدينة خاضعة تماماً للوثنية (أع ١٧:١٥-٢١). كانت لليونان آلهة كبرى وآلهة صغرى، وكان لكل إله محراب خاص به ومجموعة من العابدين. ومن بين الآلهة الكبرى زيوس وهرتا وأثينا وأبوللو وأرطاميس. وكثير من هذه الآلهة كانت ذات صلة بالطبيعة، فزيوس مثلاً كان له صلة

بالسماء، وكان بعض منها له صلة بالنشاط البشري والعواطف مثل أسكولابيدس الذي كان يتلقى صلوات الناس ليقدم لهم الشفاء من المرض.

كانت أثينا - أكثر مدن اليونان شهرة في الفنون والتعليم - أكثرها وثنية في نفس الوقت فقد تحدث عنها (ايليان) «كمذبح اليونان» كان الشعراء والرسامون والنحاتون والفلاسفة يصادقون على ذيوع الخرافات ويشتركون مع الشعب في طقوس العبادة الشريرة الفاجرة التي كانوا يمارسونها. وحتى سقراط، أعظم الفلاسفة في القديم، لم يبذل مجهوداً لإصلاح أخلاق بني وطنه. وقد علم تلاميذه عن طريق التصور والمثال أن يحكّموا أنفسهم في الأمور الدينية، طبقاً لعادات البلاد. يقول ر.ك هاريسون «إله افلاطون أو ارسطو لايشترك في قليل أو كثير من إله آباء الشعب العبري، والمجتمع الهليني كان يشتهر بانحطاطه وفظاظة وفساد أخلاقه، والبحث عن المتعة لأجل المتعة، مع عدم الإصرار على سلطان القانون الأخلاقي المطلق، وكان يحمل في ثناياه بذور انهياره» وقد سخر الأثينيون من عظة بولس على جبل مارس لأنهم كانوا يرفضون القيامة. وبالرغم من ذلك، آمن بعضهم (أع ١٧:٢٢-٣٤).

كان اليونانيون الأصليون يعرفون باسم الأيونيين وفي العبرية تسمُّوا باسم ياوان، ابن يافث، تك ١:٢، ٤ وفي الأبوكريفا هناك فرق بين «الياوانيين» و«اليونانيين» وهي تتحدث عن الاسكندر الأكبر «كملك ياوان» ويُطلق على إمبراطوريته المقدونية «مملكة اليونانيين». وعند الحديث عن المقارنة بين اليونانيين واليهود، يشار إلى اليونانيين كالأمميين (أع ١٤:١، ١٧:٤، رو١:١٦ الخ).

وعندما كان الأنبياء يكتبون عن «الياوانيين»، فقد كانوا يكتبون عن شعب ياوان.

كان اليهود الياوانيون أو الهلينيون هم يهود الشتات الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية ويستخدمون الكتاب المقدس باللغة اليونانية، وهم بذلك يختلفون عن اليهود الفلسطينيين الذين كانوا يتمسكون باللغة العبرية الأصلية المقدسة (يو ٧:٣٥، أع ٦:١، ٩:٢٩).

وتحدث بلعام في نبُّوة رائعة عن فتوحات الإسكندر وخلفائه (عد ٢٤:٢٤) ويذكر يوئيل بني الياوانيين (اليونانيين) كمشترين باع لهم تجار الرقيق السوريين بني يهوذا ٨٠٠ ق.م (٣:٦).

ويتحدث حزقيال عن ياوان (أو اليونان) وصور كتاجرتين في نفوس الناس (٢٧:١٣) وتنبأ دانيال، كما سنرى بصورة أكمل، عن قيام الاسكندر الأكبر كنمر سريع (٧:٦). وتنبأ دانيال أيضاً عن الإطاحة بإمبراطورية فارس على يد الإسكندر في أوج شهرتها، وتحدث عنه كأول ملك لليونان (٨:٢١،١١:٢ ، ٤). ويتحدث النبي عن اليونان باعتبارها (كتيم).

ويقول زكريا إن يهوذا وافرايم تملآن قوس الرب لطعن اليونان، وهو يقصد أن المكابيين اليهود سوف يعاقبون اليونان، إن مملكة اليونان على خلاف مملكتي بابل ومادي وفارس السابقتين، لم تسقط كلها أو مرة واحدة ولكنها سقطت كأجزاء متفرقة. وآخر دولة تسقط كانت مصر، في معركة اكتيوم، ٢١ ق.م.، عندما هزم أوغسطس قيصر كليوباترا، وبذلك ظهرت رابع قوة عالمية إلى الوجود.

إن عمل بولس في اليونان، أثناء رحلته التبشيرية الثانية، ٥٠-٥٣م، لم ينجح كما نجحت رحلاته التبشيرية الأخرى، ربما بسبب التأثير الهائل للديانة والفلسفة اليونانية.

لقد أصبحت اللغة اليونانية بفضل نفوذ الإسكندر الأكبر والأسرات العظيمة لقواده الذين خلفوه، لغة عالمية من أسبانيا حتى نهر الفرات، وهكذا قامت اليونان بمهمة

هامة لأجل الإنجيل، في أنها قدمت اللغة التي تستخدم وسط الأمم. وأثناء حكم بطليموس الثاني المستنير (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م)، بدأت المهمة الهائلة في ترجمة الأسفار العبرية المقدسة إلى اللغة اليونانية، وقد تم ذلك بتشجيع بطليموس الذي اهتم كثيراً بتاريخ وثقافة رعاياه اليهود.

وهذه الترجمة المعروفة بالسبعينية وتعني «٧٠» ويرمز لها بالأرقام الرومانية «LXX» اصطلاح مشتق من السبعين عالماً الذين اختيروا للقيام بالترجمة التي اكتملت في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، وهكذا كانت اليونان أداة الله في إعداد الطريق لأسفار العهد الجديد - الوسيلة الوحيدة للكلمة المكتوبة - لتنتشر وتفهم في كل العالم المعمور.

إن لغة اليونان الفريدة، بما فيها من مرونة رائعة، وقدرتها على تكوين الاصطلاحات اللاهوتية الجديدة، وقدرتها على التعبير، والدقة المتناهية لمعانيها، كل هذه العناصر قد تحدث معاً لتحمل إلى العالم - بمنتهى الدقة - أخبار الخلاص السارة بيسوع المسيح. وقد استخدمها الرسل شفهياً في التبشير، لأن اللغة اليونانية كانت واسعة الانتشار، وكانت بالمثل أنسب وسيلة لغوية لتوصيل رسالة الإنجيل للجنس البشري.

بعد أن ذكرنا بإيجاز حقيقة أنه لا يوجد ملك يوناني يشار إليه بالاسم في الكتاب المقدس، دعنا الآن نفحص تلك الشواهد الكتابية التي تقدم بعض حكام اليونان بطريقة رمزية. ففي النحاس الأصفر أو الأحمر، وهو النمر في حلم دانيال، نرى رمزاً لليونان (٢:٣٢، ٧:٦). والنحاس أقل قيمة من المعدنين السابقين للتمثال، الذهب والفضة، وهذا يمثل نظام السلطة الأقل شأناً والذي يمثل الإمبراطورية الثالثة أو اليونانية والتي كانت حكومتها تعتمد على السلطات العسكرية التي وُجدت بناء على رغبة وإرادة الاسكندر.

لقد كان امتداد امبراطوريته يتم في منتهى السرعة! فكالنمر، كان سريعاً في تحركاته. ففي ١٢ سنة امتدت فتوحاته حتى نهر الجانج.

أما عن رقط النمر، فنفس الشيء يمكن أن يعني، كما يقترح فاوست، مختلف الأمم التي تأتلف منها اليونان وأيضاً تمثِّل شخصية الإسكندر نفسه، فيما بين الاعتدال والقسوة، ضبط النفس والإفراط في الشراب، السير بموجب القوانين والخروج على القانون والانغماس في الملذات.

وبشأن «التيس» ذي القرن المعتبر الذي تعاظم في القوة، ثم في انكسار «التيس العافي» (دا ٨: ٢٠،٢٢)، نرى رمزاً لحيوية وقوة الإسكندر، أعظم ملك محارب عاش على ظهر الأرض، وحقق طموحاته، وبكى لأنه لم يجد عوالم أخرى ليفتحها. ولكننا نقرأ أن «القرن العظيم المعتبر انكسر» مما يرمز لموت الإسكندر في أوج مجده وقوته. وبعد موته بـ ١٥ سنة، قُضي على أسرته كلها بالدسائس والجريمة، وطبقاً للرؤية النبوية، فإن قواده الأربعة امتلكوا زمام السلطة.

«ليسيماكوس» أخذ تراقيا وبيثينية.

«كاسندر» أخذ مقدونيا واليونان.

«سلوخس» أخذ سوريا وبابل والشرق.

كانت عاصمة الإمبراطورية السلوقية، أنطاكيا التي أصبحت مركز المسيحية الشهير وهناك دعي تلاميذ المسيح مسيحيين أولاً (أع ١١:٢٦).

«بطليموس» أخذ مصر وفلسطين وبلاد العرب وبيتريا ومن القسمين الأخيرين، سوف يظهر ملك الشمال وملك الجنوب.

الإسكندر الأكبر

(دا ٢: ٣٩، ٧: ٦، ٨: ٧،٨، ١١: ١٣، ١٩)

الملك الذي وُلد ليكون منتصراً

لو أن إنساناً وُلد ليكون غازياً، يكون ذلك الرجل ابن

الملك فيليب المقدوني، الذي بدأت على يديه ظهور قوة اليونان، لقد وحّد فيليب جزءاً من اليونان قبل هجومه ليعيد الاستيلاء على المدن اليونانية من قبضة الفرس.

ومات في سنة ٣٣٦ ق.م قبل أن يحقق أهدافه، ولكن الإسكندر، ابنه الذي خلفه حقق أهدافه. وجه الإسكندر حملات عسكرية ضد فارس، وفتح أجزاء كبيرة من العالم قبل موته في سن الثالثة والثلاثين، وانتقلت بذلك القوة العالمية من آسيا إلى أوروبا.

اعتقد الإسكندر أنه مبعوث العناية الإلهية لتأدية الرسالة العظمى لليونان للعالم المتحضر، بضم الشرق والغرب في اتحاد يقوم على المساواة. يقول إدريان: «لم يكن الإسكندر شبيهاً بأي إنسان آخر، ولم يكن ليعطي للعالم بدون تدخل خاص من الله، كان أداة العناية الإلهية لتحطيم الحواجز بين الممالك، وقيام اتصال متبادل ونافع بين الشرق الذي يتسم بالهدوء والتأمل، والغرب النشط.

وإن الكلمات لتعجز عن وصف هذا العبقري المنتصر الذي فتح نصف العالم المعمور في ١٢ سنة، والذي ترك بصمات غزواته السريعة على كل غرب آسيا. وعلى الرغم أنه كان قائداً منتصراً وقائداً للجيوش، إلا أن انتصاراته الكبيرة الساحقة كانت تتبعها إدارة متعاطفة ومتفهمة. كان يكسب ولاء المهزومين، ويأسرهم مرة أخرى بثقافة اليونان.

تأثر الإسكندر بلاشك إلى حد كبير بمشاهير الفلاسفة في عصره، وكان بين معلميه أرسطو، واحد من أعظم المفكرين، والذي كان تعليمه بلاشك عاملاً مؤثراً في صياغة عقلية رجل الدولة العسكري، إن ارسطو هو الذي غرس في الإسكندر الصغير، حب هومر، الذي بقي معه طوال حياته. وقد اعترف أنه مدين بالفضل لأرسطو «الذي علّمه أن يعيش حياة ذات قيمة». وإذ تعلم أن يحيا حياة ذات قيمة، فقد كان الإسكندر يحتفظ بنسخة من الإلياذة قد تقادمت قليلاً بفعل القراءة، تحت وسادته، في الليل، ولكن كان الخنجر رفيقاً لها. وفي كورنثوس، قابل الإسكندر الفيلسوف الغريب الطباع، ديوجينس وهو مستلق تحت أشعة الشمس الدافئة وسأله أن يذكر أي شيء يشتاق إليه. فأجاب الفيلسوف قائلاً له: «أن تبتعد عن شمسي» بعد ذلك علق الإسكندر على ذلك بقوله لتابعيه: «لو لم أكن الإسكندر لفضلت أن أكون ديوجينس».

عندما خلف الإسكندر والده على عرش مقدونيا في سنة ٣٣٦ ق.م، لم يكن قد بلغ العشرين، وقد مات قبل أن يبلغ الثالثة والثلاثين. ومع ذلك فخلال هذه المدة القصيرة التي تبلغ حوالي ١٢ سنة، قد حقق فتوحات شاسعة ومترامية لاتزال تخطف أبصار الرجال بعد ٢٣ قرناً من الزمان، وفي سنة ٣٢٨ ق.م، أصبح المقدوني سيداً على كل إمبراطورية فارس وكان متسامحاً مع كل الأقاليم المفتوحة.

مات الإسكندر الأكبر في قصره في بابل في سنة ٣٢٣ ق.م، بعد مرض قصير، أعقب وقتاً قصيراً ومرحاً قضاه في الشر والتحلل من الفضائل، وتبديد الطاقة. وهناك شائعة تقول إنه قد شرب السم بنفسه. ومن المرجح أنه بعد فترة الحياة القصيرة التي تبلغ نصف فترة الحياة المعتادة، والتي أنجز فيها زخماً من المشاغل والأعباء لم تحتملها فترة حياته القصيرة، فإنه قد أصيب بالإعياء الشديد. لقد وصل قمة المجد البشري، ومع ذلك فالإمبراطورية التي أسسها زالت ومضت مثله تماماً.

إن مدينة الإسكندر الشهيرة تسمَّت على اسم الإسكندر الأكبر الذي أسسها في سنة ٣٣٢ ق.م، وأصبحت مدينة ذات أهمية تجارية عظيمة، كما كانت مركزاً للحياة الفكرية والدينية في العالم، وعندما أصبحت روما سيدة العالم، احتفظت الإسكندرية بصيتها الزائع كمركز للتعليم، فقد

عاش فيها أوريجانوس واكلينمدس والعديد من العلماء المتميزين خلال الستة قرون الأولى للميلاد، ووُلد فيها أبلوس الذي يتميز بالبلاغة والفصاحة (أع ٢٧:٦). إن الإسكندرية، مركز الترجمة السبعينية أو الترجمة اليونانية للعهد القديم، كانت عاصمة مصر السفلى لليونان والرومان والمسيحيين على التوالي، ويقال إن الرسول مرقس كان أول من وعظ وأسس كنيسة مسيحية في الإسكندرية.

انطيوخس أبيفانس
(دا ٨،١١: ٣١-٤٥)
الملك الذي يرمز لضد المسيح

بسبب ارتباطه بجزء من الإمبراطورية اليونانية، وحقيقة أن «القرن الصغير» الوارد في (دا ٨: ٩) يمثل تاريخياً انطيوخس ابيفانس. الذي لا يعرف غضبه وقسوته حدوداً يقف عندها تجاه إسرائيل، فقد كتب وصفًا موجزاً له في هذا القسم.

إن الأحوال المتغيرة لليهود بعد الإسكندر الأكبر، والتاريخ السياسي للأمة اليهودية، كان ذلك موجود في سفر المكابيين وفي ما كتبه يوسفيوس، المؤرخ اليهودي والأزمات التي حدثت أثناء حكم البطالمة وعلى يد انطيوخس مذكورة بالتفصيل في الأبوكريفا. والفرد الوحيد من أسرة انطيوخس، الذي يهمنا هو انطيوخس الرابع، المعروف باسم انطيوخس ابيفانس، الذي خلف سلوقس الرابع في سنة ١٧٥ ق.م، والذي ذكره النبي دانيال رمزياً وتاريخياً. إن «عيد التدشين» الذي أنشأه يهوذا المكابي، كان تذكاراً للعرفان بالجميل للتدشين المتجدد للهيكل لخدمة الله، بعد أن دنَّسه انطيوخس ابيفانس (١مك ٤: ٥٢-٥٩). وحضور ربنا يسوع في هذا العيد (يو ١٠: ٢٢) يبرر حفظ المواسم الدينية الصحيحة طبقاً للتوقيتات البشرية.

عندما مات الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م، وانقسمت الإمبراطورية التي أسسها بين قواده، أصبحت مصر من نصيب بطليموس، واستمرت الأسرة البطليمية لما يقرب من ثلاثة قرون. غزا بطليموس الأول سوريا وألحقها بممتلكاته، ثم تقدم نحو أورشليم واحتلها، ونقل عدداً كبيراً من سكانها إلى مصر. وهكذا أصبحت اليهودية بين مطرقة وسندان سوريا ومصر.

في سنة ١٦٨ ق.م، استعاد انطيوخس سوريا بعد معركة دامية، وبعد سنين نهب أورشليم، وحرم اليهود لمدة ثلاث سنوات ونصف من حريتهم المدنية والدينية. قام انطيوخس من بقايا الأقسام الأربعة للإمبراطورية اليونانية ليدمر اليهود، الذين عاملهم الإسكندر وخلفاؤه معاملة كريمة. كان انطيوخس متكبراً، ومبذراً، وحاكماً مخادعاً تنعكس شخصيته على مدلول الكلمات التي يتكون منها اسمه فاللقب الملكي، ابيفانس Epiphones يعني الشهير، وقد دُعي هكذا لتأسيسه الأسرة المالكة رغماً عن هليودورس. ولكنه يلقب بأبيمانس Epimanes أي «الرجل المجنون» لأن سلوكه أبعد ما يكون عن سلوك الملوك. فهو يستمتع بشرب الخمر والضحك بصوت عال مع السوقة، ويستحم معهم علناً ويلقي بالحجارة على المارة، وبسبب الطريقة الماكرة التي خلع بها ديمتريوس، الوريث الشرعي، فهو يدعى شخص «محتقَر» (دا ١١). وهو الذي «يمسك المملكة بالتملُّقات» (دا ١١: ٢١).

وفي سنة ١٧٠ ق.م، نهب انطيوخس أورشليم، ودنَّس الهيكل ونهبه، واستعبد عدداً كبيراً من اليهود، وقتل آلافاً آخرين، وكان مصمماً على محو الديانة اليهودية، واليهود الذين ظلوا على قيد الحياة أُرغموا على الاشتراك في العبادة الوثنية. وقد حظر تقديم الذبائح في الهيكل،

وأقيم مذبح يوناني للإله جوبتر، وقُدمت عليه خنزيرة، وأجبر اليهود على أكل لحم الخنازير، والذين يرفضون الاشتراك في الطقوس الوثنية كان يحكم عليهم بالموت، والإشارة للاستشهاد في عصر انطيوخس ابيفانس يمكن أن نجدها في (عب ١١:٣٥-٣٧) قارن (دا ١٢:٢) إن تفاصيل مريعة عن ميتات مخيفة ماتها كثيرون يمكن أن نجدها في (٢ مك ٦،٧).

هذا «الخراب» (دا ٨:١٣) يقدم رمزاً «لرجسة الخراب» الختامية التي تحدث عنها المسيح (مت ٢٤:١٥). استمر اضطهاد اليهود المريع ثلاث سنوات، حتى هزمت قوات المكابيين انطيوخس، واليهود «يتلقون عوناً قليلاً» أي، ينقذون من الانقراض حتى عصر الرومان.

الفصل السابع

روما والملوك الرومان

كان الرومان من نسل يافث، الابن الأكبر لنوح، ويمثل الهيرودسيون نسلاً ملكياً أدومياً، استطاعوا فرض سيطرتهم تحت سلطة روما على اليهودية قبل وقت قصير من ختام فترة ما بين العهدين، حوالي ٤٧ ق.م، ويذكرنا (هالي) في كتاب الجيب الرائع الذي كتبه، والذي يجب أن يمتلكه كل محب للكتاب المقدس، وهو يتعامل مع «تاريخ الكنيسة»، إن كنيسة يسوع المسيح قد تأسست في الإمبراطورية الرومانية.

ولذلك فهو يقدم الإطار التالي لتاريخ روما:

تأسست روما سنة ٧٥٣ ق.م.

أخضعت إيطاليا سنة ٣٤٣ - ٢٧٢ ق.م.

أخضعت قرطاج سنة ٢٦٤ - ١٤٦ ق.م.

أخضعت اليونان وآسيا الصغرى سنة ٢١٥ - ١٤٦ ق.م.

وصلت لقمّة مجدها سنة ٤٦ - ١٨٠ م.

امتدت من المحيط الأطلسي إلى نهر الفرات ومن بحر الشمال إلى صحراء أفريقيا، بلغ السكان وقتها حوالي ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة.

القياصرة الاثنى عشر

- يوليوس قيصر سنة ٤٦ ق.م - ٤٤ ق.م.
أكبر رئيس للعالم الروماني.

- أوغسطوس سنة ٣١ ق.م - ١٤ م.
وُلد المسيح خلال حكمه.

- طباريوس سنة ١٤م - ٣٧م.
صُلب المسيح أثناء حكمه.

- كاليجولا ٣٧م - ٤١م.

- كلوديوس ٤١م - ٥٤م.

- نيرون ٥٤ م - ٦٨ م.

كان قاسياً على المسيحيين. أعدم بولس الرسول.

- جالبا، ٦٨م - ٦٩ م
- فيتيليوس ٦٩م.
- فاسباسيان ٦٩م - ٧٩م.
- تيطس ٧٩م - ٨١ م.
- دومتيان ٨١ م - ٩٦م.

اضطهد المسيحيين. نفي الرسول يوحنا.

خمسة أباطرة صالحون

- نرڤا ٩٦م - ٩٨م.
- تراجان ٩٨م-١١٧م واحد من أفضل الأباطرة
- هادريان ١١٧م - ١٣٨م.
- انطونيوس بيوس ١٣٨م - ١٦١م.

أنبل الأباطرة أثناء العصر الذهبي لمجد روما.

- ماركوس اورليوس ١٦١م - ١٨٠ م.

السمة المشتركة لكل هؤلاء الأباطرة كراهيتهم للمسيحين الأوائل واضطهادهم.

تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية
١٨٠م - ٤٧٦م

«أباطرة الشكنات العسكرية» سموا هكذا لأن الجيش قد عينهم، عملوا أثناء فترة الحرب الأهلية والكارثة الداخلية الواسعة الانتشار ١٩٢م-٢٨٤م.

- سبتيموس سيفيروس ١٩٣م - ٢١١م. ضد المسيحيين.
- كاراكالا ٢١١م - ٢١٧م. سمح بالمسيحية.
- إلاجابالوس ٢١٨م-٢٢٢م. سمح بالمسيحية.
- الإسكندر سيفيروس ٢٢٢م - ٢٣٥م. مؤيد للمسيحيين.
- ماكسيمين ٢٣٥م - ٢٣٨م. اضطهد المسيحيين.
- فيليبس ٢٤٤م - ٢٤٩ م. مؤيد جداً للمسيحيين.
- ديكيوس ٢٤٩م - ٢٥١م. مضطهد عنيف للمسيحيين.
- ڤاليريان ٢٥٣م - ٢٦٠م. اضطهد المسيحيين.
- جالينوس ٢٦٠م - ٢٦٨م. مؤيد للمسيحيين.
- أورليان ٢٧٠م - ٢٧٥م. اضطهد المسيحيين.
- ديوسليتيان ٢٨٤م-٣٠٥م. كراهية شديدة للمسيحيين.
- قسطنطين ٣٠٦م-٣٣٧م. أصبح مسيحياً.
- جوليان ٣٦١م-٣٦٣م. المرتد أعاد الوثنية.
- جوڤيان ٣٦٣م-٣٦٤م. أعاد الإيمان المسيحي.
- ثيودوسيوس ٣٧٨م-٣٩٥م. جعل المسيحية الديانة الرسمية للدولة.

الإمبراطورية الرومانية المنقسمة

الغرب:

هونوريوس ٣٩٥م-٤٢٣م.

ڤالنتيان الثالث ٤٢٣م-٤٥٥م.

الشرق:

أركاديوس ٣٩٥م-٤٠٨م.

ثيودوسيوس الثاني ٤٠٨م-٤٥٠م.

أناستيوس ٤٩١م-٥١٨م.

چوستنيان ٥٢٧م-٥٦٥م.

سقطت الإمبراطورية الغربية في ٤٧٦م على يد البرابرة الذين ظهروا في العصور المظلمة، ونشأت الإمبراطورية البابوية على أنقاض الإمبراطورية الغربية.

وسقطت الإمبراطورية الشرقية في ١٤٥٣م.

هناك نبوءة عن قيام الإمبراطورية الرومانية، قبل قيامها

بـ ٨٠٠ سنة (تث ٢٨: ٤٩، ٥٠). كان اليهود طوال الوقت، محاطين من قبل أمم عديدة كانوا يفهمون لغتهم، وكانوا يحاولون في معظم الأحيان تدميرهم، وقد تم التنبؤ بشأنهم أنهم سيكونون أداة لتقويمهم. أما بشأن هذا التشتت النهائي والعقاب، فقد تم التنبؤ بأن أمة سوف تأتي من بعيد، لا يفهمون لسانها. وقد تمت هذه النبوة حرفياً عندما أطاح الرومان باليهود.

ذهب بولس إلى روما مرتين، المرة الأولى حين قدم التماسًا إلى قيصر، ثم قبل استشهاده بعام واحد. وليس هناك دليل كتابي على أن بطرس زار روما أو دفن هناك.

أما عن معنى الاسم، روما، فيقترح أنه مشتق من رومولوس الذي أسس الإمبراطورية في سنة ٧٥٣ ق.م. ويقول آخرون إنها كلمة أصلية، «مون» - أي «المدينة التي على النهر»، نسبة لموقع رومان على نهر التيبر. وقيل أيضاً أن روما Roma في اللاتينية والإيطالية هي Roma والتي حين يتم تهجئتها إلى الخلف تصبح Amor أي «الحب» كل الذين يزورون المدينة القديمة يقعون في حبها. ذات مرة فُتحت بالسيف، ولكن هُزمت بالصليب، وهي الآن تأسر القلوب بسحرها غير المعتاد.

تأسست روما في سنة ٧٥٣ ق.م على يد رومولوس، أول ملك لها، وازدادت تدريجياً في الثروة واتساع رقعة أراضيها حتى بسطت ذراعاها العملاقة من التيبر إلى الفرات، وأصبحت القوة الجبارة الضخمة في العالم. امتدت الإمبراطورية ٣٠٠٠ ميل شرقاً وغرباً، ٢٠٠٠ ميل من الشمال إلى الجنوب، وبلغ تعداد سكانها ١٢٠ مليون نسمة.

ولما كانت المدينة الأصلية قد بناها الأتروسكان من الأكواخ البسيطة، أعاد رومولوس بناءها ووسعها وزينها قبل العصر المسيحي.

واتصالها المباشر مع فلسطين يرجع لسنة ٦٣ ق.م عندما ضُمت فلسطين إلى الإمبراطورية الرومانية. فتح بومبي الكبير فلسطين ثم بدأت سيطرة روما على الشعب اليهودي. كان الرومان الأقدمون وثنيين منحطين في أخلاقهم. صُلب المسيح في عصر الإمبراطورية الرومانية، ووُضعت العقوبة القانونية بحروف رومانية فوق صليبه.

تم تدمير أورشليم على يد الرومان في سنة ٧٠م عندما تحطمت الآمال القومية لإسرائيل غير المؤمن عند التدمير المريع للمدينة والهيكل، حدث التشتت الشامل للشعب بعد حصار غير مسبوق في تاريخهم. أما تاريخ عائلة هيرودس فهو متصل اتصالاً وثيقاً بالومضات الأخيرة لشعلة الديانة اليهودية كقوة قومية، قبل أن تنطفيء خلال الحرب اليهودية الكبرى التي أخمدت التمرد في سنة ٧٠ م.

وكان تأسيس الإمبراطورية الرومانية على يد يوليوس قيصر وأوغسطس أكبر إنجاز سياسي تحقق. كان قيصر أشهر شخصية أنجبتها روما أو أي إمبراطورية أخرى، فهو المؤسس للإمبراطورية، في حين كان أوغسطوس مؤسس الحكومة وعلى الرغم أنه من المفيد تتبع نجاحات وعثرات الأسر المختلفة كعصر فلافيان ٦٨ - ٦٩م،وعصر انطونين ٩٦ - ١٩٢ م، والأسرات المختلفة ١٩٢-٢٨٤م.. الخ، إلا أنه من الضروري تقديم صورة أكثر اكتمالاً لقيصر وأغسطوس، وقد أطلق اسم قيصر وأوغسطوس على أباطرة الرومان (مت ٢٢: ٢١، أع ٢٥: ١٠).

يوليوس قيصر

إن هذا الحاكم الشهير هو الذي رأى فرصة القوة العظمى وانتظرها ونجح في استغلال الديموقراطية لأغراضه

الخاصة، وفي سنة ٤٩ ق.م عبر نهر الروبيكون في ايطاليا، وأعلن الحرب على بلده، ولكن في نفس السنة عين دكتاتوراً، وهكذا جعل أعداءه أعداء لدولته، وبسبب إنجازاته، كشخص يطالب بصلة القرابة مع الآلهة، أُعترف به رسمياً «كنصف إله»، وتم تدشين المعابد له.

أصبح إمبراطوراً، ورئيساً لمجلس الشيوخ. ورئيساً للكهنة، وكان استعمارياً من الطراز الأول، وقد اندمجت الشعوب المختلفة في شعب واحد، وفي حق المواطنة الرومانية. وبعد انتصار قيصر في أسيا الصغرى أرسل رسالته الشهيرة، المكوَّنة من هذه الكلمات الثلاث - Veni, Vidi, Vici - «أتيت، رأيت، هزمت» كانت كلمته قانوناً، وكانت العملة تحمل صورته ولقبه. كما أن شهر يوليو سُمي باسمه تكريماً له.

إن شكسبير جعل كاسيوس يقول عن يوليوس قيصر: «ياللدهشة، إن هذا الرجل يقف كالتمثال الضخم واضعاً هذا العالم الصغير بين رجليه»، وقد فعل ذلك واضعاً العالم بين رجليه كالدكتاتور الذي أوجد الإمبراطورية الرومانية، يقول هاملت ساخراً: «قيصر الاستعماري، مات وتحول إلى تراب» ولكن على الرغم أنه تراب زائل، إلا أن إنجازات أعظم القياصرة دامت سنين عديدة.

أوجز اللورد تويدسموير Tweedsmuir شخصية قيصر في دراسته الرائعة: «إن ثقل العالم على كتفيه لم يعق خفة خطوته. والحرب والإدارة لم تجعله متخصصاً ضيق الأفق، كانت ثقافته واسعة كأي إنسان في عصره، كان يحب الفن والشعر والموسيقى والفلسفة، وكان يحب أن يتجه إليها بسرور بالرغم من أعبائه الكبيرة... كان يجمع في شخصيته وبتركيز شديد واقعية الإنسان العملي، وحساسية الفنان المرهف، وخيال الحالم المبدع - وهو خليط لا أعتقد أنه يمكن أن يتواجد في إنسان آخر».

أوكتافيان (اوغسطوس)

إن معركة أكتيوم في ٢ سبتمبر سنة ٣١ ق.م قررت مصير الجمهورية الرومانية القديمة التي كانت قد أصابها الإعياء تماماً بعد صراعات مدنية وعسكرية مطولة عندما كان الأمر يتعلق بالبقاء للأصلح. وإذ تقدم بحذر ومهارة أكبر من قيصر، أصبح أوغسطوس مؤسساً للإمبراطورية الرومانية التي بدأت في ١٦ يناير سنة ٢٧ ق.م.

في روما حذا حذو سلفه، ووضع بين يديه زمام الحكومة وأثبت أنه العامل المؤثر في المجموعة الثلاثية الثانية. ففي ظل شعاراته الجمهورية، حكم أوغسطوس كإمبراطور، وتحكَّم في التشريع والإدارة والجيوش. وتم التمسك الشديد بسياسته من قبل سلسلة من الأباطرة الذين يلقبون باسم جوليوس وكلوديوس، وآخرهم كان نيرون الذي مات سنة ٦٨ م.

كان اوغسطوس قيصر ثاني إمبراطور روماني يحكم عند ميلاد المسيح (لو ٢:١)، والذي أصدر مرسوماً بأن يكتتب كل المسكونة لدفع الضرائب، مما حتم وجود يوسف ومريم حيث وُلد يسوع كما تنبأ ميخا النبي (٥:٢). كان أوغسطوس الذي حكم ما يزيد على ٤٠ سنة قد تعلم على يدي عمه يوليوس قيصر. وقبل موته عن عمر يناهز ٧٦ سنة في ١٤م، كان قد أشرك طيباريوس معه في حكم الإمبراطورية (لو ٣:١).

ومن بين القياصرة الآخرين المذكورين في العهد الجديد «طيباريوس» الذي كان يحكم عندما صُلب المسيح (لو ٣:١، ٢٠:٢٢-٢٥، يو ١٩:١٥)، و«كلوديوس» (أع ١١:٢٨)، ونيرون الملقب بقيصر وأوغسطوس (أع ٢٥:٨،١١). كان هذا هو الإمبراطور الذي رفع بولس شكواه إليه بالكلمات التي قال فيها «إلى قيصر أنا رافع دعواي» أو «إني قررت رفع دعواي لنيرون، الإمبراطور

الحالي» (أع ٢٥:٨، ١١، ٢١).

ومن المؤكد أن تنفيذ حكم الموت على بولس قد تم في عهد نيرون.

بدأ نيرون حكمه كالإمبراطور الحاسم في ١٣ أكتوبر سنة ٥٤م، ومات في ٩ يونيو سنة ٦٨م. إن فترة حكمه التي كانت تتسم بالطيش وسوء السمعة، وحرق روما، والاضطهاد المرير وقتل المسيحيين، هي أشياء معروفة جيداً لقراء تاريخ الكنيسة، وإذ كان نيرون جباناً في حياته وموته، فالذي قتل الكثيرين، شعر أنه من البؤس أن يموت. فعندما حكم عليه مجلس الشيوخ بموت قاسٍ، وغرز سلاحاً في رقبته، وساعده سكرتيره الخاص في مهمته الانتحارية. وكانت آخر كلماته: «الوقت متأخر كثيراً - هذه خيانة»، قد قالها عندما جاء قائد مئة ليقدم له مساعدة. وكآخر واحد في سلسلة القياصرة، هلك نيرون في ٨ يوليو سنة ٦٨م، عن عمر يناهز ٣١ سنة وفي السنة الرابعة عشرة من حكمه. وظل اسمه وصمة عار.

وإذ نأتي إلى الهيرودسيين الذين جاءوا من أصل أدومي، نجد ١١ عضواً من عائلة هيرودس، مشار إليهم في العهد الجديد. من الإناث، لدينا سالومي (مت ١٤:٦، مر ٦:٢٢)، وهيروديا (مت ١٤:٣٦، مر ٦:١٧، ١٩، ٢٢)، وبرنيكي (أع ٢٥:١٣، ٢٣، ٢٦:٣٠)، ودروسلا (أع ٢٤:٢٤). انظر القسم المختص بملكات الكتاب المقدس.

طلب أوغسطوس من أول الهيرودوسيين ليحكم اليهودية والسامرة والجليل وبيرية وأدومية، وكان موجوداً في السلطة عندما وُلد يسوع. يقول هنري أ. دوسكر في مقالته المفيدة عن «عائلة هيرودس». في دائرة المعارف الكتابية الدولية الموحدَّة، عن الاسم هيرودس، انه اسم شائع في تاريخ اليهود وفي الكنيسة المسيحية الأولى، وهو يعني «بطولي» وهذا اسم لا ينطبق إطلاقاً على العائلة، التي اتسمت بالمكر والخيانة وليس البطولة».

كان بعض الولاة الهيرودسيين موهوبين بلاشك، يمتلكون عناصر العظمة، ولكنهم كانوا متَّهمين بالحديث عن الذات كثيراً، وجميعهم تقريباً أساءوا استغلال السلطة والمركز الممنوحيَن لهم، وبسبب خطاياهم وعارهم فشلوا في ترك بصمات وراءهم على رمال الزمن. وعلى الرغم أن الأسماء الآتية ليست شاملة، إلا أننا نذكر بعض الأسماء التي تتفق مع أغراضنا.

هيرودس الكبير (مت ٢، لو ١)

مع أن هيرودس هذا قد أيِّد الأسطورة القائلة بأن هذه العائلة قد تسللت من يهودي بابلي مشهور، إلا أن الهيرودسيين انحدروا من انتيباس الذي مات في سنة ٧٨ ق.م. هذا الابن الثاني لانتيباتر، الذي جعل ملكاً للرومان في سنة ٤٠ ق.م. وملكاً على اليهودية في ٣٧ق.م. كان مشهوراً بدهائه وطموحه الذي لا يعرف حدوداً يقف عندها وهي خصال ورثها عن أبيه.

كان هيرودس الكبير رجلاً ذا قوة جسمية كبيرة، وموهبة فكرية، وإرادة قوية، وفهم صحيح للأمور، ذواقاً لفن العمارة، ويمتلك القدرة على التنظيم، ذا موهبة بارزة في تصريف شئون الدولة، ولكنه كان اسماً على غير مسمى، إن التاريخ الدنيوي يدعوه «الكبير» (لو ١٦:١٥). ولكنه كان يفتقد عنصر العظمة الحقيقية. كان تجسيداً للشهوة الجامحة، وكان يقتل من يقفون في طريق مشروعاته الطموحة. لقد احتفظ بعرشه عن طريق ارتكاب جرائم تتسم بقسوة وضراوة بالغة باستخدام القتل. لقد قتل أفراداً من أقرب المقربين له وأمر بقتل الأطفال الأبرياء لكي يقتل الصبى يسوع. إن هيرودس هذا، صاحب الشخصية

المؤثرة، سرق الكنــوز الموجودة في قبر داود المقدس. لم يكن هناك شيء مقدس بالنسبة له. كان التحيز المرير ودسائس القصر من الأمور التي كان يشتهر بها طوال مدة حكمه. وقبل موته بأربعة أيام أمر بقتل ابنه الأكبر، انتيباتر، وأمر بقتل نبلائه بعد موته. فإذا كان ضحية لمرض كريه لاشفاء له في معدته وأمعائه، فقد كان يتسم بمزاج دموي، مما جعل الحياة بالنسبة له ولبلاطه الملكي شديدة البؤس، وقد أصبح أكثر قسوة عندما اقترب من نهاية حياته الشريرة. يقول يوسيفوس، المــؤرخ اليهودي، والذي ندين له بالفضل لتقديمه تفاصيل حياة هيــرودس، يخبرنا أن هيرودس الكبير قام بمحاولة فاشلة للانتحار.

وفي سنة ٤ ق.م، «مات غير مأسوف عليه، غير محبوب من شعبه، ليدخل التاريخ كاسم ملوث بالعنف والدماء».

هيرودس انتيباس
(مت ١٤، مر٦، لو ٣، ٨، ٩، ٢٣، أع ٤: ١٣)

أرسطوبولوس، الأخ الأكبر «للملك هيرودس» كما يُدعي تأدبًا وليس حقيقة (مر ٦: ١٤)، كان ذا قرابة مباشرة، ولكنه قتل بيد أبيه في سنة ٦ ق.م. وهو الذي تزوج برنيكي، ابنة سالومي، وأخت هيرودس الكبير. انتيباس، الصيغة المختصرة لأنتيباتر، كان ابن هيرودس الكبير ومالتيس Maltace، امرأة سامرية، وتزوج ابنة أركتوس Arctus، ملك بلاد العرب، والذي هجرها لأجل هيروديا، زوجة هيرودس فيليبس الأول.

كان رئيس الربع على الجليل هذا صدوقيًا، ولذلك كان ينكر الحكم الأخلاقي والحالة المستقبلية. وكان الصدرقيون أيضاً يتسمون أيضاً بوحشيتهم وعدم إنسانيتهم في مواقفهم القانونية. وهذه الحقيقة تجعل ملاحظات انتيباس بخصوص يوحنا المعمدان، الذي قطع رأسه، مثلاً صارخاً على هزيمة الضمير التي تتغلب على إرادة الإنسان، وسفسطات الإلحاد.

كان لإنتيباس صورة تاريخية أبعد ما تكون عن المديح. كــان مــؤمنــاً بالخرافات، باحثاً عن الحقيقة دون أن يحبها، ماكراً، مرتكباً لجريمة سفاح القــربي، فتنكر لكل الفضائل الأخلاقية، مــاكـــراً كالثعــلب. إن يوحنا المعمدان الذي وبخ انتيباس علناً لأجل فساده الأخلاقي الشنيــع وتحديه لناموس موســى، دفع حياته ثمناً لشجاعته (مت ١٤: ١، لو١٣: ٣١، لا ١٨: ١٦).

آخر صورة نراها لهيرودس هـذا، كانت خلال أسبوع الآلام في المأساة الأخيرة لحياة المسيح - فهو وبيلاطس اللذان لم يكونا على وفاق معاً، أصبحا صديقين حميمين على حساب المسيح: إن انتيباس هذا سخر وهزأ بالمخلص بأن ألبسه رداء فاخراً. ومن خلال دسائس أغريباس الأول، وجِّهت لهيرودس انتياس تهمة الخيانة العظمى، وتم إبعاده إلى ليون في بلاد الغال، حيث مات في بؤس عظيم، طبقاً لأقوال يوسيفوس. يقول فاوست عن أنتيباس، الذي كان يتسم بالقسوة كأبيه مع المكر أيضاً إنه:

«كان من نفس طراز الملوك الشرقيين الطواغيت، متقلب المزاج، ومع ذلك فقد كان يكرم ويحترم التقوى في الآخرين، ولكن كآخــاب كان أضعف من أن يقاوم تأثير امرأة شريرة، مـمـا جعلــه يفضل التمسُّك المظهري بالفضيلة على صحوة الضمير الحقيقية، مما أفسح المجــال لمخاوف وهمية. إن طيباريوس الذي صنعه وأسماه على اسم الإمبراطور، كان واحداً من أعظم أعمالـه».

هيرودس فيلبس الأول
(مت ١٤: ٣، مر ٦: ١٧، لو ٣: ١٩)

إن فيليبس هذا كان ابن هيرودس الكبير ومريمن الثانية، ابنة سمعان، رئيس الكهنة. تزوج هيروديا، أخت أغريباس الأول. وسالومي ابنتهما، رقصت أمام هيرودس انتيباس، عشيق أمها، والملوث لشرف أبيها.

وبسبب خيانة أمه، استبعد فيلبس من أي نصيب في ممتلكات أبيه وعاش وحيداً. ولكونه بلا مجد ملكي أو شهرة، فربما كان ذلك سبباً في أن زوجته الطموحة، هيروديا، هجرته واتجهت نحو أخيه أنتيباس. لا يُعرف شيء عن التاريخ المتأخر لفيلبس. ودراستنا عن هيروديا الشريرة (انظر الملكات) تثبت ما يمكن أن يؤول إليه الطموح الماكر الذي لا ينفع. إن انتيباس وهيروديا أنهيا أيامهما في عار ونفي.

«إن الطموح لتحقيق مراكز مرموقة يؤدي لأن يخطيء الإنسان هدفه في الحياة بالقفز أكثر مما ينبغي والسقوط على الجانب الآخر».

هيرودس فيلبس الثاني
(لو ٣: ١)

هذا هو الذي بني قيصرية فيلبس بالقرب من الأردن (مت ١٦: ١٣) وقد كان ابناً لهيرودس الكبير وكليوبترا من أورشليم، لقد تزوج سالومي، ابنة فيلبس الأول وهيروديا. كان رئيس رُبع على ايطورية وتراخونيتس، اللتان ورثهما من أبيه. مات في يولياس، المدينة التي أنشأ فيها بيت صيدا ٣٤م. وحيث إنه مات بلا وريث يخلفه، فقد أُعطي إقليمه بعد ثلاث سنوات لأغريباس الأول، ابن أخيه.

يصفه يوسفيوس بأنه يختلف عن بقية عائلة هيرودس، كان يحكم بعدل، ولا يحب الظهور في الحفلات والأماكن العامة، معتزاً بكرامته، معتدلاً، متحرراً من روح الدسائس والمؤامرات، السمة المميزة لإخوته، ومن الإنصاف أن يفترض أنه ورث هذه الشخصية غير الهيروديسية بالمرة، وهذا الموقف من أمه».

هيرودس أرخيلاوس
(مت ٢: ٢٢)

حيث إن هيرودس هذا، رفض لقب «ملك» فقد كان يُعرف بأنه والي اليهودية وادومية والسامرة حوالي ٤ ق.م. كان الابن الأكبر لهيرودس الكبير ومالتس وهي سامرية. تزوج أولاً مريمن، وبعد طلاقه منها تزوج جلافيرا، التي كانت زوجة أخيه غير الشقيق، الاسكندر، وبناء على وصية والده، صار وارثاً للجزء الأكبر من مملكة هيرودس، وقسَّم الباقي بين انتيباس وفيليبس. وكأبيه، كان أرخيلاوس رجلاً عنيف الطبع، وكأبيه كان ذواقاً للفن المعماري، بنى قصراً ملكياً في أريحا. وأسس قرية أيضاً، أسماها أرخيلاوس نسبة له. إن ما ورد في متى عن لأرخيلاوس يدل على شيء من الظلم والقسوة التي كان حكمه يتميز بها، يذكر يوسيفوس تفاصيل عن حبه الغريزي للقتل، وعن الطريقة التي كان يحكم بها بقبضة من حديد.

لحقت به الكوارث إذ صادرت السلطات الرومانية ممتلكاته، وأبُعد إلى فيينا في بلاد الغال حيث مات، ومع ذلك يقول جيروم إن قبره كان بالقرب من بيت لحم. وعلى كلٍ فقد كان هيرودس آخر حصد مازرع.

هيرودس أغريباس الأول (أع ١٢)

كان اغريباس الأول هذا، ابن ارسطو بولوس وبرنيكي، حفيد هيرودس الكبير من مريمن الأولى، خلف فيلبس

الثاني كرئيس ربع في سنة ٣٧م، وخلف هيرودس انتيباس في سنة ٤٠م. أضيفت اليهودية والسامرة في سنة ٤١م.

سجنه طباريوس بسبب حديثه غير المنضبط، ولكن أطلق سراحه عندما اعتلى كايوس كاليجولا العرش في سنة ٣٧م. اعطاه كاليجولا مملكة وملكية (أع ١٢:١).

إذ كان يمتلك مهارة عظيمة وفناً، أعاد أغريباس مملكة هيرودس لسابق مجدها. انتقم لمصير والده، ورد السلطة الهيرودسية القديمة لسابق امتدادها الأصلي. «كان حكمه متسماً بالرخاء، واللباقة في التعامل مع اليهود». يقول فاوست عنه إنه على خلاف أسلافه في حكم البلاد، كان أغريباس ملتزماً التزاماً دقيقاً بالناموس، وهناك أسطورة تصفه وقد انفجر باكياً عندما قرأ أثناء العبادة ما جاء في تث ١٧:١٥، وعند ذلك صاح اليهود: «لا تحزن، أنت أخونا» أي بانتسابه من ناحية أحد والديه إلى الحسمونيين. ومع ذلك ، فعلى النقيض من هذا كان يضايق الكنيسة بقدر ما يستطيع، ولكي يرضي اليهود قتل يعقوب أخا يوحنا، وسجن بطرس أيضاً، وكان ينوي أن يقتله بعد عيد القيامة. ولكن بطرس أنقذ بمعجزة إلهية.

«كان حب الشهرة هو المبدأ الذي حكم وفقاً له، والذي استسلمت له طبيعة أغريباس البشرية، لقد اقتاده البحث عن مجده الشخصي للتخطيط لموت بطرس، ولكن النتيجة كانت موته هو» لقد عوقب عقاباً مأساوياً لأجل كبريائه الشرير، يقول يوسيفوس إنه عندما ظهر أغريباس في ثوب مصنوع من الفضة الخالصة وكانت تلمع في ضوء الصباح، حيَّاه منافقوه كإله. ولكن الإله الحقيقي ضربه بمرض مريع في أمعائه، مما تسبب في موته بعد خمسة أيام من تلك الحادثة وكان عمره ٥٤ سنة. وبموته انتهت السلطة الهيرودسية بالفعل. فمن كان يدعوه الناس «اغريباس الكبير» كان التحذير الأخير للمتكبرين والمغرورين، «ويل لمن يخاصم جابله! خزف بين أخزاف الأرض» (إش ٤٥:٩).

من بين الأبناء الأربعة الذين تركهم أغريباس، ثلاثة معروفون تاريخياً - هيرودس أغريباس الثاني، وبرنيكي ذات السمعة السيئة، ودروسلا، امرأة الوالي الروماني فيلكس (أع ٢٤:٢٤).

هيرودس أغريباس الثاني
(أع ٢٥:١٣، ٢٦:١)

هذا الوالي الهيرودسي الأخير كان ابن اغريباس السابق، وخليفته على الربع الخاص بفيلبس الثاني ٥٣ - ٧٠م. وحيث أنه لم يكن سوى شاب يبلغ ١٧ عاماً، عندما مات أبوه، فقد كان يعتبر أصغر من أن يتولى شئون الحكم في بلده، ووُضع تحت الوصاية، وعندما تولى شئون المملكة، أعطاه كلوديوس سلطة الإشراف على الهيكل والخزانة المقدسة، وسلطة تعيين وعزل رئيس الكهنة، وقد كان يمتلك هذه السلطة حتى دمار أورشليم في سنة ٧٠م عندما التجأ إلى روما، ومات هناك سنة ١٠٠م.

يخبرنا يوسيفوس أن أغريباس كان يخطب ود اليهود كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً. كان بولس يدعوه «ملكاً» وقدم إليه شكوى كشخص يعرف الكتب المقدسة.

وأمام هيرودس هذا وأخته برنيكي، تحدث بولس بقوة وفصاحة مما جعل أغريباس يعترف بأن دفاع بولس كاد أن يجعله مسيحياً.

إن الأمر يتطلب مجلداً كاملاً لجمع كل القصص والتقاليد المرتبطة بكل الحكام الرومان. هناك رواية بسيطة تعزى إلى الإمبراطور الروماني جوليان، المعروف في التاريخ باسم «المرتد» أنه قد وجه إلى المسيح الذي كان يحتقره، هاتين الكلمتين الشهيرتين Vivisti, Galilee،

والتي ترجمها سواينبرن بهذه الكلمات (والذي كان غير مؤمن):

«لقد غلبت أيها الجليلي الضعيف»

لكن المسيح لا يزال يغلِب، ليس بالسيف كما فعلت روما، ولكن بجروحه.

الفصل الثامن

فلسطين والملوك اليهود

من المستحيل تتبع سجلات ملوك اليهود، دون التفكير في الأرض المقدسة التي عاشوا وساروا فوقها، حتى وإن كانت مخضَّبة بالدماء. إن فلسطين، تلك الأرض التي لا تُنسى دونًا عن سائر البلاد، هي المكان الذي دُفن فيه ملوك يهوذا وإسرائيل، والتي ينتظر فيها بعضهم بوق الله ليقوموا من الأموات ليدخلوا إلى المجد المعد لهم من قبل ملك الملوك. ولكن ياللحسرة، فإن آخرين ينتظرون الصوت الذي سوف يدعوهم «لقيامة الدينونة».

إن الكتاب المقدس ككل يحيطك بجو فلسطين. إن ماضي وحاضر ومستقبل «الأرض المقدسة» يسود كل صفحات السجل المقدس. كانت فلسطين وهي الشريط الساحلي الطويل مسكونة أصلاً بالفلسطينيين. كانت فلسطين تعتبر قديماً مركز العالم المعمور، وموقعها الجغرافي بالتأكيد لافت للنظر فهي - «مركز الكرة الأرضية». لقد رتَّب الله أن تحتل أورشليم موقعاً مركزياً وسط العالم المعمور «هذه أورشليم في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضي» (حز ٥:٥).

أورشليم عاصمة فلسطين، هي أشهر جميع المدن. حولها عاش آباء إسرائيل وماتوا فيها. وهناك في الهيكل، كان الحضور الإلهي، آباؤنا سجدوا في أورشليم (يو ٤:٢٠). وهنا أيضاً، حكم داود وسليمان، اللذان كان سلطانهما ومجدهما، ذائع الصيت في كل أنحاء العالم. وياللحسرة، فهنا أيضاً صُلب ملك المجد.

ذُكرت أورشليم في الكتاب المقدس أكثر من ٨٠٠ مرة، وقد تم حصارها في الماضي ما لا يقل عن ٣٤ مرة. هاجمها اليونان والسوريون والمصريون والفرتيون والرومان والأوروبيون، ويسجل الكتاب المقدس نهب المدينة التاريخية على يد شيشق، ملك مصر (٢أخ ١٢:١-٤)، ويهوآش، ملك إسرائيل (٢مل ١٤:١٣،١٤)، ورصين وفقح (٢مل ١٦:٥)، وسنحاريب (٢مل ١٨:١٧)،

والفرعون نخو (٢مل ٢٣: ٣٣ - ٣٥)، ونبوخذنصر، ثلاث مرات (٢مل ٢٤:١، ١٠،١٥، ١١)، والإمبراطور تيطس (لو٢١).

إن أرض فلسطين تتوفر لها حماية فريدة. فمن الشمال توجد سلسلة جبال لبنان، والتي تغطي الثلوج قممها طوال العام تقريباً، ومن الغرب يحف بها البحر المتوسط، ومن الجنوب تقع مصر والصحراء المجاورة، ومن الشرق من الأردن تمتد الصحراء العربية الكبرى حتى نهر الفرات مسافة تصل لحوالي ٣٠٠ ميل. كم ثمين هو الوعد القائل « إن الرب حول شعبه كما أن الجبال حول أورشليم». (مز ١٢٥:٢)!.

وحيث أن علماء الجغرافيا يختلفون في تحديد حدود الأرض، فمن الصعب أن نقدم الطول الدقيق للبلاد، إنها حوالي ١٥٠ ميلاً في الطول من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ متوسط عرضها ٤٠ ميلاً، وتغطي مساحة تبلغ حوالي ١٢،٠٠٠ ميلاً مربعاً.

يقول والتر سكوت، الذي يدين له الكاتب بالفضل العظيم لتصويره الدقيق لإمبراطوريات العالم القديم: «في وقت ربنا، كانت البلاد مقسَّمة إلى ثلاث أقسام، كان القسم الشمالي وهو الجليل، ويمكن اعتباره القسم العقلاني. والأقاليم الوسطى وكانت السامرة، ويمكن اعتبارها القسم الدنس. والقسم الجنوبي كان اليهودية وهو يعتبر القسم الديني. في أثناء حكم سليمان المجيد، كانت البلاد تتفوق على كل ممالك الأرض في العظمة، وكان الشعب كثيراً (١مل ٣:٨)، وكان الرخاء الاجتماعي عظيماً (١مل ٤:٢٠)، وكانت تجارتها ناجحة ووفيرة (١مل٦:٢٦-٢٨). كانت كنوز الهند وسلعها النادرة تستورد من هناك إلى فلسطين عن طريق أسطول تجاري بحري منتظم (١مل ١٠:٢٢)، وكان الذهب وفيراً والفضة وفيرة لدرجة أنها لم تُحسب شيئاً في تلك الأيام السعيدة (١مل ١٠:٢١).

يتحدث الكتاب المقدس عن فلسطين التي كان الأقدمون يدعونها هكذا، بطرق ذات دلالة، فقد كان كل اسم يحمل معنى خاص:

- كنعان (لا ١٤:٣٤).
- الأرض المقدس (زك ٢:١٢)
- أرض الرب (هو ٩:٣)
- بلادك ياعمونوئيل (إش ٨:٨)
- أرض إسرائيل (١صم ١٣:١٩).
- أرض العبرانيين (تك ٤٠:١٥)
- أرض الموعد ،عب ١١:٩)
- الأرض البهية (دا ١١:١٦).

وللحصول على معلومات مفيدة عن آثار فلسطين والحفريات الأركيولوچية فيها، ومعالمها الچيولوچية، ونباتاتها وحيواناتها ومناخها، نشير على القارىء بالرجوع إلى بعض دوائر المعارف مثل دائرة معارف فاوست أو دائرة المعارف الكتابية الدولية الموحدَّة. بعد أن تأملنا في الأرض، دعنا نتعامل مع الملوك والملكات المرتبطين بها.

رفض المُلك الإلهي

كان شوق اليهود لرئيس منظور ذي لقب ملكي بمثابة تمرد على الرئيس الديني المعيَّن من قبل الله. ولأن شعب إسرائيل كان مفتوناً بالاحتفالات الملكية ومجد الملوك والشعوب المحيطة بهم، فقد كانوا يريدون ملكاً خاصاً بهم. ومع ذلك ، فلم يكن الله يريد لشعبه أن يُستعبدوا لملك أرضي، بل أن يكونوا «مملكة كهنة» و«أمة مقدسة» ويكون الله نفسه ملكاً لهم (خر ١٩:٦، ١بط٢:٩) وهكذا فإن رفض الأمة للرب كملك عليهم قد

تسبب في غياب كامل للثقة في الله، ألم يكن وجوده في وسطهم ضماناً أكيداً بأن الرب كفيل بأمنهم ورزقهم؟

ولكن طلب الشعب من صموئيل «اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب» (١صم٨:٥)، كان رفضاً بارزاً وإيجابياً لله وحكمه، وخطوة محفوفة بعواقب وخيمة تحل عليهم، إن الله في نعمته ورحمته، حوَّل خطيتهم إلى فرصة لتحقيق قصده في المُلك ليتم في المسيح - المصدر الإلهي الشامل للبركة لجميع الناس ولكل الخليقة «وهكذا فإن حكم شاول لم يكن ضمن القصد الإلهي، على الرغم أنه كان جزءاً مكملاً لخطته».

إننا مدينون ليوسيفوس باللفظ Theocracy أي حكومة بتوجيه مباشر من الله لوصف إسرائيل قبل أن تصبح مملكة. لقد بدأت هذه الحكومة بدعوة إبراهيم واختيار اليهود من بين الشعوب المجاورة وهو تعبير يدل على حكم مباشر من الله دون وسيط أو تدخل من حاكم أرضي. إن هذا الشكل من الحكم الإلهي المباشر لم يفشل ولكن الشعب فشل في تقدير مزاياه، ولم يرتقوا لمستوى مفاهيمه السامية (١صم ٨:٧) إن الابتعاد عن نموذج الحكومة الإلهية حدث عندما طلب الشعب ملكاً قبل الوقت الذي أراده الله. كانت الحكومة الإلهية تتمثل في الكلمات «الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا» (إش ٣٣:٢٢).

كان قصد الله أن يعطي شعبه مملكة منظورة كما تنبأ موسى (تث ١٧:١٤،١٥)، وعندما طلب إسرائيل ملكاً، أشار صموئيل إلى توجيه موسى (١صم ١٠:٢٤). كان وعد الله الواضح أمام الشعب دائماً «ملوك شعوب منها (من سارة) يكونون» (تك ١٧:١٦) والإشارات الأخرى لملوك يمكن أن توجد في (تك ٣٦:٣١، عد ٢٤:١٧، تث ٢٨:٣٦).

إن القيادة الإلهية كانت تتمثل في أيام موسى ويشوع، وخلال فترة القضاة لم تكن هناك حكومية سياسية مركزية «لم يكن ملك في إسرائيل» كان صموئيل نائب الله ذا سلطة تنفيذية من الله، وقد رأى النبي أنه في أيام القضاة، فإن الحكومة الإلهية لن تكون عملية، لأنه في تلك الأيام كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه (قض ٢١:٢٥). ولذلك عندما اقترب شيوخ إسرائيل من صموئيل بهذا الطلب «اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب» (١صم ٨:٥)، شعر النبي أن هذه القضية لا يمكن تجنُّبها، ومع ذلك فقد حذَّرهم من النتائج المباشرة لطلبهم. إنهم سوف يتعرَّضون للكثير من الأعباء الثقيلة والعبودية على يدى الملك.

لم يكن الخطأ في «الرغبة» أن يكون لهم ملك، بل كان في «الروح» التي قدموا بها الطلب. إن صموئيل، القائد المعيَّن من قبل الله، تم تجاهله تحت ذريعة «أنت قد شخت» بعد أن قاد زمام الأمة لمدة ٣٥ سنة. ومثل هذا الرفض الممزوج بنفاد الصبر ضاعف من خطية طلبهم. لقد غابت عنهم حقيقة أن الله هو ملكهم، ولذا فقد أعطاهم بغضب ملكاً وفقاً لسؤل قلبهم (هو ١٣:١٠،١١). قال ڤولتير ذات مرة: «تعطى السماء الملوك في معظم الأحيان للانتقام»، وعبَّر ملتون عن فكرة مشابهة في هذه السطور:

الله أعطى السلوى في غضبه، والملوك في غضبه، ومع ذلك فلا يعد أياً منهم شريراً في حد ذاته».

كانت رغبتهم في الحصول على ملك تنطوى على صدام بين جانبين مثاليين: الجانب السياسي والجانب الديني، كان صموئيل يلقي بكل ثقله في الجانب الروحي، وكان يفضل استخدام نفوذه ضد النظام الملكي، ولكن الله أعلن خلاف ذلك. إن جانباً ضرورياً من التدريب الإلهي

للشعب أن يسمح لهم الله بأن يصبحوا مملكة. «أعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً في أنفسهم» (مز ١٠٦:١٥) إن حلم السيادة السياسية تم تصحيحه بعقاب التاريخ. فعن طريق التجارب المريرة، علّمهم الله دروساً ما كان يمكن أن يتعلموها عن طريق آخر. وبتلك الطريقة، حدث أن المملكة التي تكونت ساعدت في الحفاظ على بقاء الأمة، وأصبحت رمزاً لملكوت المسيا (تك ٤٩:١٦) وشهدت حقيقة الحكم الإلهي.

سجلات الملوك اليهود

إن القائمة الكاملة للحكم الملكي في إسرائيل مقدم في سفري صموئيل، وسفري الملوك، وسفري أخبار الأيام، وكانت الستة كتب في العصور القديمة تكوِّن سفرين فقط، وهما صموئيل والملوك، وكانا يعاملان كسفر واحد. ومن هذه الأسفار، نجمع وصفاً شاملاً لتاريخ ملوك اليهود فنجده:

١- تأسيس وإنشاء المملكة في سفري صموئيل

٢- التاريخ العام للمملكة في سفري الملوك

٣- التاريخ الداخلي للمملكة بالنسبة لنعمة الله السامية في سفري أخبار الأيام. تخبرنا أسفار صموئيل والملوك قصة واحدة، ألا وهي، قصة المملكة منذ قيامها حتى سقوطها، لدينا هنا حقائق التاريخ مرئية من وجهة نظر بشرية. وأخبار الأيام يعطينا الأقوال والأفكار الإلهية عن هذه الحقائق - التاريخ يُرى من منظور إلهي.

إن سفري صموئيل يناقشان كل ما يتعلق بالملوك، ولكن سفري الملوك مهتمان بالمملكة، الجانب السياسي والملكي، وسفر أخبار الأيام يناقشان الجوانب الداخلية والكهنوتية والطقسية، إن أسفار الملوك وأخبار الأيام لا تحدث ارتباكاً عند فهم الحقائق الكاملة. يقدم سفر الملوك سجلاً تاريخياً : الحروب والعبادات الوثنية والخطايا.

ويقدم سفر أخبار الأيام فلسفة التاريخ : ما تم من إنقاذ وحالات التوبة والاصلاحات. وبالإضافة لذلك.

١- تواريخ المملكتين مقدمة بالتوازي مع بعضهما البعض من ١ مل ١٢ - ٢مل ١٧، عندما أُخذت إسرائيل إلى السبي.

٢- تاريخ يهوذا متواصل في ٢ مل ١٨ - ٢٥

٣- تاريخ إسرائيل (عشرة أسباط) غير مقدم في أخبار الأيام.

٤- الفترة الكبيرة من موت سليمان إلى سبي يهوذا مسجل من وجهات نظر مختلفة ومتميزة.

وبأخذ الأسفار الستة وفقاً لترتيبها الحالي، يمكن تلخيصها كالتالي: يقدم صموئيل الأول المملكة التي أسسها شاول، ولكن وفقاً لمسئولية الإنسان. ويحتوى السفر على قصة تغيير الحكم من القضاة إلى الملوك، ويحتوى على خدمات صموئيل وعالي، وفترة حكم شاول وموته، ويغطي السفر فترة تبلغ مائة سنة.

يبين صموئيل الثاني كيفية تأسيس المملكة على يد داود وفقاً للقصد الإلهي، ويقدم لنا تاريخ فترة حكم داود التي استمرت ٤٠ سنة. كان هو الملك الوحيد الذي وُلد في بيت لحم، كما وُلد المخلص، وكان يحكم أسباط إسرائيل عدداً من السنين مساوٍ للمدة التي عاشها ربنا على الأرض - حوالي ٣٣ سنة.

كان سفرا الملوك في الأصل سفراً واحداً، وقُسِّم على يد مترجمي الترجمة السبعينية في طبعتهم اليونانية للعهد القديم بالعبرية والتفسير الذي أعطى لذلك التقسيم هو أن الترجمة اليونانية تأخذ مساحة تزيد بمقدار الثُلث عما تشغله الطبعة العبرية، ولذلك اضطر المترجمون لتقسيم السفر، إما لأن المخطوطات ذات طول محدود أو لجعلها

أسهل في التداول.

يقدم لنا سفر الملوك الأول التاريخ العام للمملكة - من سليمان إلى موت يهوشافاط. ويشغل السفر مدة زمنية تصل إلى ١٢٦ سنة يمكن تقسيمها إلى قسمين بهذه الطريقة.

١- تاريخ المملكة غير المنقسمة في عهد سليمان، الاصحاحات من ١-١١.

٢- تاريخ المملكة المنقسمة، الأصحاحات من ٢٢:١٢ .

يواصل سفر الملوك الثاني تكملة أحداث السفر الأول، ويصف فترات حكم وأعمال ملوك يهوذا وإسرائيل المتعاقبين منذ موت يهوشافاط حتى دمار أورشليم وهيكلها. وهنا نجد تاريخاً عاماً مبنياً هكذا:

١- التاريخ المعاصر لمملكة يهوذا وإسرائيل حتى نهاية إسرائيل بسببها على يد شلمناصر، ملك أشور.

٢- تاريخ وانهيار وسقوط مملكة يهوذا، ١-١٧، وسببها على يد نبوخذنصر ملك بابل، ١٨-٢٥ .

وسفرا أخبار الأيام، واللذان كانا في الأصل سفراً واحداً، كان موجوداً في نهاية الكتاب المقدس العبري في القسم الثالث المعروف بالمزامير، ومن المرجح أنه كُتب بقلم عزرا بعد عودة اليهود من سبي بابل. وعنوان الترجمة السبعينية للسفرين هو «محذوفات» بسبب الإضافات التي أضافتها. والعنوان الحالي وهو «أخبار الأيام» يعود لعهد جيروم من القرن الرابع.

ومن الواضح أن كاتب هذين السفرين استخدم سفري صموئيل والملوك، وسجلات أخرى، ونحن ندين بالفضل لأخبار الأيام لمعرفتنا بحكم داود، وبناء الهيكل، وتاريخ يهوذا، وقد كُتبت هذه الأشياء لغرض محدد، ألا وهو، للتأكيد على «مؤسستين إلهيتين» الهيكل وسلالة الملوك من صلب داود.

يصوِّر سفر أخبار الأيام الأول داود كالشخصية البارزة، فبعد تتبع سلاسل أنساب إسرائيل من إبراهيم، يتحدث كل بقية السفر عن ملك الله المختار.

وسنجد ما يأتي:

١- تاريخ السلالة ١-٩

٢- تاريخ شاول ١٠

٣- تاريخ داود ١١:٢٩

ويركز سفر أخبار الأيام الثاني على بيت داود في المقدمة، إنه يبدأ بحكم سليمان، ويغطي تاريخاً حوالي ٤٨٠ سنة حتى العودة من بابل . وتتفق ما فيه من أحداث مع كثير مما جاء في سفر الملوك، مع فارق واحد وهو أنه في سفر الملوك نجد أن تاريخ يهوذا وإسرائيل ممتزجان معاً، ولكن في أخبار الأيام لا نكاد نجد شيئاً سوى تاريخ سلالة داود، والذي لم نقرأ الكثير عنه من قبل. ولذلك فمن الضروري أن نقارن بين الملوك وأخبار الأيام لنحصل على وجهة نظر عادلة عن الشخصيات المذكورة، وعلى سبيل المثال: فسفر أخبار الأيام يقدم شيئاً عن ارتداد سليمان، وسفر الملوك لا يقدم شيئاً عن توبة منسى.

إن الصمت الهادف تجاه أحداث كثيرة مسجلة في السفر يثير الإعجاب، إن مثل هذا الصمت غالباً ما يكون أبلغ من الكلام، فالتقدم الروحي للعقيدة اليهودية يجب أن يقاس بالأحداث المدوّنة والمحذوفة في كل سفر، ويبدو الأمر كما لو أنه كان هناك مسجِّلاً رسمياً كانت مسئوليته تنحصر في جعل أخبار الأحداث تعد مصادر التاريخ المستقبلية بهذه الطريقة. إن أسماء بعض هؤلاء المسجِّلين للأحداث مبنية في (أخ ٩:٢٩-٣١ انظر أيضاً ٢ أخ ١٢:١٥،١٣:٢٣ . RV).

إن دراسة الملوك اليهود تكشف خطة ذات نمط ثابت

خاص بتسجيل الحقائق الخاصة بكل ملك، على سبيل المثال.

في بداية حكم أحد الملوك يتم ذكر عمر الملك عند اعتلائه العرش.

- ثم نعرف مدة حكمه، وفي حالة بعض ملوك يهوذا ، اسم أمه.

- يتبع ذلك وصف عام لطبيعة حكم الملك إن كان خيِّراً أو شريراً.

وفي بعض الأحيان نجد أسباب الموت ومكان الدفن، واسم الملك الذي يليه، وفي بعض الأحيان، تُذكر إشارة تشير لمصدر آخر لاستقاء المزيد من التفاصيل (١ مل ١١:٤١).

لم يكن الملك اليهودي مثل أي ملك شرقي من طبقة ملوكية متميزة، يُختار من بين العديدين من أنداده، وكأسلافه، يكون مقيداً بالقوانين الأساسية للأمة. (مت ٩:٢٣). كان الشعب يختار ملكاً بين إخوتهم، ولم يكن الملك يغتصب أبداً حق التشريع (١ صم ٩:١٥، مز ١٩:٨٩).

كان الرخاء بالنسبة لإسرائيل، يعتمد على أمانة أو عدم أمانة الملك الذي يحكم، وكانت التقوى الشخصية تشع بنورها دائماً في أحلك فترات تاريخ إسرائيل. كانت كل بركات الحكم للشعب والناس كامنة في الملك الذي يحكم - وهذا مبدأ موضَّح عن طريق الأمثلة، ويمكن التحقق من صحته في تاريخ مملكتي يهوذا وإسرائيل. فيربعام الأول، كما سنرى، ألقى بكل حياته الشريرة على المملكة التي أسسها. وكلمات ماثيو أرنولد تنطبق على يربعام.

«لأن هذه هي القوة الحقيقية للملوك الأشرار
عندما يفسدون نفوس الذين يحكمونهم»

المملكة المتحدة ١٠٩٥ - ٩٧٥ ق.م

من المفترض عموماً أن ثلاثة ملوك هم شاول وداود وسليمان ينتسبون للمملكة المتحدة، وأن كلا منهم حكم لمدة أربعين سنة، إلا أننا يجب ألا ننسى إيشبوشت، بن شاول وخليفته، كان شاول وابنه من سبط بنيامين - وداود وسليمان من سبط يهوذا، ونحن نعلم أن سلسلة النَّسب المسيانية المتنبأ عنها بدأت بداود (تك ٤٩:١٠).

وصلت المملكة المتحدة لأوج قوتها ورخائها ومجدها ونفوذها خلال حكم الملك سليمان الذي امتد ٤٠ عاماً.

شـــــاول

(١صم ٩، ١١:١٣-٢١، ٢صم ١، ٢١:١-٩)

الملك الذي سمح به الله ثم رفضه

يستعرض تاريخ شاول مأساة، نفس عظيمة وموهوبة، لأنه كان ملكاً شجاعاً وموهوباً. وكان نبيل النفس في العديد من المواقف - ومع ذلك فقد كانت نفسه معذبة بالأرواح الشريرة، نفس زجَّت بنفسها في معركة انتحارية في معركة خاسرة، من بين كل الإبداعات العظيمة للشعر اليوناني، لا يوجد شخص واحد تم تصويره نابضاً بالحياة كشاول كما نراه أمامنا في سجلات إسرائيل الموحي بها.

إن شاول بن قيس، كان يمثل سبط بنيامين غير ذي الأهمية، مثل سميه في العهد الجديد (أع ٧:٥٨، في ٣:٥) : ولذا فإن شاول أهم اسم متميز في سلسلة أنساب سبط بنيامين. إن شاول العهد القديم أصبح ملكاً حسب قلب البشر، كما أصبح داود ملكًا حسب قلب الله (١صم ١٣:١٤، أع ١٣:٢٢)، ويرمز تاريخه لخطية اليهود ورفضهم، ولإقامة الله أبناء إبراهيم من بين الأمم (مت ٣:٨-١٠).

إن الآمـال التي كـانت مـعـقـودة على حكم شـاول، والمأساة التي اتسمت بها نهايته، تذكرنا بماكبث في رائعة شكسبير الخالدة، فمثل ماكبث، افتتح شاول حكمه بانتصار عظيم، ومثله أيضًا سقط تحت تأثيرات جهنمية، ومثله اجتاز بمخاوف سببها الحقد واليأس والقتل.

كانت بداية حكم شاول واعدة بما فيه الكفاية، وكان الإسرائيليون كشعب متضايق غير مكتف بأن يكون الله ملكًا عليهم، وصموئيل كالنبي القاضي لهم. لقد أرادوا أن يحكمهم ملك منظور كالشعوب الوثنية من حولهم، وباتخاذ شر أبناء صموئيل كذريعة، طلبوا من صموئيل أن يعطيهم ملكًا. ولما أدرك النبي الخطية الكامنة وراء طلب الشعب، وبَّخهم، ولكن الله تغاضي عن خطيتهم وسمح بتأسيس المملكة العبرية، معدًا الطريق بذلك، لمجيء وملكوت ابنه.

راق شاول في نظر الإسرائيلين الجسدانيين لقوة شخصيته، وأعطاهم الله إياه بغضبه (هو ١٣:١١). ولكن الشعب كان عليه أن يتعلم عن طريق الخبرة الفرق بين الملك الذي يختارونه (١صم ٨:١٨، ١٢:١٣)، والملك الذي في الوقت المعين، يرسله الله لهم (اش ٥٢:٢،٣). ومنذ وقت تأسيس المملكة، عاقب الله الأمم بإعطائهم حكامًا من نفس النوع الذي يرغبونه في حماقة. «والسماء تعطي في معظم الأحيان ملوكًا للانتقام».

كانت الصفات المناسبة التي تؤهل شاول للملك مثيرة للإعجاب، فلو كان قد ظل أمينًا لله، لاحتل مكانًا مرموقًا لنفسه في قائمة الملوك كملك قوي.

لقد كان طويل القامة ومن ذلك النوع من الناس الذي تلتفت إليه بإعجاب. ويصف الكتاب المقدس وسامته الفائقة (١صم ٩:٢).

كان متواضعًا (١٠:٢٢)، وكان يعرف كيف يكتم السر حتى يحين موعد الكلام (١٠:١٦)، ولم يكن يعتبر أن ملكه يتعارض مع القيام بالأعمال المعتادة (١١:٥).
كان قائداً شجاعًا فيما عدا في مناسبة لا تُنسى (١٧:٢٤) اكسبته أعماله الشجاعة مكانة عميقة في قلوب شعبه وثبتته في المملكة (٩:٢١).

كان يتصف بتلك السمة المتميزة ألا وهي الوطنية الصادقة، وكانت لديه الغيرة على شعبه، على الرغم أنها دائمًا غير مبنية على المعرفة (٢صم ٢١:٢، ٩، رو ١٠: ٢).

حارب بشدة لأجل الأمة، وبالرغم من الحروب الطويلة، ترك المملكة وهي وطيدة الأركان، أظهر شاول، في أيامه الأولى، تلك الفضيلة التي اتسم بها قيصر، من إظهار الشفقة والعطف نحو خصومه السياسيين (١٠:٢٧،١١:١٢،١٣، مز ٧٢:١٠).

رفض أن يكون قاسيًا بسبب صلاح الله (١١:١٣).

باركه الله في يوناثان الابن الشجاع الذي حاول أن يمنعه من اضطهاد داود (٢٠:٣٢) وقتله، كان الأب والابن محبوبين وحلوين في حياتهما ولم يفترقا في موتهما (٢ صم ١:٢٣).

ومن الناحية الروحية، كان شاول أيضًا أهلاً للمسئولية كأول ملك على إسرائيل: فالسجلات تقرر:

حل عليه الروح القدس في مناسبتين (١٠:١٠، ١١:٦)، أيد الله شاول أو مسحه، ليس عن رضى ولكن استجابة لسؤل الشعب، كما جاء في مز ١٠٦:١٥ . ولم يقتل داود شاول نظرًا لأنه مسيح الرب.

أعطى قلبًا آخر (١٠:٩) فهو الرجل الوحيد في العهد القديم الذي قيل عنه «أن الله أعطاه قلبًا آخر».

كان من الواجب اتباعه كملك. فمنذ وقت تتويجه فصاعداً، كان يجب أن يُعامل كمسيح الرب (١٠:١-٥،

٢ صم ١:٤). وبقبول الشعب لشاول كملك، سرت في الشعب رنَّة الفرح الكامنة في النشيد القومي «حفظ الله الملك - أو الملكة» الذي يعد صلاة لله، ممسوحة بكلمته، ولذلك يجب أن ينشد بخشية مقدسة (١٠:٢٤، ١ تي ٢:٢).

كان من نصيبه نصائح وصلوات صموئيل، وبركات رئيس الكهنة والتابوت (١٢:٢٣، ١٤:١٨)، وكذلك المزامير الملهمة لمرنم إسرائيل (١صم ١٦:٢٣).

وعلى الرغم من كل العطايا والتشجيع الذي انهمر على شاول، إلا أنه فشل عند الامتحان «الصعاب تشحذ قدرات الإنسان وتكشف أين يضع ثقته الحقيقية» ووُزن شاول في الموازين فوُجِد ناقصًا. ويمكن تلخيص فشله الثلاثي هكذا:

الكبرياء الذاتية: مات شاول من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه (١ أخ ١٠:١٣). كان رجلاً يتسم بالكبرياء التي قادته إلى السقوط.

الاعتداد بالذات: «من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه» (١ أخ ١٠:١٣). ويقدم سليمان حديثًا عن ثمرة الغرور والاعتداد بالذات (أم ١٠:٨، ٢٣:١).

عدم طلب المعونة من الله: «فمات شاول بخيانته ... لأجل طلبه إلى الجان للسؤال» (١ أخ ١٠:١٣). كان باب السماء مغلقًا في وجه صراخ شاول. وكبر حجم خطية شاول هنا بشكل تدريجي وبارز، قارن تواضعه، وتحكمه في غضبه، وروح التسامح التي كان يتسم بها بكبريائه الجريحة، وحدة الطبع، والروح الرديء الذي كان يعتريه ويدفعه للقتل (١ صم ٩:٢١، ١٠:١٦، ١١:٥، ١٣، ١٦:٢٣، ١٨:٨، ١٩:١-١٥، ٢٠:٣٠).

في وقت من الأوقات كان تبكيت شاول عميقًا، ومع ذلك فقد هلك أخيراً في إثمه (١صم ٢٤:١٦، ١٧، ٢٦، ٢١، ٣١:٤).

كم كانت نهاية شاول مأساوية، لقد أنهى حضور صموئيل وتأثيره، ومسحة الروح قد زالت، لقد صار ضحية التشويش العقلي الذي كان يهدئه قيثارة داود في بعض الأحيان. لقد تبع السحر الذي أدانه مرةً، ومات على يدي نفسه، فالشاب العملاق الذي بدأ حكمه واعداً، مات في الأربعين كخاطيء ومنتحر، فقلب البطل الشجاع قد خانه وألقى بنفسه على سيفه، لقد قتل نفسه.

رغم أن داود كان ضحية لؤم شاول، إلا أنه عندما سمع بموته لم يقم بذكر خطاياه. إن مرثاة داود الجميلة على شاول علامة على كرم أخلاقه (٢صموئيل ١:١٧:٢٧).

ايشبوشت

(أخ ٨:٣٣، ٩:٣٩، ٢صم ٢:٨-١٢، ٣:٧-١٥، ٤)

الملك الذي قُتل أثناء نومة الظهيرة

مع أنه مغتصب، إلا أن إيشبوشت ملك على إسرائيل لمدة سنتين، ولذلك يستحق أن يفرد له مكانًا في دراستنا لملوك الكتاب المقدس. إن اسمه الذي ورد حوالي ١٣ مرة في سفر صموئيل الثاني، كان في الأصل إشبعل (١ أخ ٨:٣٣، ١١:٣٩)، احتقاراً للبعل، واستبعاداً لأي ارتباط بينه وبين عائلته، كان الابن الأصغر من أبناء شاول الأربعة (ويكاد يكون ضعيف العقل)، واعتلائه العرش كان طبقًا للأسلوب الشرقي، رغم أن مفيبوشت، ابن ابن شاول الأكبر، يوناثان، كان على قيد الحياة. اعتلى ايشبوشت العرش في محنايم على يد ابنير، قريبه الشجاع، وذلك بعد فترة هدنة لمدة خمس سنوات اقتسم فيها الفلسطينيون وداود البلاد بينهما. كان يبلغ من العمر أربعين سنة، عندما، أصبح ملكًا على كل إسرائيل، بفضل نفوذ ابنير، وبعد مجهود بذله لمدة خمس سنوات، فيما عدا سبط

يهوذا الذي كان يملك عليه داود. كان ابنير أقوى من أن يجعل إيشبوشت قائداً له.

طبقًا للعادات الشرقية، فإن تهمة الخيانة العظمى بمحاولة الاستيلاء على العرش عنوة، تعادل اتهام ايشبوشت لإبنير بمضاجعة رصفة سرية أبيه شاول (١ مل ٢:١٣:٢٢، ٢ صم ٣:٧). ولما استشاط ابنير غضبًا، أقسم أن يحول ولاءه نحو داود، وهو ما عمله بالفعل، ولكن عرض ابنير قُبل بشرط استعادة داود لميكال زوجته السابقة.

عندما قُتل ابنير بيد يوآب، فقد إيشبوشت آخر سند لعرشه، وفقد الأمل في استعادة السلطة «ارتخت يداه وارتاع جميع إسرائيل» (٤:١).

كان بعنة وركاب رئيسي الغزاة، مصممين على الانتقام لمقتل أفراد عشيرتهم، من الجبعونيين (٢صم ٤)، فتظاهرا بإحضار حنطة من وسط البيت لرجالهم، فوجدا ايشبوشت مضطجعًا على سريره في نومة الظهيرة وضرباه.

أخذ رأس إيشبوشت إلى داود كما لو كانت هدية بشارة، على اعتبار أن شاول كان العدو الذي كان يطلب القضاء على داود، ولكن القاتلين لم يفهما فكر داود، عندما حلفا باسم الرب باطلاً وقالا «هوذا رأس ايشبوشت ... قد أعطى الرب لسيدي الملك انتقامًا في هذا اليوم من شاول ومن نسله» ولا شك أنهما كانا يتوقعان أن يكافئهما داود على هديتهما المخضَّبة بالدماء، ولكن داود بدلاً من ذلك وبَّخها وقتلهما لأجل الفعلة الشريرة بقتل «رجل صديق في بيته على سريره».

في تفسير الكتاب المقدس، من المهم الإشارة إلى القرينة المباشرة، أي ما يأتي قبل أو بعد جملة معينة أو عدد أو أصحاح، وهكذا فمع أن ايشبوشت في مقاومته لداود، تصرف ضد إرادة الله المعلنة (١ صم ١٦:١٢،١٣،٢٨:١٧، ٢ صم ٣:٩،٤:١١)، ولذلك لم يكن تصرفه باراً، إلا أن داود أطلق عليه العبارة «رجلاً صديقًا».

وسياق الكلام يفسر الأمر، كان ايشبوشت صديقًا تجاه قاتليه، فهو لم يسبب لهما أي أذى ولم يتسبب في إغاظتهما.

أمر داود غلمانه بقتل بعنة وركاب وتعليقهما من أيدهما وأرجلهما، وأما رأس أيشبوشت التي أحضرها القائدان، فدُفنت في قبر ابنير في حبرون - هذه لفتة كريمة من جانب داود تجاه شخص قاومه مدة طويلة من الزمن.

داود

(١ صم ١٦-٣١، ٢ صم ١-٢٥، ١ مل ١-١١، ١ أخ ٢،٣،١٠-٢٩)

الملك الذي اشتهر بالشجاعة والأناشيد

كان جلوس داود على عرش إسرائيل أساسًا بسبب جرائم أعدائه، وتدمير كل واحد منهم للآخر، كما حدث على سبيل المثال في جريمة قتل إيشبوشت، وما تلاها من قتل ابنير وبعنة وركاب (٢ صم ٣:٨، ٤:٨). وإذ نبدأ دراسة موجزة لداود كملك وجندي وشاعر وموسيقار وعبقري، لا نستطيع أن نفعل شيئًا أفضل من أن نبدأ في استعراض التحفة التي كتبها قلم (ج. جرينباو) عنه:

«إن عدداً قليلاً من الشخصيات التاريخية العالمية قد شغلت حيِّزاً كبيراً منه. فعلى الرغم من خطاياه، وأخطائه المريعة، وسقطاته الأخلاقية، إلا أنه يبرز عملاقًا كواحد من ذوي العقول الراجحة، وكرجل دولة بعيد النظر، وكمفكر موهوب وشاعر، وجندي لامع، وكإنسان ذي شخصية جذابة، وجاذبية آسرة، إنه رجل ذو صبر لا ينفد،

وطاقة لا تكل، وكشخص وُلد ليكون ملكًا، ولو كان داود شخصًا مغروراً، لحكى لنا قصة صارخة لافتة للأنظار عن أفعاله البطولية وتغلبه على المصاعب، ولو كان كذلك لرفع نفسه عاليًا بين المحيطين به في البلاط الملكي ومتملقيه. إن داود الملك والشاعر والجندي والعبقري، يركع معنا في صف واحد، ويجرِّد نفسه من كل تلك المواهب الفذة التي تميز بها، والتي تجعل الإنسان كبيراً في أعين رفقائه، ويأخذ مكانه معنا وهو يقول: «لو كانت لدينا أي عظمة على الإطلاق، فلطف الله هو الذي يعطيها لنا»... والكتاب المقدس يحتقر أولئك الذين يشعرون بالأهمية في نظر أنفسهم».

يحتوي سفر راعوث على أصل عائلة داود وتسلسله من يهوذا (٤:١٨ مع تك ٣٨:٢٩، مت ١:٨، لو ١"٣٢). يرد اسمه حوالي ١١٢٠ مرة في الكتاب المقدس، ولأنه يعد أعظم شخصية ترمز للمسيح، فإن الله يعطيه هذا الاسم (إش ٥٥:٣، إر ٣٠:٩، حز ٣٤:٢٣، هو ٣:٥) «تحت اسم داود، يتم الحديث عن المسيا كالشخص الذي تتم فيه كل المواعيد المقدمة لداود» (حز ٣٤:٢٣، ٣٧:٢٤، ١ مل ١١:٣٦). داود هو الملك الوحيد الذي ولد في بيت لحم، مسقط رأس المخلِّص.

يُدعي داود «مسيح الرب» (٢صم ١٩:٢١، ٢٣:١) وقد مُسِح ليكون ملكًا ثلاث مرات:

مسحه صموئيل على انفراد (١ صم ١٦:١٣).

مُسِح من قبل سبطه يهوذا (٢صم ٢:٤).

مُسِح من قبل كل إسرائيل (٢صم ٥:٢)

كان يبلغ من العمر ٣٠ سنة عندما بدأ يملك، وملك ٤٠ سنة، منها سبع سنوات على يهوذا و٣٣ سنة على يهوذا و على كل إسرائيل. كان عليه أن ينتظر لأجل إتمام وعد الله له بأن يكون ملكًا على كل إسرائيل لمدة سبع سنين ونصف، وأخيراً عندما جاء كل الأسباط معترفين بداود ليكون ملكًا عليهم، قطعوا معه «عهداً» وفي حبرون تم تتويجه رسميًا، إن الله ليس بطيئاً في إتمام مواعيده كما يميل الناس أن يفكروا هكذا.

لقد قيل إن «تاريخ الحياة يجب أن يُقرأ بعناية لاكتشاف القوى الحيوية للإنسان، والمبادىء الهادية التي كانت تتحكم في سلوكه وتوجِّه علاقاته. اكتشف الشيء الذي أثَّر عليك في حياة كل إنسان، وهذا يدل على الرسالة التي قصد الله أن يرسلها عندما خلق ذلك الإنسان ومنحه تلك القوة وقاده في طريق حياته». وبالنسبة لداود، لدينا إنسان حسب قلب الله، وقد آمن أنه بالرغم من تقلُّب الظروف، فالله كائن حي وبار، إن داود لم يطلب فقط من الله أن يساعده لتنفيذ خططه، بل إنه قد اعتبر نفسه معينًا في تنفيذ خطط الله.

ارتكب داود أخطاء سياسية وأخلاقية، ولكن تواضعه في كل الأوقات جعله قويًا بالدرجة الكافية لأن يخضع نفسه ليد الله، وهذا التواضع كان مبنيًا على ما يتسم به موقفه الروحي تجاه الله، والذي ظهر في مزاميره، كان داود أكثر من أي ملك آخر، حلقة الوصل بين الله وشعبه. يقول تايلور: «إن السمة المميزة لداود كملك أنه عرف طريق الولاء العميق لله، واعتبر نفسه مجرد حاكم بشري مؤقت».

لم يسجل العهد القديم لأي إنسان أفكاره الداخلية، وحياته أمام الآخرين، بالقدر الذي سجله لداود، إن حياته تظهر في الـ ٧٧ مزموراً الرائعة التي تُنسب له، قال إمرسون: «إن أجمل شعر ما كان يدل على أول تجربة» فالله قد جعل داود «الشاعر الملهم للعواطف الدينية» كانت له دائمًا أسمى رؤية فيما يتعلق بمنصبه الملكي، وحتى في نجاحه الباهر، لم ينس أنه قد دُعي ليحكم فقط،

«كعبد الرب».

توجد عدة طرق يمكن بها أن نتعرَّف على سجل أعظم ملك شهدته إسرائيل كحاكم موهوب يتسم بالقدرة على التنظيم، فقد عمل على تطوير مملكته من الداخل وجعلها تمتد إلى الخارج، وذلك بالتغلب على جيرانه الذين يتميزون بالحقد. ثم كشف عن حكمته السياسية بغزو أورشليم واختيارها كعاصمة له. وكان يمتلك أيضًا مواهب شعرية وموسيقية. وكموسيقار استطاع أن يهدئ الملك شاول عندما حلَّت به حالة اكتئاب شديدة (٢ صم ٢٣:١-١٨) وإذ نسترجع فترة حكم داود الطويلة، نتذكر كلمات (ماكاولاي) : «قلوب الرجال هي كتبهم، والأحداث هي معلِّمتهم، والأعمال العظيمة هي بلاغتهم».

وإذ نفكر في داود كرجل قوي شجاع، فطن في شئون العمل والحديث، فريد كمرنم، وقلبه متجه نحو الله بالتمام، نترك القارئ ليمعن النظر في الإطار العام لحياته وأعماله من واقع ما جاء عنه في الكتاب المقدس:

١- سجِّل حياة داود حتى موت شاول

حياته كصبي صغير يرعي الغنم

حياته في قصر الملك

حياته وهو هارب من شاول

٢- ملك داود على يهوذا في حبرون

صبره على المعتدين

ثقته في وعد الله

٣- ملك داود على كل إسرائيل في أورشليم

فترة النجاح

فترة الظروف المعاكسة

فترة الهدوء

سليمان

(٢ صم ١٢:٢٤، ٢٥، ١ مل ١-١١، ١ أخ ٢٢-٢٣:١، ٢٨-٢٩، ٢ أخ ١-٩)

الملك الذي أحب الحكمة والثروة والنساء

سليمان، الملك وابن الملك (مز ٧٢:١) كان ابن داود من بتشبع، وهو الشخص الذي اختصه الله بمثل هذا الجلال الملكي الذي لم يهبه لأي ملك قبله، أو بعده، في إسرائيل (١ أخ ٢٩:٢٠-٢٥)، عندما خلف أبيه كان «صغيراً ورقيقًا» ربما في حوالي العشرين من العمر، وملك لمدة ٤٠ سنة. يتحدث دكتور جراهام سكروجي عن سليمان كشخصية غريبة يمكن التأمل فيها بطريقة مثلثة، أي شخصيًا ورسميًا ورمزيًا.

«فلو تأملناه شخصيًا، فقد كان يتصف بالحكمة والدهاء، كان موهوبًا من الناحية الذهنية، وكان ضعيفًا جداً من الناحية الأخلاقية. لم يكن استيعابه الفكري وأخلاقه على نفس المستوى، وإذا تأملناه رسميًا، نجد أن ما قام به من عمل عظيم كان مزدوجًا، التطور المادي للمملكة وإقامة الهيكل...» إن الحوادث الرئيسية في حياة سليمان، الذي يظهر اسمه أكثر من ٣٠٠ مرة في الكتاب المقدس، يمكن أن تتجمع حول الجوانب الآتية:

١- بناء عظيم

على النقيض من سجِّل التقوى الذي يميز حياة داود، كانت حياة سليمان تتكون أساسًا من تفاصيل عن المباني والمؤسسات والتجارة. وعن طريق توطيد دعائم العرش في وقت أبيه، لم تكن الاحتمالات أكثر إشراقًا للأمة عما حدث عندما خلف سليمان أبيه داود، واستفاد استفادة كاملة من الاستعدادات التي عملها داود، خاصة تلك المتعلقة بالهيكل. إن عمليات البناء موضحة بالتفصيل في ١ مل ٦-١٠ . قام سليمان بالفعل بإعادة بناء

أورشليم بإنشاء شوارع جديدة، وأسوار، ومباني للخدمات العامة، في جمال يخطف الأبصار، كان سليمان يلفت الأنظار في المناسبات الاجتماعية داخل إنشاءاته المعمارية الفريدة ذات الأبهة غير المعلومة حتى الآن.

من أهم منشأته «بيت الله» أو «هيكل سليمان» الذي استغرق بناؤه سبع سنين، وقصره الفاخر، الذي استغرق استكماله ١٣ سنة، أما عن الهيكل، فالله نفسه هو الذي صمَّمه (١ أخ ٢٨:١٢،١٩)، وعند تدشينه كان الهيكل ملكًا خالصًا لله،إن المبنى كان واحداً من عجائب ذلك العصر فلم يكن يحتوى على شيء تقل قيمته عن الفضة والذهب. وكانت المواد المستخدمة في هذا المبنى الفخم تساوي ملايين الدولارات. وإذ كان تحت إمرة سليمان الثروة والعمل، فإنه كحاكم مطلق، كان قادراً على تنفيذ خططه العريضة، كان خدم سليمان أو عبيده مجبرين على العمل في محاجر الملك لقطع الأحجار، كان آلاف العمال المهرة يُستخدمون كالعمالة الأجنبية، كان حيرام، على سبيل المثال «المورِّد الرئيسي» للعمال المهرة في أعمال النحاس. ضج الناس ونفد صبرهم بالعمل الشاق والضرائب الباهظة والتوريدات التي كان عليهم تقديمها، وأعمال السخرة المطلوبة (١ صم ٨:١٥، ١ مل ٤:١٣، ٢١-٢٣). وطلب رحبعام، ابن سليمان، بغباء المزيد من العمل والضرائب الباهظة.

٢- حاكم قوي

إذا كان مزمور ٧٢ قد كتبه سليمان، فهو يعكس الحكمة والعمل والدهاء الذي جعل منه ملكًا مشهوراً، والذي كانت فترة حكمه جنبًا إلى جنب مع فترة حكم والده تمثل العصر الذهبي للدولة اليهودية. إن قوة سليمان وعظمة سلطانه كانتا ذات أثر دائم على الفكر الشرقي، إنه لم يقوِّ مملكته في الداخل فقط، ولكنه عقد تحالفات مع الأمم المجاورة وانهمك في تجارة شاملة في كل أنواع السلع. يذكرنا ر.ك هاريسون بالقول:

«استغل سليمان انهيار القوة المصرية والأشورية لتطوير المصالح الاقتصادية لمملكته الشاسعة ... فقد استمد قدراً هائلاً من العوائد من أنشطته التجارية، تارة بفرض الضرائب، وتارة بالتجارة مع الدول الأخرى... ولفشله في زيادة الإنتاجية الزراعية للبلاد لمستوى كبير، فإن الميزان التجاري كان يتأثر كثيراً عن طريق مشروعاته الاقتصادية والمعمارية.

وفي حين أن شاول وداود كانا محاربين بسيطين كمحاربي العرب، يجوبان الصحراء بجيوشهما، كان سليمان الحاكم الشرقي القوي، ذا سلطة مطلقة برأسماله المستقر وآلاف العبيد يبنون قصوره، والآف النساء ضمن حريمه، والتجار يجوبون البحار وينقبون في الصحاري لجلب الذهب لملء خزائنه.

٣- مؤلف مشهور

استجابة لصلاة لسليمان، منحه الله حكمة غير عادية، ولأن الحكمة كانت رغبته الأولى، فقد أعطى له الغنى والكرامة والحياة (١ مل ٣:٩). كان الملك يشتهر بأنه «أحكم إنسان في الشرق» ذاعت شهرته، مما جعل ملكة سبأ تأتي لقصره. كان سليمان يعرف أن الله هو مصدر حكمته (١مل ٣، يع ١:٥) حتى أنه لم يكن مثله قبله ولا يقوم بعده نظيره، فقد كان «أحكم من جميع الناس» فقد تفوق في الأدب وعلم النبات والحيوان (١مل ٤:٣٢-٣٤). من المعروف أن ثلاثة أسفار تُنسب لسليمان:

سفر الأمثال: حيث أن سليمان كان ملمًا بـ ٣٠٠٠ مثل، فقد حصل على الإرشاد ليرتب مجموعة مختارة من هذه الأعداد في سفر الأمثال، الذي يعد مجموعة فريدة من

المبادىء الأخلاقية والدينية والروحية تبلور جوانب الحياة العديدة.

نشيد الأنشاد: هذه القصائد الشعرية تحكي بشكل درامي كيف أن المحبة الطاهرة في الحياة المتواضعة، انتصرت على الإغراءات الفاخرة للملك العاشق. ويرى فاوست أن «هذا السفر يمثل حب سليمان الأول للرب في الشباب، وأن سفر الأمثال يمثِّل تجربته الناضجة في منتصف العمر، ويمثلُ سفر الجامعة النظر للوراء بحزن في كبر السن.

سفر الجامعة: العبارة الأساسية في هذا السفر والتي وردت ٣٠ مرة هي «تحت الشمس» وهي تعطينا مفتاحًا لرسالته إلا وهي، كيفية التعامل مع هذا العالم، وعدم إساءة استعماله.

صلاة سليمان أو الصلاة لأجل سليمان، التي توجد في مزمور ٧٢، والذي يُنسب لسليمان، ويصف الفترة التي وصلت فيها التنمية القومية إلى الذروة. يقدم هذا المزمور العظيم المنصب الملوكي بشكل أكمل، وبصورة أكثر مثالية عن أي فقرة أخرى في العهد القديم، ياللحسرة إن سليمان لم يحقق التطلعات الكامنة في هذه الصلاة!.

٤- الحاكم الاستبدادي المرتد

لا يوجد ملك في الكتاب المقدس خيَّب الآمال المعقودة عليه في أيامه الأولى كسليمان، والذي كان نجاحه سببًا في ارتداده الخطير. يتحدث (فارار) عن سليمان فيقول إنه كان: «كالجندي الموهوب والتاجر الذي تحوَّل إلى حاكم مستبد مرتد، محطمٌ، ومولع بالزوجات إلى حد الإفراط، إن قصة سليمان هي قصة شخص كان قلبه غير مستقيم وإرادته ضعيفة بفعل الرفاهية والكبرياء».

في أحد الفصول عن سليمان في كتابه عن «شخصيات كتابية» يقول هـ.ف مورتون: «لو كتبت كتابًا عن سليمان، كنت أصوره ليس كما نتخيله عادة، كحاكم شفوق وحكيم وتقي، بل كحاكم طماع ومستبد لا يرحم، والذي نتيجة لحبه الذي لا يشبع للمجد، امتص دماء شعبه، وأرهقهم بالضرائب، ونقلهم مرة واحدة من الحضارة البسيطة القبلية في عهد والده داود، إلى البؤس الكامن في الدولة التجارية شديدة التعقيد، بما فيها من تناقض صارخ بين الثروة والفقر».

كتب دين ستانلي ذات مرة عن سليمان قائلاً: إنه يبقى في التاريخ المقدس كالمثل الأعلى الذي نصادفه كثيراً في التاريخ المعتاد - الجمع بين العبقرية والجريمة.

لقد جلبت مطالبه العنيفة وتعسفه إحساسًا قويًا بالظلم الاجتماعي، وحروبًا قبلية عنيفة اشتعلت أثناء حكمه، كان سليمان أول رجل يرى احتمال التجارة مع بلاد العرب، ويحقق مكاسب خيالية تنتظر أي شخص يستطيع تنظيم التجارة في ذلك العالم البكر. وهكذا بني الأسطول التجاري العظيم الأول الذي تجاسر على الوصول إلى الحدود الغامضة لأوفير - والبعض يقول الهند.

إن سليمان الرأسمالي المجتهد، كانت له سمات عقلية رفيعة المستوى، وقدراً من الروحانية، ولكن كل هذه انهارت أو ضعفت عن طريق الطمع والنجاح والرفاهية والوثنية.

إن الارتداد الديني والانغماس في تعدد الزوجات جلب على سليمان الدمار، فنساؤه الوثنيات وسراريه قد أدخلن إلى قصره الملكي عبادة آلهتهن، التي أقيمت لها المعابد في أورشليم (١مل ١١:١، ٧) لقد حل العقاب الإلهي بسليمان لزناه ووثنيته. ومع أنه كان قد بدأ يسلك في طرق داود النقية، إلا أنه كان يذبح في المرتفعات، لقد حاول أن يخلط بين عبادة الله والطقوس الوثنية. إن المرتفعات التي بناها سليمان لعشتاروث والآلهة الوثنية الأخرى، يبدو

أنها بقيت لأكثر من ٣٥٠ سنة.

إن عدم إكرام سليمان لله، كان سببًا في الكوارث التي لحقت به، وقيام أعدائه ضده، وتقسيم المملكة، وأخيراً سبي الأسباط العشرة ويهوذا (١مل ١١:٩-١٤، ٢ مل ١٧:١٤-٢٠، لو ١٩:٤٢). لقد تم تحذير الملك من أنه إذا ارتدت الأمة، فالهيكل سوف يدمَّر ويصبح أثراً بعد عين أمام الجميع، وهذا ما حدث. أبقى الكلدانيون «رواق سليمان» ربما لقوته وجماله، وتمشَّى ربنا تحت ظله في الشتاء (يو ١٠:٢٣).

يبرز سقوط سليمان المهين مثلاً صارخًا على عدم كفاية أعظم العطايا عن حفظ الإنسان من ارتكاب أكبر الحماقات والخطايا (يو ١٥:٥) فارتداد أشهر ملك في إسرائيل كان خطأ بارزاً مقارنةً بصلاح الله بالظهور له مرتين، وبركته إياه بكل هذه البركات وتحذيره إياه بوضوح. لقد تعلَّم، شأنه شأن جميع العصاة، أن مسلكه خطير (١ مل ١١:١٤، ٢١،٢٦) إن الذين يُدخلون الانحرافات إلى العبادة الطاهرة لا يعرفون إلى أي مدى سوف تصل هذه الانحرافات ولا طول المدة التي سوف تمكثها. إن كبرياء سليمان يتعرَّض للتوبيخ في كلمات ربنا عن أن مجده لا يساوي شيئًا مقارنةً «بزنابق الحقل» (مت ٦:٢٩).

ربما يكون سليمان قد تاب في النهاية، لأن أخبار الأيام لا يذكر شيئًا عن ارتداده.

وفي مقارنة عن الملوك العظام الثلاثة للمملكة المتحدة، يقدم لنا دكتور ف.تك Tuck هذه النبذة الشيقة:

«كان شاول عنيداً، وكان داود مهمومًا، وكان سليمان معتداً بذاته. كانت ديانة شاول اجتماعية تعتمد على الارتباط بالآخرين، وكانت ديانة داود شخصية، وديانة سليمان كانت رسمية».

ويمكن قراءة القصة في ضوء آخر. فالإنسان كائن مركَّب، وعلى كل إنسان أن يقرر أي جزء فيه يتحكم في الكل. إن شاول جعل الجسد يتحكَّم. وداود جعل القلب هو المتحكِّم، وسليمان أعطى زمام القيادة للعقل، ولذا فإن هؤلاء الملوك الثلاثة الأوائل يقدمون مثلاً على الحقائق الدينية الأولية لجميع العصور.

المملكة المنقسمة ٩٧٥ - ٥٨٦ ق.م

بموت الملك سليمان تمزقت مملكة إسرائيل إلى أجزاء، ويعزى هذا التقسيم أساسًا للخيانة الوثنية للأمة، وبسبب هذه الخطية، فإن قسمي المملكة تعرضتا للقلاقل، وفي النهاية أصبحتا مسبيتين، إسرائيل إلى أشور ٧٢١ ق.م، ويهوذا إلى بابل في ٥٨٦ ق.م. فطالما كان سليمان القوي المستبد الحكيم ومستشاروه ممسكين بزمام السلطة، لم تكن ميول التمُّرد المختلفة تجرؤ على تأكيد نفسها، ولكن بعد موت الملك، بدأت الكوارث تطل برأسها.

بدأ الناس يحسون بعبء الضرائب الباهظة المفروضة لمدة طويلة، والتي أجبر الناس على دفعها. وأخذ الإنفاق ببذخ يبذر بذور الشقاق بين أفراد الشعب عدداً من السنين، وفي عهد رحبعام بن سليمان وخليفته، الجاهل والمحب للسيطرة تفاقمت الأمور. كان سليمان قد فشل مثل داود في احترام الميول المتوارثة المحبة للحرية. إن شخصيته المتقلِّبة قد نجحت في تحويل المفهوم الأولى للملكية إلى شكل من أشكال الحكومة الشرقية الظالمة.

إن تقسيم المملكة إلى قسمين غير متساويين كان سببه زنا سليمان ووثنيته، فبسبب ابتعاده عن عبادة الإله الحقيقي، حل به العقاب هكذا، «أمزِّق المملكة عنك

تمزيقًا وأعطيها لعبدك.. على أني لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطًا واحداً لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها » وهكذا تم التقسيم من قبل الله كعقاب على بيت داود لأجل عبادة الأوثان التي جلبتها زوجات سليمان ولأجل الطريقة التي انتشرت بها هذه العدوى وسط كل الشعب.

وبالإضافة لذلك كانت هناك أسباب خارجية بالمثل مهدت الطريق لتقسيم المملكة. لقد أثبت المؤسس القوي لأسرة دمشق، أثبت أنه مصدر قوي للمتاعب في الأيام الأخيرة لسليمان. وهكذا عندما تمزقت المملكة إلى قسمين، كوّن سبطا يهوذا وبنيامين مملكة يهوذا برئاسة رحبعام وخلفائه، وأصبحت الأسباط العشرة مملكة إسرائيل بقيادة يربعام بن نباط وخلفائه كما تنبأ النبي أخيا (١مل ١١:٢، انظر ١ مل ١٢، ٢ مل ١٨،٢ أخ ١٠-٢٨).إن تاريخ الـ ٣٩ ملكًا مقدم لنا ليبين الله للجنس البشري ضرورة إتمام مواعيد الله وتهديداته، وخاصة أن البر يرفع شأن الأمة وأن الخطية تدمرها (لا ٢٦:٣٢ مع ٢مل ٢٥:٩).

وبإلقاء نظرة على المملكة المنفصلة، يتضح لنا أن المملكتين مختلفتان ماديًا، فمملكة الشمال، بأسباطها العشرة، كانت أقوى من مملكة الجنوب. ومع ذلك كانت الأخيرة أكثر ثباتًا روحيًا من السابقة، ثم إن أسرات مملكة الشمال كانت لا تدوم طويلاً، حيث كانت تعرض لقلاقل بسبب القوي الثورية، وعلى الجانب الآخر، فإن مملكة يهوذا الصغيرة والتي كانت تتعرض لهزائم عديدة، كانت متمسكة بإخلاص بأسرة داود الملكية، ومع أن الأزمات الخطيرة كانت من نصيبها، وكانت تتسم بالحكام الضعفاء، إلا أن الرابطة الروحية كانت توحِّد الناس، ويمكن دراسة خدمة إشعياء القوية من هذا المنطلق.

مملكة يهوذا ٩٧٥ - ٥٨٦ ق.م

استمرت مملكة يهوذا ما يقرب من ٤٠٠ سنة بقيادة ٢٠ ملكًا من رحبعام إلى صدقيا، وكان عدد كبير منهم يتسم بالتقوى، ولمعرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين المملكتين وملوكهما، نوجه نظر القارىء لملاحظاتنا التمهيدية والختامية تحت عنوان «مملكة إسرائيل». كانت أورشليم مركز مملكة الجنوب، ودمرها الكلدانيون بقيادة نبوخذنصر، وأخذت غالبية الشعب إلى السبي.

كان الأنبياء الذين ارتبطوا بالفترة الطويلة لهذه المملكة هم إشعياء وإرميا ويوئيل وصفنيا وميخا وناحوم وحبقوق. ونبوات رجال الله هؤلاء التي تمت حرفيًا، تشكّل تأكيداً صادقًا لنا أن تلك النبوات الأخرى التي تتحدث عن أن الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله ليدانوا، كل بحسب أعماله، سوف تتحقق أيضًا (٢بط ٣:١١-١٤، رؤ ٢٠:١٢).

رحبعام
(١مل ١٢:٢١-٢٤،١٤:٢١-٣١، ٢أخ ١١-١٢)
الملك الذي كان عنيداً ووقحًا

كان رحبعام بن سليمان ونعمة العمونية يبلغ ٤١ سنة عندما خلف أبيه، وملك لمدة ١٧ سنة. لقد سار على نهج أبيه في حياة الترف وفي امتلاك عدد كبير من الحريم، لأنه قيل إنه كان عنده «١٨ زوجة و ٦٠ سرية». خلال السنوات الثلاثة الأوائل من حكمه، سار الملك والشعب في طرق داود وسليمان، ولكن خلال الـ ١٤ سنة الباقية، تنجست الأرض بشر سدوم وثنيتها. يقول يوسيفوس، المؤرخ اليهودي: «إن الملك رحبعام كان رجلاً متكبراً وأحمق، وأنه احتقر عبادة الله حتى أن الناس صاروا يقلّدون أعماله الشريرة».

كان القسم الشمالي من المملكة، الذي كان يئن تحت عبء الضرائب الباهظة التي فرضها سليمان عليهم، يطلبون أن يلتقطوا أنفاسهم في عهد ابنه، ولكن عناد ووقاحة رحبعام، جعلته بكل أسف يرفض هذا الالتماس العادل، وبذلك أضاع وحدة العرش لإسرائيل قديمًا، ولم يُترك له سوى سبطين ليملك عليهما. ولو كان رحبعام اتبع حكمة أبيه، كما خلفه في عرشه، لكان اتبع نصيحة الشيوخ الأكثر حكمة، وكان بذلك أنقذ المملكة من ذلك التقسيم المروع، يعبر (تنسيون) في قصيدته «إلى المملكة» عن الشعار الذي يقول «الملك الذي يحارب شعبه يحارب نفسه» وفي قرار رحبعام الخطير، فإنه وقف ضد أفضل مصالحه كما وقف ضد شعبه وكان المفروض أن يكون قد استفاد من أمثال أبيه مثل:

«مخافة الرب رأس المعرفة، أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب» (١:٧).

«الكلام الموجع يهيج السخط» (١:١٥)

وعندما انتهى الأمر إلى تمزيق المملكة، فإن رحبعام الذي ظن أن في مقدوره التعامل مع العشرة أسباط الذين يسعون للإطاحة به، أرسل أدورام، القائم على التسخير، لإخضاع أولئك الذين استاءوا من وقاحة رحبعام، إلا أن ادورام رُجم حتى الموت، ولما أدرك رحبعام لأول مرة خطورة الثورة، هرب إلى أورشليم للسيطرة على المملكة المنهارة.

من المناسب هنا، أن نتذكر السطور التي كتبها دانيل ديفو في «الرجل الإنجليزي الأصيل»:

عندما يتخلى الملوك عن سيف العدالة
فإنهم لا يصبحون ملوكًا مع أنهم يمتلكون التاج
والألقاب ما هي إلا ظلال، والتيجان أشياء تافهة
صالح الرعية هو هدف الملوك

أعد رحبعام جيشًا قوامه ١٢٠,٠٠٠ رجل ليشنوا حربًا ضد الأسباط العشرة الثائرة، ولكن المعركة التي خطط لها، تم إيقافها على يد شمعيا النبي على أساس أنهم لا يصح أن يحاربوا إخوتهم، وإن الثورة هي من الله، ومع ذلك فإننا نقرأ عن استمرار الحروب بين رحبعام ويربعام (١مل ١٤:٣٠).

ثم شغل رحبعام نفسه بتقوية الأراضي التي تُركت له وذلك بتحصين عدد من المدن، ولكن عندما يبتعد الناس عن الله، فإن المدن الحصينة لا تصلح لشيء. وفي السنة الخامسة من حكمه، عوقب رحبعام لتعاطفه مع الرجاسات الوثنية والأخلاقية. نهب شيشق ملك مصر قصر رحبعام والهيكل، وأخذ خزائنه بما فيها أتراس الذهب التي عمل الملك رحبعام عوضًا عنها أتراس نحاس، مات رحبعام عن عمر يناهز الـ ٥٨ عامًا ودُفن في أورشليم.

«كان خطأ رحبعام هو نفس خطأ الطغاة، فقد ادَّعى لنفسه امتيازات لم تكن يستحقها سوى عن طريق الخدمة، وسلطانًا لم يكن مستعداً أن يقدم تضحية مناسبة في المقابل له».

أبيـــــام
(١مل ١٥، ٢أخ ١٣)
الملك ذو الوجهين

أبيام أو أبيا، كما يُدعى أيضًا، كان كما وصفه يوحنا بنيان «السيد ذو الوجهين» هذا الملك الثاني ليهوذا، حاول أن يفعل ما قال يسوع، أعظم الملوك، إنه من المستحيلات أن يخدم أحد سيدين. عندما جمع أبيام جيشه المكون من جبابرة القتال على جبل حلمارايم، عبَّر عن ثقته في الله وفي العهد الإلهي لحفظ بيت داود، واللغة التي استخدمها هي «سراج لداود عبدي كل الأيام

أمامي» كانت تتضمن أن القصد الإلهي مستمر دائمًا (١ مل ١١:٣٦).

قال أبيا عن نفسه إنه وصي على الهيكل وعلى الكهنوت ضد العبادة الوثنية ليربعام الخصم المنافس له، إلا أن قلب أبيام نفسه لم يكن كاملاً مع الله، كيف يمكنه أن يحتج بأي قدر من الإخلاص ضد انهيار عبادة الله في إسرائيل، في حين أنه هو نفسه كان يسير في خطايا أبيه واشترك في خطية أشد هولاً وهي عبادة الآلهة الوثنية في يهوذا؟ فمن باب السخرية أن يوبِّخ يربعام من أجل عجول الذهب، بينما هو نفسه استمر في حياة الترف والوثنية وتعدد الزوجات كأبيه.

أعلن أبيام الحرب على يربعام في السنة الثامنة عشرة من مُلك الأخير، ونلاحظ من عدد الرجال الذين استطاع أبيام أن يعدهم للقتال تحت رايته، الزيادة المطردة ليهوذا، ونقص أعداد الاسرائيليين. استطاع أبيام ان يستجمع ٤٠٠,٠٠٠ رجل مقابل ١٨٠,٠٠٠ الذين استطاع سلفه أن يجمعهم. كان زيادة عدد يهوذا على مر سنوات الحكم المتعاقبة، يرجع للهجرة التدريجية من إسرائيل من الأسباط العشرة.

هزم أبيام خصمه هزيمة منكرة، وفقد يربعام أكثر من نصف العدد الكلي لجيشه، فكم من مرة ثبت أن الحرب الأهلية دائمًا مأساوية! يقول شيشرون: «كل شيء بائس في الحرب الأهلية» فهكذا الحال بالنسبة عندما يتقاتل أبناء الوطن الواحد والأقارب مع بعضهم البعض.

إن أبيام، ابن رحبعام ومعكة، والتي تدعي أيضًا ميخايا بنت أبشالوم، ملك لمدة ثلاث سنوات في أورشليم وصار قويًا وتزوج ١٤ زوجة وكان له ٢٢ ابناً و١٦ بنتًا، يقول (ويليس ج بتيشر) إن الاسم أبيام يعني «أبو الغرب» وقد أظهر هذا الاكتشاف أن كل المنطقة بالقرب من الطرف الشرقي للبحر المتوسط كانت تُعرف «بالغرب». إن اسم «أبو الغرب» ليس اسمًا مناسبًا لكي يعطيه رحبعام للولد، الذي يُتوقع أنه سوف يرث مملكة سليمان وداود، إن تأثير انسحاب الأسباط العشرة جعلت هذا الاسم يبدو مثيراً للسخرية، فلا يعجب المرء أنه قد استبدل بأبيا أي «أبي هو الله».

آســـا
(١ مل ١٥:٩-١٥، ٢ أخ ١٤-١٦)
الملك الذي أصبح قائداً للنهضة

كان الملك الثالث ليهوذا نبعًا صافيًا ينبع من مصدر متعفن. إن آسا يثبت أن الوراثة الشريرة ليست عائقًا أمام القداسة، فقد كان ابنًا تقيًا لأب غير تقي، هو أبيا، تمامًا كما كان منسى ابنًا غير تقي لأب تقي، كان قلب آسا كاملاً مع الرب كل أيام حياته. قضى العشر سنين الأولى من حياته منهمكًا في إزالة الأوثان في إصلاحات دينية. وإذ عرف الله في كل طرقه، فقد كان يتلقى التوجيه من الله (أم ٣: ٥،٦). وبذلك استطاع أن يتغلب على جيش زارح الجرَّار (٢أخ ١٤: ٩-١٥)

لم يكن آسا محابياً للوجوه، كما يُرى في خلعه لجدته من أن تكون ملكة لعبادتها للأوثان. وإذ اتكل على الله، خدمة بكل غيرة، محطمًا كل المذابح والتماثيل، وقضى على كل المأبونين، وكان عهده مع الله جديراً بأن يحتذى (٢ أخ ١٥). حكم هذا الابن والخليفة لأبيا لمدة ٤٠ سنة، وكان يمكن أن تكون صفحته بيضاء بغير سوء لولا أنه أرتكب خطأين.

الأول: هو عقد معاهدة مع بنهدد، وهذا مخالف للإيمان، فقد طلب آسا مساعدته ضد بعشا، ملك إسرائيل، وبسبب هذا العمل الدال على عدم الثقة بقوة

الله، وبَّخه النبي حناني «تأديب شر لتارك الطريق» (أم ١٥: ١٠)، ولذا غضب آسا بسبب التوبيخ العادل لحناني، ووُضع النبي في السجن، وأمر بموت عدد كبير من أصدقاء النبي.

ثم مرض آسا في رجليه، وهو اضطراب جعل آسا سريع التهيج والانفعال، فطلب معونة الأطباء ولم يطلب العون من الله (٢ أخ ١٦). كانت ثقة الملك في الله أقل من العلاجات البشرية (إر ١٧: ٥) مات آسا في السنة الحادية والأربعين من ملكه، وكانت جنازته تتسم «بحريقة عظيمة جداً» علامة على التقدير الرفيع. إن ضعفه وعيوبه التي ظهرت مع تقدم عمره، تحذير لكل المؤمنين لينتبهوا لئلا يسقطوا (١كو ١٠: ١٢).

وحيث أن إحياء الديانة الحقيقية بقيادة الملك آسا كانت مثل قصة مثيرة، فنرى أنه من الضروري أن نتأمل معًا هذه الواحة التي تأخذ موقعها في وسط تاريخ سيء للملوك، فكم يكون شيئًا مثيراً في كل أنحاء العالم اليوم لو أن ملكًا حاكمًا اليوم أصبح رجل نهضات ملتهب! نحن نقرأ أن الملك آسا «جدَّد مذبح الرب». إن الملك والرعية بحاجة للرجوع إلى الله.

يجب قراءة الأصحاح الرابع عشر والخامس عشر من أخبار الأيام الثاني معًا، حيث أنهما يمثلان الجانب المزدوج من إصلاحات آسا. ففي الأصحاح الرابع عشر، نجد النجاح الظاهري لإصلاحات الملك، وفي الأصحاح الخامس عشر، نجد سرداً مفضلاً للتطهير الداخلي والديني والتقويم. إن الجوانب التي تبرز بوضوح هي:

١- قوة الرسول الممتليء بالروح

«وكان روح الله على عزريا» ورسالته كان لها تأثير كبير على الملك والشعب، وكانت النتائج فورية، إن الحاجة العظمى للحياة القومية اليوم تنحصر في مجموعة من الأنبياء المملوئين بالروح والخاضعين للتوجيه الإلهي.

٢- حالة محزنة من الجمود

نحن نقرأ إن إسرائيل قضى أيامًا كثيرة «بلا إله حق». لقد أخذت الأصنام مكانه، ثم لم يكن هناك «كاهن معلّم» أولئك الذين كان يجب أن يكون لديهم فهمًا روحيًا عميقًا بالطبيعة الحقيقية لله وقصده الإلهي، كانوا مكتفين بأداء مهام المذبح، فكانت مهامهم تنحصر في أداء طقوس جامدة.

وكان الشعب أيضًا «بلا شريعة» إن الأوامر الإلهية قد نُسيت ولم تُنفذ. عندما يدوس البشر والأمم وصايا الله تحت أقدامهم، يسود الحرام وينتهي الأمر بكارثة قومية.

ثم لم يكن «أمان للخارج ولا للداخل» إن الارتداد الروحي ينجم عنه اضطرابات اجتماعية، وفوضى سياسية وصراع قومي.

٣- جهود مستميتة لإصلاح الأخطاء

كان الله رحيمًا بهم لأنه وعد برد كل شيء وبالبركة. كان اصلاح الأخطاء يتطلب شجاعة، ولكن الاستبعاد التام لكل الأوثان والوثنيين قد نال مكافأته. فبعض الأصنام يجب تدميرها، والبعض الآخر يجب أن تزال من مكانها واستبعد آسا أقرب المقربات له من مركزها الرفيع بسبب ممارساتها الوثنية. كان التجديد مفاجئًا وعنيفًا، فالمذبح تم تجديده، والعهود الجادة أُخذت، والآنية القديمة قد تم إعادة تدشينها، وتمت العودة للسبل القديمة.

٤- البركة الإلهية والمكافأة

بعد أن تعهد الشعب بكل قلوبهم وطلبوا الله بحر اختيارهم، أعلن الشعب تصميمهم على التمسك بعهدهم، ويا لفيض البركات التي انهمرت بسبب الحياة التي أصلحت من جانب الملك والأمة! شعر كل من اليهود والأمم بتأثير الحياة المتجددة والناهضة لآسا وشعبه،

استمتعت الأمة بوقت من الراحة من الحرب. إن عصرنا المضطرب بحاجة للسلام، ولكن السلام لا يأتي إلا عندما ينتهي الصراع مع الله إن الأمم المضطربة سوف تختبر السلام عندما ينهض حكامها ويتبعون الملك آسا في تخلصه الفوري من كل الأصنام والشرور، «سلام عظيم لكل من أحب شريعتك».

إن عصرنا شرير، بلا تقوى وبلا شريعة، ولا يمكن لأي شيء أن يقضي على موجة الإثم المتصاعدة، سوى الانتعاش الذي مصدره السماء، والذي يغمر العدو ويغرقه، ليرفع الرب رايته ضد العدو ويعطينا حكامًا يحكمون بالبر!

يهوشافاط

(١مل ٢٢: ٢-٣٣، ٤١-٥٠، ٢أخ ١٧: ٢١-٢١: ٣)

الملك الذي كان تقيًا ولكنه أخطأ كبشر

إذا كانت الحكمة القديمة القائلة: «أن تخطيء فأنت بشرى» صحيحة، فإن رابع ملك على يهوذا لم يكن تقياً فقط، ولكنه كان أيضًا بشراً، لأنه أخطأ خطأ فادحًا ضد الله، والشعب الذي كان يملك عليه، وضد نفسه، وخلال فترة حكمه التي امتدت خمسًا وعشرين سنة من حياة هذا الملك التقي، الذي سار في طريق التقوى لآسا أبيه، فباركه الله كثيراً، وكانت أوامر الرب وليست طرق يهوذا مرشداً لسلوكه وطرقه (٢ أخ ٢٠). ومع أن يهوشافاط كان من أتقى الملوك الذين جلسوا على عرش يهوذا، إلا أنه ارتبط بواحد من أردأ الملوك في تاريخ إسرائيل. كان ارتباطه مع آخاب بزواج ابنه من عثليا قد أدى لتدنيس الهيكل، والارتداد التام للدولة لمدة ست سنوات، والدمار الكامل تقريبًا لكل عائلته (٢مل ٨: ١٨-٢٦، ١١: ١).

كان يهوشافاط، الرابع في التسلسل العائلي من سليمان، مدينًا بالكثير للمثال الصالح ولتأديب الملك الصالح آسا. بعد موت الملكة فكتوريا الصالحة، قال ابنها الملك ادوارد السابع، في أول خطاب له في الجلسة الافتتاحية للبرلمان: «لقد وضعت أمي المحبوبة، خلال مدة حكمها الطويل والمجيد، مثالاً أمام العالم لما يجب أن يكون عليه الحاكم. إن رغبتي قوية في أن أسير في إثر خطواتها». كان يهوشافاط مدركًا تماماً لنقاط القوة التي يتميز بها، وكان يريد تحسينها. كان قلبه متجهًا نحو طرق الرب. وإذ كان يهوشافاط ملكًا من طراز روحي فريد غير مألوف، فقد افتتح نظامًا للتعليم الديني والإدارة القانونية لشعبه، ومع أنه أظهر اهتمامًا واضحًا بسلامة أراضيه، وحصَّنها من النواحي الدفاعية (٢ أخ ١٧: ١)، إلا أنه كان يطلب أساسًا مجد الله.

جلبت غيرة يهوشافاط لله له وللأمة الكثير من النجاح صار الملك ناجحًا ومقتدراً، وعاش رعاياه في أمن وسلام، «كان الرب معه» وكان الملك ينسب الأمان والخير العميم ليد الله، وثبت الرب المملكة في يده.... «وكان خوف الرب على جميع الممالك من حوله».

على الرغم أن يهوشافاط كان تقيًا وناجحًا، إلا أنه كان بَشَراً عرْضة للخطأ، ولذا نأتي الآن لتلك الجوانب المحزنة في شخصيته، وهي ظاهرة أكثر بسبب شهرته كملك صالح، ومع أن خطأه كان وقتيًا فقط، وهو نفسه لم يكن مرتكبًا لخطية كبرى، إلا أن التحالفات التي عقدها كان لها نتائج مدمرة. إذ كان يهوشافاط بارزاً في مقاومته للوثنية، إلا أنه من منطلق الدوافع العالمية وضع يده في يد أردأ الوثنيين في إسرائيل. لقد صاهر يهوشافاط آخاب (٢ أخ ١٨: ١).

خلال الزيارة التي قام بها يهوشافاط إلى إسرائيل، تم

استقباله بحفاوة بالغة من آخاب، وارتكب هناك أكبر أخطائه بترتيب زواج ابنه الأكبر، يهورام من عثليا ابنة آخاب من ايزابل، ربما ظن يهوشافاط أن هذا الزواج سياسة جديدة حيث يمكن أن ينجم عنه اتحاد بين المملكتين تحت زعامته، ولكن هذه الخطوة الخاطئة أغضبت الله، وأساءت إساءة بالغة إلى يهوشافاط، وقدمت مثالاً سيئًا إلى رعاياه.

إن خطوة في طريق الانحدار تؤدي لخطوة أخرى، وهكذا جاءت الحملة العسكرية على راموت جلعاد، التي كادت تكلف يهوشافاط حياته، كان تحالفه مع آخاب في المعركة في تناقض واضح مع إنذار نبي الله، أنقذ الرب حياة الملك برحمته، فعاد إلى شعبه وهو يأمل في إصلاح الخطأ الذي حدث بسبب تودده إلى آخاب، وبحماس مقدس «رد الشعب إلى الرب إله آبائهم».

تعرض يهوشافاط لاختبار آخر عندما وجد نفسه في مواجهة أعدائه المتحالفين ضده، الموآبيين والعمونيين الذين غزوا أرضه، وقد سبَّبوا له الكثير من القلق والصدمة (٢ أخ ٢٠:١). ولكن بعد أن تعلَّم يهوشافاط الدرس من التحالف الخاطيء، «جعل وجهه ليطلب الرب» وحث شعبه أن يفعلوا مثله، ومن خلال النبي، تلقى الملك رداً مطمئنًا واستجابة للصلاة، ودون أن يضرب ضربة واحدة، هزم كل الأعداء (٢أخ ٢٠:٢٠-٣٠)

ولكن يا للأسف، فلأن أفضل الرجال ليسوا إلا بشراً في أحسن الأحوال، فإن يهوشافاط، بعد أن غفر له الله توددُّه من آخاب، إلا أنه عاد لارتكاب الخطأ بعقده معاهدة تجارية مع أخزيا، الذي كان كوالده غير تقي، أعد هذان الملكان أسطولاً من السفن لجلب الذهب من أوفير، ولكن الله أفشل المشروع، وأحبط كل الآمال في الكسب المادي، فقد دُمِّرت بغرق السفن وأعلن الله عقابًا على يهوشافاط لصلته ببيت شرير آخر. ونظراً لما لحقه من عقاب، كان من المفروض على الملك أن ينبذ كل تحالف آخر مع شركاء غير مرضيين لله.

ولكن الطبيعة البشرية بها ميل لفعل الشر.

مرة أخرى نجد يهوشافاط في تحالف مع ملك إسرائيل غير التقي، واشترك مع يهورام في معركة شبه حربية ومع ملك أدوم، ولولا المعجزة التي أجريت على يد إليشع، لهلكت الجيوش الثلاثة لعدم وجود الماء (٢ مل ٣). لم يستطع يهوشافاط أن يقاوم الخطية المحيطة به بسهولة، ألا وهي التحالفات الخاطئة، وكم كان حريًا أن يرن ذلك الصوت في أعماق نفسه بقية أيام حياته: «أتساعد الشر وتحب مبغضي الرب؟» (٢أخ ١٩:٢).

ليس هناك حادثة أخرى تسجل عقد يهوشافاط تحالفًا آخر مع ملوك إسرائيل الأشرار، ومساعدة غير الأتقياء. إن تجربة يهوشافاط مثال عملي على النداء الذي نجده في سفر الأمثال «إن تملقك الخطاة فلا ترض» (أم ١٠:١)، فإذا اشتركنا في خطايا الآخرين، فسوف نتلقى العقاب الذي يحل بهم، مات يهوشافاط في الستين من عمره، ودُفن مكرَّمًا مع آبائه في مدينة داود. وقُتل آخاب، الذي كان حليفه ذات مرة، في إحدى المعارك.

يهـــــورام

(٢ مل ٨: ١٦ -٢٤، ٢ أخ ٢١)

الملك الذي مات دون أن يلقى تكريمًا

إن بعض الناس، بسبب الأثر الضار الذي يتركونه، كان يفضل أن يموت على أن يبقى حيًا، هكذا كان الحال مع الملك يهورام الابن غير التقي لأب تقي، والذي مات غير مأسوف عليه، ودُفن بلا كرامة.

لم يفتقد العالم ملك يهوذا الشرير، القاتل والوثني،

عندما مات بمرض خفي ليس له شفاء. عُين ملكًا في السنة السابع عشرة من حكم أبيه، ولكن تُوِّج في السنة الثالثة والعشرين من حكم أبيه. ملك ٨ سنوات في أورشليم، سنتان مع أبيه وست سنوات بعد موت أبيه (٢ مل ١:٧، ٨:٦١).

كانت مأساة يهورام مصدرها قراره أن يتبع نفوذ زوجته الوثنية، عثليا، بدلاً من السير في طريق أبيه التقي يهوشافاط. لو كان يعرف جيداً ما قاله سليمان الحكيم في سفر الأمثال لتذكر أن «من يجد زوجة يجد خيراً وينال رضى من الرب» (١٨:٢٢) لقد فشل يهورام في أن يجد الزوجة الفاضلة.

يقول (س.ك موسيمان) في دائرة المعارف الكتابية الدولية الموحدة «في بداية حكمي كلا من آخاب ويهوشافاط، بُذلت محاولة لإنهاء القطيعة التي استمرت زمنًا طويلاً بين إسرائيل ويهوذا، وبناء على اقتراح آخاب، اتحدت قوات المملكتين معًا ضد العدو المشترك في الشمال، وهو سوريا، لتثبيت التحالف، تم تزويج عثليا ابنة ايزابل وآخاب من يهورام، ابن يهوشافاط، وهكذا أصبح يهورام صهراً ليهورام إسرائيل، ولا شك أن ذلك كان يعتبر (ضربة معلم) في سياسة المصالحة بين الأطراف المعنية، ولكن ذلك قد أثبت أنه تصرف مدمر ليهوذا، فبلاشك، كانت الغيرة غير المقدسة لإيزابل تتضمن سريان عبادة البعل في كل من يهوذا وإسرائيل. وكان هذا الزواج خطوة في هذا الاتجاه».

التصق يهورام بزوجته الوثنية و«سار في طريق ملوك إسرائيل كما فعل بيت آخاب» فياللحسرة، إنه لم يقبل فقط ديانة زوجته الشريرة، بل أصبح مضطهداً، يجبر شعب الأرض لكي يرتدوا، وبما أن العقيدة تؤثر على السلوك، فقد أثرت وثنية يهورام على شخصيته. كانت عبادة البعل تحمل في ثناياها عناصر الطغيان وعدم التقوى المدنية، وهكذا أصبح يهورام مرتكبًا لجريمة قتل إخوته بلا رحمة. بدأ يهورام حكمه يقتل إخوته الستة وبعض الرؤساء الآخرين في الأرض، والذين كان أبوه يهوشافاط قد أعطاهم مراكز وهدايا.

بسبب وثنيته المشينة وشروره، تلقى يهورام إدانة إلهية على سلوكه الذي، بالرغم من ذلك، لم يكن له تأثير على قلبه الشرير، عوقب يهورام عن طريق ثورة الأدوميين إتمامًا لنبوة إسحق (تك ٢٧:٤٠)، كان غزو الفلسطينيين والعرب ضربة مرسلة من السماء أو افتقاداً إلهيًا حيث أن يهورام فقد كل أفراد عائلته سوى ابنه الأصغر يهو آحاز، وتم نهب أورشليم والقصر الملكي. وهكذا ضُرب يهورام في شعبه وفي أبنائه وفي زوجاته وفي كل ما يمتلك.

فبعد أن زرع يهورام للجسد، فمن الجسد حصد فساداً. وقد أدى مرض أمعائه الأليم إلى موته، وقد كانت حالته من الحالات الشديدة، . لقد مات دون أن يرغب أحد في بقائه، مما يعني أنه مات غير مأسوف عليه، ودون أن يرثيه أحد. لم تدمع عين في يهوذا لموته، ومما أضاف لعقابه المستحق في هوانه، أنه دُفن بلا تكريم، ولم يُدفن جسده في قبور الملوك.

أخـــــزيا
(٢ مل ٨: ٢٥-٢٩، ٢ أخ ٢٢: ١-٩)
الملك الذي أحاط به مشيرو السوء

في رواية (عطيل) لشكسبير، نجد هذا السؤال «أليس هو من أسوأ المشيرين المنحلّين؟» إن مأساة الملك أخزيا كانت تتلخص في أنه كان محاطًا بمشيرين السوء. «أمه (عثليا الفاسدة) كانت تشير عليه بفعل الشر ...... بيت آخاب كانوا له مشيرين» كان أخزيا محاطًا بمشيرين

فاسدين ومنحلّين من النواحي الأخلاقية، فاتبع أخزيا نصيحتهم التي أودت بحياته (مز ١:١) قال بلاتتوس الفيلسوف اللاتيني «النصيحة من المصادر الإلهية تجلب قوة عظمى» كان من الممكن أن يكون مصير آخزيا مختلفًا تمامًا لو أنه استمع لنصيحة الرب!

كــان أخزيا يبلغ من العمر ٢٢ سنة عندما ابتدأ يحكم، وكان ملكًا لمدة سنة واحدة فقط، وقد تصادف ملكه مع السنة الثانية عشرة لملك الملك يهورام في إسرائيل.

تدرَّب هذا الملك السادس في يهوذا على الشر على يد أمه التي كانت من بيت آخاب. وكانت تستخدم نفوذها لدعم عبادة البعل، التي كانت رمزاً للتحالف مع مملكة الشمال.

لاحظ تكرار هذه العبارة ثلاث مرات «بيت آخاب» فهو بيت فاسد حتى النخاع. وعن طريق إغراء أمه وعائلتها (٢أخ ٢٢:٤)، اشترك أخزيا، مع عمه يهورام في الحرب ضد حزائيل. كانت العلاقات بين المملكتين، والتي أسسها آخاب، قد نمت على يدي يهورام وآخزيا. وكانت راموت جلعاد قد تم الاستيلاء عليها، وأصبحت ملكًا لإسرائيل رغمًا عن ملك سوريا (٢مل ٩:١٤).

جُرح يهورام وعاد إلى يزرعيل، وترك جيشه تحت قيادة ياهو. زاره آخزيا، أحد حلفائه السياسيين، في يزرعيل، وبينما كان هناك، تآمر ياهو ضد يهورام. وبعد أن شُفي من جروحه، فإن يهورام وحَّد قواته مع أخزيا مرة أخرى لمواجهة ياهو، ولكن يهورام اشتبه في الخيانة، فتحول لكي يهرب. ولكن أحد سهام ياهو من قوسه، شق طريقه واخترق قلب يهورام فمات يهورام، في عربته الملكية.

حاول أخزيا، مضطهد إيليا، أن يهرب، ولكن تم اللحاق به في يبلعام وقد جُرح جرحًا مميتًا بيد أحد رجال ياهو، ووصل إلى قلعة مجدو حيث مات، كان هلاكه من الله بسبب تحالفه مع يهورام. بحث ياهو عن مخبأ أخزيا وقتله، لقد دُفن ولكننا لا نعرف من قام بدفنه وأين دُفن. هناك رواية مختلفة ليوسيفوس عن نهاية أخزيا، فهو يقول إن أخزيا قد جُرح بينما كان في عربته، وهرب على ظهر حصان إلى مجدو حيث اعتنى به عبيده حتى مات، ويضيف كاتب أخبار الأيام القول: «لم يكن لبيت أخزيا من يقوى على المملكة» أي أنه لم يكن هناك أحد قادر على تولي الملك.

إن الموت المريع ليهورام وحزائيل يذكّرنا بواحد من بنود كتاب (قاموس العبارة والأسطورة) لدكتور (أ. كوبهام بروار) في ١٨٩٤، مع أن عدداً أكثر قليلاً من رءوس الملوك قد أطيح بها منذ ذلك الحين، إلا أن دكتور بروار كتب عن ٢٥٠٠ ملك قد ملكوا منذ ذلك الحين.

٣٠٠ أطيح بعروشهم
١٣٤ تم اغتيالهم
١٢٣ أخذوا أسرى في الحروب
١٠٨ تم تنفيذ حكم الإعدام فيهم
١٠٠ قُتلوا في المعارك
٤٦ ارغموا على التخلي عن العرش
٢٨ انتحروا
٢٥ عُذِّبوا حتى الموت
٢٣ أصيبوا بالجنون أو ضعف العقل.

من تولي الحكم بعد ذلك في قائمة ملوك يهوذا امرأة. مغتصبة للعرش، وهي عثليا، أم آخزيا، في القسم الثاني، الذي يتعامل مع «ملكات الكتاب المقدس، سوف تجد دراسة وافية عن عثليا التي وُصفت بأنها «عثليا الخبيثة» (٢أخ ٢٤:٧).

يهـــوآش
(٢مل١١ :١٢، ٢ أخ ٢٢: ١٠ - ٢٤: ٢٧)
الملك الذي كانت تعوزه قوة الشخصية

كلنا نعرف عن أولئك الذين يبدو أنهم صالحون وواثقون من أنفسهم، عندما يعتمدون على شخصيات أقوى من أنفسهم، ولكن ما أن تؤخذ عنهم الدعامات التي يستندون عليها حتى يسقطون سريعًا. إنهم كالكرمة المتسلِّقة، عندما لا يجدون أحداً يتعلقون به، فإنهم يتهاوون ويموتون. كان ملك يهوذا التاسع شخصًا من هذا الطراز، لأننا نقرأ أنه «عمل يوآش المستقيم في عيني الرب كل أيام يهوياداع الكاهن».

كان يوآش يشعر بالأمان بسبب التأثير الأخلاقي والروحي ليهوياداع، وهو رجل ذو شخصية سامية، وروح غيورة، ولكن عندما مات الكاهن التقي، وترك ابن اخته لوحده، اختلفت القصة، فقد أُخذ يهوآش من وجه عثليا الغاضب والتي انتابتها ثورة غضب مجنونة وأبادت جميع النسل الملكي، وخبأه خاله لمدة ٦ سنوات، وكبر وهو يعتمد اعتماداً كاملاً على المشورة الحكيمة ليهوياداع، وعلى مر السنين كان متعلقًا تعلقًا شديداً بخاله، ولكن عند موته بدا وكأن يهوآش قد انهار تمامًا.

إن الطريقة التي تصرف بها يهوآش بعد موت يهوياداع تظهر أن الظروف تبين للإنسان كيف أنه لا يعرف نفسه على حقيقتها. إن الشخصية الحقيقية تبرز في تلك اللحظة فعندما انتهت حياة يهوياداع الطويلة الحافلة، أزيلت الدعامة القوية للدولة، وحدث الانهيار المحزن.

لقد عبَّر رؤساء يهوذا، الذين كانوا يقدمون المعونة في إدارة شئون الدولة، عن رغبتهم ليهوآش في الحصول على المزيد من الحرية في العبادة أكثر مما كان متاحًا لهم على يد الكاهن العجوز، وسمح لهم يهوآش وبدأت السواري والأصنام تظهر، وهكذا بدأت المتاعب تظهر أمام الملك والمملكة.

إن يهوآش، المدعو أيضًا يوآش، ابن أخزيا وظبية، امرأة من بئر سبع، بدأ يملك عندما كان عمره ست سنوات فقط، وملك لمدة أربعين سنة، يضيف بعض الدارسين الـ ٦ سنوات التي اغتصبتها عثليا إلى حكمه. عندما كان عمره ٦ سنوات فقط، تم تقديمه بصورة مفاجئة ومسرحية كملك، مما أغضب عثليا كثيراً، فصاحت «خيانة ! خيانة!» ولكنها طُردت من الهيكل وقُتلت. عندما أصبح يهوآش رجلاً، تزوج بامرأتين وكان له عدة بنين وبنات، وقد ذكر أنه والد أمصيا (٢مل ١٤: ١)، وكان يعاصره في إسرائيل يهوآحاز (٢مل ١٣: ١)، ويهوآش (٢مل ١٣: ١٠).

بدأ حكم يوآش بصورة واعدة تمامًا بعهد جديد بين الرب والملك والشعب. وفيما بعد، أظهر يوآش بصورة واضحة اهتمامًا عميقًا بالحالة السيئة التي كان عليها الهيكل، بسبب فترة حكم عثليا الشريرة، ولمواجهة تكاليف الإصلاح، أصدر الملك أوامره بأن تُخصص جميع الأموال الداخلة إلى الهيكل لهذا الغرض، لكن فشلت هذه الخطة، ولذا فقد اتبع خطة أخرى، وضع صندوقًا به ثقب في الغطاء على الجانب الأيمن للمذبح في عهدة اثنين من كهنة الهيكل، وطلب من الشعب أن يضعوا تقدماتهم في الصندوق، ونجحت هذه الطريقة نجاحًا باهراً، وتم التبرع بما هو أكثر من المطلوب للتجديد الكامل للهيكل.

كانت المأساة في أن المعابد المقامة للأوثان كانت قد أقيمت في كل أنحاء المملكة، وأنه على الرغم من احتجاج الأنبياء الذين لم تُذكر أسماؤهم، إلا أن يوآش قد ظهر على طبيعته الحقيقية في معاملته لرئيس الكهنة، زكريا، ابن يهوياداع، فقد شهد هذا النبي بشجاعة بأن

الأمة قد تركت الله، وأن الدمار سوف يحل بها، فغضب يوآش لتوبيخ هذا الكاهن وأصدر أوامره بأن يُرجم زكريا حتى الموت في ساحة الهيكل، وقد أشار ربنا إلى هذا العمل الدال على انتهاك المقدسات ونكران الجميل والقتل (مت ٢٣:٣٥).

عند موت زكريا قال: «الرب ينظر ويطالب» وبعد موته بسنة، تمت النبوة.

جاءت جيوش حزائيل، ملك سوريا، ودمَّرت يهوذا. لقد استخدم الله السوريين كعصا تأديب. ولكي ينقذ أورشليم من هوان الاحتلال الأجنبي، جمع يوآش كل آنية الهيكل المقدسة وكل الذهب الذي في القصر وأرسله إلى حزائيل.

كانت نهاية المُلك للملك الضعيف نهاية حزينة، وعقابه مدوَّن في سفر «الملوك»، أما سبب العقاب فهو المدوَّن في «أخبار الأيام» لقد أثار فشل سياسته، سواء فيما يتعلق بالأمور الدينية أو القومية، شعوراً معادياً له، حتى أن مؤامرة قد دُبِّرت لاغتياله، ولم يكسبه جسده المريض أي تعاطف من أحد، فبينما كان نائمًا في بيت القلعة الذي كان يزوره، قتله اثنان من عبيده، ودُفن في مدينة داود، ولم يحسب مستحقًا أن يُدفن مع يهوياداع في قبور الملوك (٢ أخ ٢٤:٢٥).

أمصيا
(٢ مل ١٤، ٢ أخ ٢٥)
الملك الذي ابتدأ بداية حسنة وانتهى نهاية سيئة

كان أمصيا كالرجل الذي ذكره ربنا، الذي ابتدأ يبني برجًا ولكنه لم يستطع أن يكمل. لم يكن ملك يهوذا على وتيرة واحدة في شخصيته وسلوكه، في بداية حكمه كان شبه متدين، مع أنه فشل في أن يخدم الله بالتمام كسلفه داود. وسرعان ما ترك الرب، وبسبب ارتداده، جلب الحرب والمتاعب على المملكة وعلى نفسه.

أمصيا بن يهوآش ويهوعدان من أورشليم، اعتلى العرش في سلام عندما كان يبلغ ٢٤ سنة من العمر، وملك لمدة ٢٩ سنة. وبسبب حرب أبيه مع حزائيل، ملك سوريا، جاء أمصيا إلى الحكم فوجد خزانة فارغة، وقصراً وهيكلاً مسلوبين، وشعبًا يائسًا، وما أن ثبَّت ملكه وشعر أن قوته آمنة، حتى بدأ يقتل قتلة أبيه، ولكن مراعاة لناموس موسى، أبقى على أبنائهم.

ثم جاء غزو أدوم، الذي ظل لمدة خمسين سنة ولاية مستقلة بالفعل، انفصل الأدوميون عن يهوشافاط وانتخبوا ملكًا مستقلاً عليهم، كان أمصيًا مصممًا على إرجاعهم لحظيرة يهوذا، وقام بحشد جيش قوامه ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، وقتل في حملة واحدة ١٠,٠٠٠ رجل، وغيَّر اسم العاصمة من سالع إلى يقتئيل أي «التي أخضعها الله».

ولكن أمصيا حمل معه آلهة أدوم وأقامهم له آلهة وأوقد لهم ربما ليكسب رضا الأدوميين الوثنيين. وقد أثبتت هذه الأصنام أنها شرك للملك المنتصر، وبسبب هذا التصرف الدال على الارتداد، تلقى تحذيراً بأنه قريب من الدمار، ولكن زهو الانتصار قد أثبت أنه كان أكبر من أمصيا. ولذا نأتي لتحديه لملك إسرائيل.

لقد استدعى يهوآش، لا لعقد مؤتمر تستطيع فيه الدبلوماسية أن تسوي الخلافات، بل للقتال مواجهة، «هلم نتراء مواجهة» وإذ كان أمصيا عنيداً، فقد احتقر التحذير النبوي عن النهاية المأساوية لمثل هذه الحرب، بسبب خضوعه السابق لآلهة أدوم. أسكر أمصيا النجاح الذي حققه مع أدوم، فشعر أنه قد آن الأوان لاستعادة أسباط إسرائيل العشرة، ووفقًا لمَثَل العوسج والأرز، طلب أمصيا خضوع إسرائيل ليهوذا.

قبل يهوآش التحدي الذي فرضه أمصيا، وعانى الأخير من هزيمة نكراء، وتم إحضاره إلى عاصمته كسجين، ونُهب قصره من كل خزائنه، أذل الله كبرياء أمصيا الذي بقي على عرشه خاوي الوفاض، وأُخذ عدد كبير من المقربين إليه كرهائن لضمان حسن سلوكه في المستقبل. قضى أمصيا سنواته الأخيرة في عزلة وخوف.

وصدق المثل اللاتيني الذي يقول: «بالحقيقة لا الجيوش ولا الخزائن تحمي المملكة - بل الأصدقاء» فقد تُرك أمصيا مع عدد قليل من الأصدقاء.

كان هناك تذمر بسبب حماقة الملك وحملته المنحوسة ضد إسرائيل، وفي ثورة مسلحة، قُتل أمصيا البالغ من العمر ٥٤ سنة، وإمعانًا في إهانته، حُمل جسده على الخيل لا في تابوت، ودُفن في المقابر الملكية، هناك مثل فرنسي يقول: «اليوم ملك - غداً لاشيء».. وهكذا حدث مع أمصيا، أعقب موته فترة لم يكن فيها قائد للبلاد، حتى وصل ابنه للسن التي يمكن أن يخلف فيها أباه.

يعلمنا مثَل أمصيا أن الأعمال الصالحة السابقة أو التضحية بالمصالح الشخصية، لا تتيح لنا عذراً للإفراط فيما بعد (٢أخ ٢٥: ٢، ٩، ١٠، ١٤-٢٧). وينطبق عليه المثل الذي يقول: «حكيم القلب يقبل الوصايا وغبي الشفتين يُصرَع» (أم ١٠: ٨).

عـــزيـــا

٢مل ١٥، ٢أخ ٢٦، إش ٦

الملك الذي جلب كبرياؤه الهوان

نرى فوق كل صفحات السِّجل المقدس، أدلة قوية واضحة لكراهية السماء لكبرياء البشر، إن الزهو والغرور والاعتداد الجسيم بالذات والتظاهر هي سمات للعديد من شخصيات الكتاب المقدس. يتساءل وليم نوكس، الشاعر الاسكتلندي ١٧٨٧ في قصيدته «الفناء» بهذا السؤال الذي يناسب المقال:

«واعجبي، لماذا تتكبَّر روح الإنسان الفاني؟

فهو كالشهاب الساقط سريعًا وكالسحابة التي تطير سريعًا

كوميض من البرق ومثل تكسُّر الموج

ينتقل من الحياة ليستريح في القبر».

عانى الملك عزيا بسبب كبريائه ولقد اختبر، ما قاله جون يسكن في كتابه «سبعة مصابيح الأدب»: «الكبرياء هي سبب كل الأخطاء» وبسبب اعتراف عزيا بإيمانه بالله، فإن كبرياؤه كان ذنبًا جسيمًا.

ياللحسرة إن ملك يهوذا الحادي عشر، لم يتذكَّر مثَل الملك سليمان القائل «تأتي الكبرياء فيأتي الهوان» (١١: ٢).

إن عزيا الذي يدعي أيضًا عزريا، هو ابن أمصيا، وقد اعتلى العرش في سنته السادسة عشرة، وحكم لمدة ٥٢ سنة، ثاني أطول مدة حكم في يهوذا. لقي أبوه، غير المحبوب بسبب هزيمته العسكرية الفادحة، حتفه في أحداث عنف على يد الرعاع (٢مل ١٤: ١٩)، أصبح عزيا ملكًا بناء على إجماع شعبي من الأمة (٢أخ ٢٦: ١). في بداية حكمه الطويل، صمم عزيا على تغطية فشل والده بإخضاع أعدائه، وكلل النجاح حملته، وتم إخضاع الأدوميين والفلسطينيين والعرب والعمونيين «وامتد اسمه إلى مدخل مصر لأنه تشدد جداً».

قوَّي الملك المواقع الدفاعية لعاصمته وكوَّن عدة مراكز حربية زودها بخرانات الماء الضرورية لخزن الماء. أعطى عزيا لمملكته الصغيرة امتداداً ونجاحًا لم تتمتع به منذ أيام سليمان، وفي وسط كل النجاحات التي توجت الـ ٢٠ سنة الأولى من حكمه، طلب عزيا الرب بحماس

وحاول جاهداً أن يسير وفق المشورات الإلهية. «وفي أيام طلبه الرب أنجحه الله».

وفي أيام راثيه التقى، زكريا، «الفاهم بمناظر الله»، استفاد عزيا من شخصية النبي ومشورته «وكان يطلب الله» ولكن بموت زكريا، وجد نفسه في فراغ خطير. وكجده، يهوآش، الذي كان معتمداً تماماً على نصيحة يهوياداع رئيس الكهنة، ولكنه انهار تماماً بعد موته، هكذا حدث لعزيا، بعد رحيل زكريا، وتصرف تصرفاً معادياً للمشورة الإلهية.

ارتفع قلب عزيا بالكبرياء وأخطأ ضد الله، ولما شعر بالزهو لنجاحه، حاول تقليد ملوك الشرق الذين كانوا يمارسون المهام الكهنوتية إلى جانب المهام الملكية.

لماذا لا يمارس امتيازه الملكي ويقدم البخور على مذبح الذهب في الهيكل؟ وبذلك فقد اغتصب الوظائف الكهنوتية بطريقة بعيدة كل البعد عن التقوى. تعلّم عزيا أخيراً أن العقاب المستحق لأجل الكبرياء مبدأ لا يحيد الله عنه. ولما احتقر احتجاجات عزريا رئيس الكهنة ومرافقوه، وغضب لتوبيخه، تقدم للأمام، والمجمرة في يده، ليقدم البخور، ولكن عندما تهيأ للقيام بهذه الوظيفة الكهنوتية، ظهرت بقع بيضاء على جبهته، لقد صار إنساناً أبرص.

ولما نخسه ضميره بسبب كبريائه وعصيانه، أسرع وغادر الهيكل ليبدأ حياة العزلة. ومن ذلك الوقت فصاعداً، كان عليه أن يعيش في بيت منعزل مخصص للبرص، معزول عن المجتمع. وهكذا انتهت مسئولياته الملكية وحياته العامة. كان البُرص يعفون من كل العلاقات والواجبات الاجتماعية. وحيث أنه كان يحب الفلاحة (٢ أخ ٢٦: ١٠)، فربما قضى عزيا بقية حياته يعتني بمواشيه وأراضيه.

أصبح يوثام ابنه، نائبًا عن أبيه، ووكيله حتى وفاة عزيا، «كان يوثام ابن الملك على البيت يحكم على شعب الأرض» (٢مل ١٥: ٥). لم يذكر المكان الذي دُفن فيه عزيا، ولأنه مات أبرص، لم يدفن في مقابر الملوك، تنبأ إشعياء وهوشع ويوئيل خلال مدة حكم عزيا. وسنة وفاته أتت لإشعياء برؤيا رائعة عن ملكوت ومجد المسيح (إش ٦: ١، يو ١٢).

يحكي يوسيفوس إن الزلزال العظيم الذي يذكره عاموس (١: ١)، حدث في الوقت الذي هدد فيه عزيا الكهنة الذين قاوموه، وأن شعاعًا من الشمس سقط على وجه الملك من حجرة الهيكل التي انشقت بفعل الصدمة، قد أحدث البرص، ولكن الكتاب المقدس يقول: «ضرب الرب الملك».

يـوثـام
(٢ مل ١٥: ٣٢-٣٨، ٢ أخ ٢٧)
الملك ذو السجل النظيف

يبدو أن الملك الثاني عشر ليهوذا قد استفاد من خطية وأحزان والده، لأن يوثام اتبع كل الصفات الحسنة لعزيا، وليست السيئة، إن يوثام هو الملك اليهودي الوحيد الذي لم يهتم بأي خطية ارتكبها، فالكتاب المقدس يذكر له سجلاً نظيفاً. كان قويًا في إدارة مملكته لأنه هيأ طرقه أمام الله.

إن الشهادة الجميلة عن يوثام تتلخص في الكلمات التي تقول: «إلا أنه لم يدخل هيكل الرب». بمعنى أنه لم يُتَّهم أبداً بخطية تدنيس المقدسات التي ارتكبها أبوه.

إن ذكرى مرض عزيا، كانت بمثابة حائل بينه وبين دخول المكان المقدس. ومع ذلك فلم يكن تأثير يوثام قويًا بالدرجة الكافية لجعل شعبه يتجه نحو الله. «وكان

الشعب يفسدون بعد» يخبرنا الأنبياء عن الفساد العميق الجذور في الناس، والذي كان يسلب الأمة من عصارة قوتها (مي ٣: ١٠-١٢، هو ٤: ١، ٢). كان إشعياء يؤدي رسالته أيضًا أثناء حكم يوثام.

بدأ الملك الطيب يوثام يحكم في سن الـ ٢٦ وملك لمدة ١٦ سنة، وقبل موت والده بأربع سنوات تقريبًا، وبسبب انعزال عزيا عن المجتمع، تولى يوثام قيادة الأمة وتدبير شئون القصر، وكان هو الملك الفعلي للبلاد. لا يبدو أن يوثام كان يحب الفلاحة وتربية المواشي كأبيه، ولكنه كرّس نفسه لأداء الواجبات الجادة للدولة.

كانت حكمة وقوة إدارته للبلاد وسياسته معروفة للجميع، إن يوثام، ابن عزيا ويروشة، بنت صادوق رئيس الكهنة، قد قام بالعديد من الإصلاحات العامة. فهو أصلح الباب الأعلى للهيكل، وبنى وأعاد بناء الكثير من المدن، والقلاع والأبراج، وحارب بشدة ضد بني عمون وفرض على تلك الأمة جزية ضخمة، كان أبوه قد فرضها، ولكن العمونيين رفضوا دفعها.

يبدو كما لو أن يوثام حاول أن ينميّ فضيلة التواضع، وبذلك يتجنّب المصير الذي لحق بأبيه بسبب كبريائه. مات مأسوفًا عليه، ويظهر اسمه في سلسلة الأنساب الملكية وأيضًا في سلسلة النسب البشرية ليسوع (مت ١: ٩). هناك مثل اسكتلندي يقول: «المكروه من رعاياه لا يمكن أن يُحسب ملكًا» بالنسبة ليوثام، كان الأمر مختلفًا.

آحـــاز
(٢ مل ١٦، ٢ أخ ٢٨، إش ٧-١٢)
الملك الذي أحرق أبناءه أحياء

كثيراً ما نسمع العبارة التي تقول «لا يهم ما يؤمن به الإنسان، طالما أنه يؤمن بشيء ما». ولكن ياله من قول غير منطقي، وحيث أن العقيدة تؤثر في السلوك، فمن الأهمية بمكان أن نؤمن بالعقيدة الصحيحة، لأن العقيدة تشكّل الشخصية. إن آحاز الذي عُيِّن ملكًا بنعمة الله، لم يعبد إله السماء، كما كان يجب أن يفعل كيهودي، بل عبد مولك، إله عمّون، الذي بني له سليمان معبداً.

كان وادي ابن هنوم البقعة التي كانت تشهد طقوسًا وحشية تكريمًا للإله الوهمي الذي دعاه چون ملتون «مولك، الملك القاسي، الملطخ بالدماء» في وادي ابن هنوم كانت العادة المخيفة لحرق الأطفال أحياء تنفّذ هناك، وكان يبدو أن آحاز أول ملك يهودي يقدم مثل هذه الذبيحة المرعبة. «أحرق بنيه بالنار» يقول (اليكوت) تعليقًا على هذه الذبيحة الإنسانية «إنه، بلاشك، كان يعتبر ذلك الملاذ الأخير اليائس ضد الظلم الذي عانى منه من قبل أعدائه في الشمال .... فمثل هذه الذبائح المرعبة كانت تقدم فقط في حالات الضرورة القصوى». إن ملك موآب قدم ابنه محرقة (٢مل ٣: ٢٧). وفي أوقات الكارثة القومية الحالكة السواد، كان العبرانيون، مثل جيرانهم، مدفوعين كرهًا لطلب العون بممارسة نفس هذه الطقوس المرعبة (انظر منسي، ٢ أخ ٣٣: ٦، وأيضًا مز ١٠٦: ٣٧-٣٩).

لاشك أن آحاز شعر أن مثل هذه الذبيحة البشرية يمكن أن تخفّف من غضب الإله الذي ينوي تدميره، ولو كانت كل ثقته في إله النعمة والرحمة، لاختلف سلوكه تمامًا، ولكان الأثر الذي تركه كملك، تأثيراً صحيًا وليس شريراً.

اعتلى يوثام بن آحاز العرش في سن العشرين أو نحو ذلك، وملك لمدة ١٦ سنة. وقد اشتهر بأنه كان أشر ملوك يهوذا وأكثرهم وثنية، ويطلق عليه أيضًا الاسم يهوآحاز. وإذ كان شابًا وذا إرادة قوية، فقد قصد أن يبيّن كيف أنه لا يتأثر بنفوذ والديه. وهكذا، ففي بداية حكمه، أراد أن يُعرف عنه، أنه مقاوم تمامًا للتقاليد الدينية لأمته، ولذا

فقد ابتدأ بصنع وتوزيع مسبوكات لتماثيل الإله الكنعاني، وإحياء العبادة المكروهة لملوك.

وبإغلاقه للهكيل وتوقف العبادات التي رتبها الله، وإقامة المعابد الوثنية، يكون آحاز قد بد أ يحكم بطريقة تؤدي لوقوع الكارثة. كان غزو رصين ملك دمشق، وفقح ملك السامرة، يعني كارثة خطيرة على مملكة يهوذا، وفي نفس الوقت لم تنجح مؤامرة الإطاحة بآحاز، وبالرغم من أن تقدم الملكين كان بلا نجاح، إلا أن اليهود قد أجبروا على الانسحاب من إيلة على البحر الأحمر (٢مل ١٦:٦).

يقول السجل المقدس إن ١٢٠,٠٠٠ رجل من يهوذا قد قتلوا، وأن ٢٠٠,٠٠٠ أخذوا أسرى على يد فقح. فلا عجب أن قلب آحاز وقلوب شعبه رجفت كرجفان شجر الوعر قدام الريح (إش ٧:٢)! لجأ آحاز في وقت شدته إلى ملك إسرائيل طلبًا للمعونة، وليس إلى الله كما فعل ابنه حزقيا عندما هدده سنحاريب.

واجه إشعياء النبي ذلك الملك الشرير المستهتر مرتين، وهو يقدم له رسائل صادقة. ولكنها قوبلت بالاحتقار. كان آحاز يبحث عن العون من أشور وليس من السماء. قيل عن ملك أشور أنه «سمع له (لآحاز)»، ولكننا نقرأ أيضًا أنه «ضايقه ولم يشددّه» (٢مل ١٦:٩، ٢ أخ ٢٨:٢٠). وكلا هاتين العبارتين المتناقضتين صحيحتان.

إن ملك أشور ساعد آحاز فعلاً، فقد أخذ دمشق وخلّص آحاز من قوة السوريين. ولكن هذه الخدمة كانت ذات فائدة قليلة، لأن ملك أشور لم يساعد آحاز ضد الأدوميين أو الفلسطينيين، وضايقه بأخذ الخزائن الملكية وكنوز الهيكل، ولم يقدم له سوى خدمة ضئيلة مقابل هذه التضحية العظيمة.

يقول الأسقف هورن :«إن التناقض الظاهري يمكن توضيحه بما حدث في بريطانيا. فالبريطانيون دعوا الساكسونيين لمساعدتهم ضد الاسكتلنديين والبكتيين، وبناء على ذلك جاء الساكسونيون وساعدوهم لبعض الوقت، ولكن في النهاية جعلوا أنفسهم سادة البلاد.

إن التحالف مع تغلث فلاسر زاد من متاعب آحاز، وجعل مملكته أقرب ما تكون إلى الانهيار، ولو أنه اتبع نصيحة إشعياء، لحدث الصدام بين الأعداء، واستعادت يهوذا حريتها. كانت المأساة تتمثل في أنه كلما اشتدت الوطأة على آحاز، ازدادت خطيته. «وفي ضيقه زادت خيانته للرب».

كانت ممارسات آخاب التي تتفق مع طبيعته وهي في نفس الوقت، ممارسات شريرة، تتضمن عمل مزولة، وإقامة مذبح دمشق، وهو مذبح وثني ذو نمط غريب، كانت تقدّم عليه الذبائح. إن الشرور الأخرى وأعمال الارتداد التي انغمس فيها، جلبت عقابًا مستحقًا، وأشعل عداوات أخرى من الأعداء المجاورين، وهكذا فبعد ١٦ سنة من إساءة استخدام آحاز للقوة، مات غير مأسوف عليه، وفي حين أن جسده دُفن في أورشليم، إلا أنه لم يكن من الملائم أن يُدفن في المقابر الملكية.

ولكن حقيقة أن النعمة تسود على الشر، يتضح في حقيقة أن آحاز يظهر في سلسلة نسب يسوع (مت ١:٩).

ومن المستحسن أن نختتم تأملاتنا في آحاز بالموجز الذي يقدمه الأسقف رولنسون:

«ترك آحاز خلفه سمعة بأنه من بين أردأ الملوك، إن لم يكن بالفعل أردأهم على الإطلاق من كل رؤساء بيت داود. لم تكن لديه الشجاعة ولا الوطنية ولا الطاقة ولا الفطنة ولا التقوى ولا حتى أي اعتبار لتقاليد بيته وأمته. حذَّره إشعياء دون جدوى، ووبخه وقدم له آيات، وهدده، وحثَّه ان يعتمد على الرب، ولكنه اتبع طريقه بعناد، وطلب

العون من كل اتجاه سوى من الاتجاه الصحيح، ووضع ثقته في أسلحة الجسد، أو في آلهة الأمم، ولم يأبه لكونه قد سبب الهوان لبلده، وحط من قدر سلالته النبيلة، وأصر على فعل الشر، بل عصى أكثر وأكثر حتى قطعه الله من أرض الأحياء في ربيع حياته».

ولمثل ملك شرير كآحاز، قدم إشعياء النبوة عن مجيء عمانوئيل (إش ٧:١٤)، الشخص الذي يطهر أكثر الخطاة.

حزقيا

(٢مل ١٨: ٢٠، ٢أخ ٢٩-٣١، إش ٣٦: ٣٩)

الملك المشهور بالتديُّن والإصلاح

عندما ننظر لتسلسل ملوك اليهود، يبدو كما لو أن قانون الوراثة، الذي يعني نقل الصفات الشخصية إلى النسل لا يعمل دائمًا. ففي بعض الأحيان يحيد الأولاد عن الطرق التي نشأوا عليها (أم ٢٢:٦). فآخاب الشرير، واحد من أسوأ الشخصيات المسجلة في الكتاب المقدس، كان ابنًا لوالد تقي وأبًا لابن تقي، وحزقيا التقي بدوره، كان ابنًا لأب شرير وأبًا لابن شرير، وكان حفيده آمون، شريراً أيضًا.

كان الملك حزقيا الذي ملك لمدة ٢٩ سنة، ممتَدحًا بلا تحفظ أكثر من أي ملك آخر من يهوذا. وتشغل الكتابات عن تاريخ مدة حكمه الصالح ١٧ أصحاحًا في الكتاب المقدس. في وقت اعتلائه العرش، وصلت يهوذا لحالة متردية، فبسبب شر آحاز، اختفت الديانة الحقيقية، وتورط الناس تمامًا في العبادة الوثنية، ثم أصبحت المملكة خائرة القوى تحت وطأة نقاط الضعف وعدد مرات السبي التي عانت فيها خلال حكم آحاز.

ومع ذلك فإن الله لم يسلّم شعبه للدمار التام، فهو لم ينس وعده «هناك أنبت قرنًا لداود» (مز ١٣٩:١٧). في ظل حكم حزقيا جعل الله الشعب متلقيًا لرحمته المتفاضلة. وكلما كانت مشوراته معدة للتنفيذ، يكون إناؤه المختار قريبًا. طبقًا لقانون الوراثة، لا خير يمكن أن يُرجي من ابن وخليفة آحاز الشرير، ولكن حزقيا كان مشهوراً بالحكمة والتقوى والغيرة على عمل الله.

اعتلى حزقيا العرش في ريعان الشباب عندما كان عمره ٢٥ سنة فقط، وهو سن يسعى فيه الشباب لإشباع شهواتهم. ولكن حزقيا، بالرغم من ذلك، تعلم منذ البداية أن «يهرب من الشهوات الشبابية»، ومع أن نشأته كانت سيئة إلى حد بعيد، إلا أنه بدأ حكمه بإزالة الأصنام ودعوة رعاياه للعودة لعبادة الرب إله آبائهم. بدأ الملك في الحال العمل الجاد في الإصلاح، وواصل مسعاه دون كلل أو ملل. كانت ثقة حزقيا في الله سببًا في أن يلهم شعبه بثقة مماثلة.

تم استعادة خدمة الهيكل المهمَل والذي انُتهكت مقدساته، وقاد حزقيا رؤساء الأمة إلى ساحات الرب للاحتفال المقدس بالشكر لله. وبالإضافة لشعب يهوذا، ثم دعوة الإسرائيليين من العشرة أسباط للاجتماع في أورشليم حتى يجددوا متحدين معًا عهدهم مع الله، كانت رغبة حزقيا أن يعيد اتحاد كل اليهود في مجتمع واحد.

ولكن عدداً قليلاً من مملكة الشمال استجابوا. فقد احتقر الإسرائيليون كل سفراء حزقيا ذوي النوايا الحسنة. اتبعت كل يهوذا الملك وسادت حرارة التكريس لله لمدة ١٤ يومًا، تم القضاء على المذابح الوثنية والتماثيل، واتخذت الخطوات لمنع الأمة من العودة لرجاساتها السابقة. وإن المرء ليتساءل إن كانت الوثنية قد قُضي عليها بإزالة الأصنام بالقوة أم لا. ليت كل الحكام اليوم يدركون أن البر وحده يرفع شأن الأمة!

بالرغم من أن مملكة الشمال كانت مستعبدة لأشور وعلى مشارف نهايتها كأمة، إلا أن حزقيا لم ينجح فقط في استعادة وتأسيس الإدارة المقررة لتنفيذ الأوامر الإلهية الخاصة بالهيكل، ولكنه نجح أيضًا في الإدارة المدنية للمملكة وفي مؤسساته السياسية. ففي ظل القيادة الإلهية، أخضع حزقيا الفلسطينيين وألقى جانبًا بالنير الظالم للأشوريين.

حدث فيما بعد، أن شاءت إرادة الله أن يختبر حزقيا بطريقة قاسية بأن تفوَّق أعداؤه عليه. ولما وصل إلى أشد حالات الضيق، أظهر الملك معدنه الأصيل وقوة شخصيته بأن اعتمد على الله اعتماداً غير مشروط، لأنه كان يتميز بإيمانه على جميع الذين جلسوا على عرش يهوذا.

وفي خلال الـ ١٤ سنة من مدة حكم حزقيا، فإن سنحاريب، ملك أشور المتعجرف، استشاط غضبًا بسبب عدم رغبة حزقيا في الاستسلام له، فغزا مملكة يهوذا واقترب من عاصمتها (٢أخ ٣٢:١). كان سنحاريب قد سبق له أن قاد عشرة أسباط إسرائيل للسبي، وها هو يهدد بالدمار الشامل للمملكة الشقيقة.استعد حزقيا لمقاومة باسلة واستخدم أكثر الاحتياطات حكمةً لمضايقة العدو وتحصين المدينة. آمن حزقيا بالله ووثق في قوته فلم يخف.

بينما كان حزقيا واثقًا في التدخل الإلهي لصالحه، طلب عدداً من قادته، خلافًا لتعليمات النبي إشعياء، مساعدة المصريين. وقد فشلت الآمال في الحصول على الارتياح من هذا الجانب، ولم تجلب الثقة في الحصول على مظلة مصر سوى الفوضى والارتباك. استسلم حزقيا لخطية الشك بسلب الهيكل من خزائنه وحليه حتى يقدم رشوة لسنحاريب ليسحب قواته. وفشلت هذه الخطة أيضًا.

ولما كان سنحاريب مصممًا على تدمير أورشليم، أرسل جيشه العظيم ليحيط بالمدينة ويجبر حزقيا على أن يستسلم. سخر سنحاريب من حزقيا، ليس فقط لتوقعه المساندة من مصر، بل لثقته في الله أيضًا في ذلك الوقت من الأزمات القومية، ما الذي كان يمكن لملك يهوذا التقي أن يفعله؟ صعد حزقيا بكل خشوع وحزن مقدس إلى الهيكل وطلب صلاة إشعياء للإنقاذ الإلهي، وسلَّم قضيته بين يدي الله.

وصلت رسائل من سنحاريب، وكانت مليئة بالكلمات الوقحة المعبرة من عدم احترام الله، بل وتحديه، إلى حزقيا، فالتجأ إلى عرش النعمة، ونشر الرسالة الوقحة أمام الرب، وقد أكد له إشعياء إنقاذ الله السريع. في تلك الليلة، عندما نام حزقيا، فالذي لا ينعس ولا ينام أرسل ملاكه، فقضى في الحال على ١٨٥,٠٠٠ جندي من جيش أشور. هرب سنحاريب، تاركًا وراءه غنيمة كبيرة، وهلك أخيراً بصورة مهينة على يدي ولديه. حقًا «انتصار الشرير قصير الأمد» عندما يتحدَّى الله. ويعتبر مزمور ٧٦ عامة احتفالاً بالإطاحة بملك أشور.

أثارت علامة الإنقاذ الإلهي عجب وانتباه الأمم المجاورة، وتعاظمت شهرة حزقيا وانهالت عليه الهدايا وألقاب التكريم، ولكن مُلمَّة كبرى لحقت بالملك، فقد فاجأه مرض مفاجيء وخطير أوصله إلى مقربة من باب القبر، وجاءه نداء إلهي أن يستعد لفراق هذا العالم (إش ٣٨:١) سكب حزقيا نفسه في صلاة متجهًا إلى الله، ملاذه الوحيد، وهو يطلب منه ألا يموت.

لا يصح لأي قديس أن يخاف من الموت أو يؤجل دخوله إلى السماء «طوبى للأموات الذين يرقدون في الرب» لاشك أن حزقيا شعر أن عليه أن يعيش ليثبِّت مملكته. ما أعجب نتائج الصلاة! في الحال سمع صراخ حزقيا، وأكد له إشعياء أنه في ظرف ثلاثة أيام سوف

يشفي تمامًا من مرضه، وأنه سيضاف إلى عمره ١٥ سنة. ولكن باللحسرة ففي خلال هذه السنوات المضافة إلى عمره، وولد له ابن أصبح لعنةً على الأرض، ومكروهًا في نظر الرب.

عبَّر حزقيا عن عميق شكره لاستجابة صلواته، وصعد إلى الهيكل ليبارك الله لأجل صلاحه، ونجد مزمور حمده محفوظ لنا في (إش ٣٨:٩-٢٠). لقد حدث كسوف للشمس في سنة ٧١٣ ق.م مما قد يعزى إليه رجوع الظل إلى الوراء.

وبعد شفاء حزقيا مباشرة، ارتكب عملاً من أعمال العصيان، تم توبيخه عليه وهدده الله نفسه بسببه. ولحسن الحظ، أن ابتعاده عن الإيمان لم يدم طويلاً، ولم يكن من الأخطاء البارزة التي يمكن أن يتعرض بسببها لانتقاد الناس. ذكر يشوع بن سيراخ، الكاتب اليهودي، حزقيا كواحد من ثلاثة ملوك لم «يرتكبوا معصية» (سيراخ ٤٩:٤)، والملكان الآخران هما داود ويوشيا. يرى سيراخ أن حزقيا قد ابتعد عن التقوى بسبب واحد فقط هو افتخاره الباطل بكشفه مصادر الثروة في عهده لرسل مردوخ بلادان.

استسلم حزقيا للغرور بسبب شعوره بأهميته على أساس الأفضال الإلهية والبشرية التي صارت من نصيبه «قلبه ارتفع». كان ملك بابل شغوفًا بأن يمتدح حزقيا، فأرسل هدايا ورسالة تهنئة بسبب شفاء حزقيا المعجزي من المرض الخطير، ولما كان حزقيا مدفوعًا بدافع الكبرياء، رد على ذلك باستعراض عظمة قصره وخزائنه أمام الملك الوثني، «رفعه الله ليمتحنه، ويعرف كل ما في قلبه» وسرعان ما عرف حزقيا فساد قلبه!

لم يمر كبرياء حزقيا بلا عقاب، فقد جاءه إشعياء بتوبيخ قوى وتهديد بالسبي ومصادر خزائنه التي يفتخر بها لتصبح ملكًا لنفس الشخص الذي استضافه، اتضع الملك أمام الله وحصل على فترة ليستريح فيها، وأكد له النبي أن الخراب لن يكون في أيامه. منذ ذلك الوقت فصاعداً، كان حزقيا ثابتًا في تكريسه لله، وازداد في القوة والثراء والكرامة.

توَّج النجاح مدة حكم حزقيا التي بلغت ٢٩ سنة. وعندما مات، فإن قيمته الرفيعة ظهرت في أنهم «دفنوه في عقبة قبور بني داود، وعمل له إكرامًا عند موته». وكان تميزه الخاص، رغمًا عن كل ملوك يهوذا الآخرين من قبله أو بعده، في أنه «على الرب إله إسرائيل اتكل» وهو الملك الذي «التصق بالرب» (٢مل ١٨:٦)، وهكذا يلخص الفكر العبري شخصية الملك حزقيا.

كتب هوراس جريلي Horace Greeley قائلاً «الشهرة بخار، الشعبية شيء عارض، الثروة تتخذ لها جناحين، والذين يبتهجون اليوم سوف يسبون ويلعنون غداً، شيء واحد فقط يبقى وهو «الخُلُق». كان حزقيا رجلاً ذا أخلاق فاضلة، كان مدينًا به للتأثير الروحي لإشعياء، الذي ألهمت أفكاره النبوية السامية الملك. على أي حال، فإن أعظم رأسمال لأي أمة لا يتركز في ملوكها، بل في أنبيائها، رجال الله، الذين يبرزون كالضمير الحي للأمة، كما كان جون نوكس بالنسبة لاسكتلندا.

منسى
(٢مل ٢١: ١-٩، ٢أخ ٣٣: ١-٩)
الملك الذي أغضب الله

يبدو أن دراسة تاريخ الإصلاح يدل على أن كل إصلاح، تعقبه محاولة أكثر تصميمًا من جانب الشر على تقويض الخير وهدمه، وهكذا، فإن منسى، طوال مدة ارتداده الطويل، قضى على العقيدة التي رسّخها أبوه التقي

في البلاد.

كان منسى بن حزقيا وحفصيبة، وُلد لهما في السنة الثالثة من الـ ١٥ سنة التي أضيفت إلى عمر حزقيا، وهي السنوات التي تميزت بالإيمان المهتز والرجاء الضعيف (إش ٣٨:١٥). ملك منسى لمدة ٥٥ سنة، وهو أطول مدة حكم لملك يهودي. واسمه يعني «الناس» وسُمِّي هكذا لأن الله جعل أبوه ينسى متاعبه (انظر تك ٤١:٥١) ياله من اسم محزن للشخص الذي أصبح أردأ الملوك اليهود! إن اسمه الثاني في قائمة الملوك الذين قدموا هدايا لأسرحدون.

خلال حكم منسى، كانت أشور تحت قيادة آسرحدون وأشور بانيبال، في أوج قوتها وزهوها، «كانت مدة حكم منسى الطويلة تمثل حياة هادئة تقريبًا وخالية من الأحداث لملك عبد، ذليل بإرادته، قانع بأن يكون ملكًا تابعاً في إمبراطورية عالمية شهيرة، معتنقًا لكل أفكارها الدينية والثقافية، ومستعداً للاشتراك في مؤسساتها الحربية وغيرها من المؤسسات».

إن سجل منسى يبرزه بوضوح كوثني رجعي، فقد ملأ الهيكل بأحط أشكال الوثنية، وبذلك عجَّل بدمار يهوذا، لقد أضل شعبه ليفعل شراً أكثر من الأمم الفاسدة الأخرى التي دمرها الله. وكلمة «أضل» تعبير لم يستخدم لوصف أي ملك سابق.

من خلال تأثير منسى انجرف يهوذا بفعل أكبر الموجات الكاسحة للثقافة الوثنية الطقسية الأليـة، النابعة من المراكز العالمية للثقافة والحضارة، ويالها من قائمة طويلة مرعبة من الخطايا التي ارتكبها منسى! التنجيم، والاتصال بالأرواح، والشعوذة، والشر، وتقديم ذبائح بشرية، وغواية الآخرين، وإقامة مرتفعات للأصنام.

أعاد منسى إحياء كل الرجاسات التي قضى عليها والده حزقيا، وأضاف عليها! وملأ أورشليم بالدم البريء، وأعاد الثقافة المهملة لعبادة الطبيعة التي كان أبوه قد قضى عليها، وجعل يهوذا يعود لعبادة البعل العقيمة التي أدخلها آخاب. إن «خطيته التي أخطأ بها» أي خطيته الظاهرة، كانت إقامة الأصنام التي عملها في بيت الله، الذي قال الرب عنه في أورشليم يضع اسمه إلى الأبد.

ازدهرت فنون السحر الأسود، وكل أنواع الشرور تم الانغماس فيها، والصوت النبوي للديانة الحقيقية والذي كان ينعي كل عبادة باطلة، لم يلتفت إليه أحد (إش ١:١٣). صم الملك أذنه عن سماع صوت الله الذي يناديه أن يتأمل طرقه. إن هذا الملك الذي عاش طويلاً أصر على السير في طرقه الشريرة، على الرغم من التحذيرات الإلهية والبشرية.

ولكن برغم كل هذا الشر القومي، فإن البقية التقية، ظلت متمسكة ولم تتنجس، بفضل التأثير الملهم لإشعياء النبي. اضطهد منسى الأنبياء وتابعيهم، وسفك دمًا بريئًا جداً. يقول التقليد إنه قتل إشعياء بوضعه داخل شجرة مجوَّفة ونشره إلى نصفين (عب ١١:٣٧).

حل العقاب بمنسى. فإن ملك أشور أخذه بخزامة وقيده بسلاسل، وذهب به إلى بابل. «بخزامة» تعني بخطاطيف أو حلقات. يوجد أثر قديم يظهر الملك آسرحدون يقود أسيرين بخطاطيف أو حلقات من شفتيهما، ويحمل النقش القائل: «نقلت (من سوريا) إلى أشور رجالاً ونساء بلا عدد.... ومن بين عبيد مملكتي ١٢ ملكًا من سوريا وراء الجبال، وبالون ملك صور، ومنسى ملك يهوذا».

في فترة تذلله، وتوبته في بابل، تَفتَّحت عينًا منسى على المعنى الحقيقي للتقوى. في السبي، عرف الشرور المريعة لعبادة الأوثان الظالمة، وفي حين أن سجله في سفر الملوك لا يذكر توبته، إلا أن أخبار الأيام يعلن أن

منسى اعترف بخطاياه وتركها، فرُحم (أم ٢٨:١٣). لقد عرف أن الرب هو الله (٢أخ ٣٣:١٩).

عند عودة منسى إلى أورشليم، أزال المذابح الوثنية وأعاد العبادات في الهيكل، واستأنف عبادة الله الذي أخطأ ضده، ومع ذلك، سمح ببقاء الكثير من المرتفعات أو معابد الأوثان. يتساءل أحد المفسِّرين فيما إذا كان حق يهوة على شعبه هو الحافز الوحيد الذي دفع منسى لمعرفة الله؟» وكون منسى لم ينجح في جعل أمته، في أيامه الشريرة، تخضع خضوعًا كاملاً للسيطرة الوثنية، يظهر في حقيقة أنه بعد موته بسنوات، استطاع يوشيا التقى أن يثبت مرة أخرى عبادة الإله الحقيقي في الأرض.

أما عن نهاية منسى، فالكتاب يقول إنه اضطجع مع آبائه ودُفن، ليس في قبور الملوك، ولكن في بستان بيته «اضطجع مع آبائه» وصف جميل للموت.

وهو مستخدم عن الملوك الأخيار والأشرار على حد سواء، حتى عن يهوياكين، الذي لم يُدفن.

آمـــــــون

٢مل ٢١:١٩-٢٦، ٢أخ ٣٣:٢١-٢٥

الملك الذي ملك فترة وجيزة مليئة بالأخطاء

الفترة من سن الـ ٢٠ إلى سن الـ ٢٥ «أزهى خمس سنوات الحياة» هي الوقت الذي يشعر فيه الناس بإحساس غامر بالقوة الفعلية والفرح في ممارسة القوى الفكرية، هكذا يقول مستر روبرتسون نيكول في كتابه «حول الساعة» ولكن لم يكن الحال هكذا مع آمون، الذي اعتلى عرش يهوذا في سن الـ ٢٢ سنة، وملك لمدة سنتين فقط، وقُتل في سن مبكرة وهو يبلغ ٢٤ سنة، وهي مدة تعد طويلة بما فيه الكفاية بسبب التأثير الضار لحياته القصيرة!

يبدو كما لو كان المؤرخ المقدس لم يكن راغبًا في أن يقدم الكثير من التفاصيل عن هذا الملك غير التقي، فلم يخصص لآمون سوى ٢٠ سطراً، وقد كانت فترة حكمه القصيرة، امتداداً أضعف لفترة حكم أبيه الشرير.

كان اسم آمون مرتبطًا بإله الشمس المحلي المصري، وقد سُمِّي بهذا الاسم عندما كان أبوه المتعصب منسى، غارقًا في ممارساته الوثنية، إنه اسم يدل على أن الله ليس له الحق في العبادة بأكثر من الآلهة الوثنية. كانت أم آمون هي مشلّمة.

ترك الملك الشاب عبادة الله وتمسك تمامًا بالخرافات الغريبة التي تمسك بها أبوه (٢ مل ٢١:٢١). كان التحلل الأخلاقي والديني يسيران جنبًا إلى جنب «ازداد آمون اثمًا» أو كما ورد في الهامش «ضاعف الاثم» هناك مثل لاتيني يقول: «المجتمع كله يسير وفقًا لمثال الملك» إن كان في اتجاه الخير أو الشر.

قلّد آمون كل خطايا أبيه، ولكنه لم يقلّده في الحزن على خطاياه. لقد أحتقر النعمة التي ظهرت في منسى. ولكونه شابًا، فقد ظن بلاشك أن الحياة ممتدة أمامه، وأنه بإمكانه أن يستمتع بكل ما هو شهواني، وفي أواخر أيامه يتوب كما فعل أبوه، ولكن يوم التوبة هذا لم يأت أبداً.

قُتل آمون على يد بعض أفراد الحاشية أو موظفي القصر، والذين من الممكن أن يكونوا من بعض البقية الحريصة على تخليص العرش من الارتداد، قام نفر من أفراد الشعب، وقتلوا أولئك الذين تآمروا ضد الملك وقتلوه، إن مثل هذا العقاب ضد الوثنية قد أثبتت أنه مازال هناك أناس ذوي نقاء وإخلاص، وقد منحتهم التجربة قوة وجعلت عودهم أكثر صلابة، بالرغم من العقائد الفاسدة وانحرافات الطبقة الحاكمة.

دُفن آمون في قبره، وليس في مقابر الملوك، ولكن في

قبر كان قد أعده لنفسه بالقرب من قبر أبيه (٢مل ٢١:١). ونحن نتأمل في آمون نتذكر المثل الاسكتلندي القائل: «إن المكروه من رعيته لا يمكن أن يُحسب ملكًا».

يوشيا

(٢مل ٢٢-٢٣:٣٠، ٢ أخ ٣٤،٣٥)

الملك الذي لم يحد يمينًا ولا شمالاً

لم يذكر عن ملك آخر أنه «لم يحد يمينًا ولا شمالاً» كانت عين يوشيا على الهدف، وقد وصل إليه باقتدار في مدة حكمة التي بلغت ٣١ سنة. بدأ بداية مبكرة وصحيحة واستمر يتقدم، وكان مثابراً حتى النهاية، ويمكننا أن نطبِّق كلمات شكسبير في «الملك لير» على يوشيا:

«نعم، كل بوصة فيك تدل على أنك ملك»

أعطى اسم ملك يهوذا قبل موت جده منسى بست سنوات، وهو اسم ملكي مرتبط بالرب، كان «منسى» و«آمون» السابقان على يوشيا، اسمين وثنيين. وهكذا من النبوات التي تمت، فأشهرها تلك النبوة المتعلقة بيوشيا، قبل ولادة يوشيا بـ ٣٠٠ سنة، لم يكن هناك أب يعطي هذا الاسم لابنه أو يدعيه لنفسه، أو يحاول أن يتمِّم النبوة، حتى جاء الوقت المعين، فآمون، الملك الشرير، هو الذي اسمى ابنه يوشيا، ومن الواضح أنه لم يكن مدركًا للنبوة حتى تممها (قارن ١ مل ٢١: ٣١ بـ ٢ مل ٩: ٢١، ٢٦، ٣٦).

يوشيا مثال بارز على التقوى المبكرة ونتائجها المباركة. فمع وجود مثل هذا التراث الشرير، لم يكن من المستغرب لو أنه واصل المسيرة الشريرة لمنسى وآمون. ولكن النور أشرق على يهوذا، في وسط الظلام الدامس لخيانتها المتعمدة، لم يكن جد يوشيا قادراً على التخلص من كل الممارسات الدنسة التي أدخلها، والتي جددها آمون، أبو يوشيا وزاد عليها. كان يوشيا يبلغ من العمر ست سنوات فقط عندما أُجلس على العرش، وما الذي يمكن للمرء أن يتوقعه من طفل!

بدأ منسى في سن ١٢ سنة، وتربى في كنف والده التقى حزقيا. وبدأ يوشيا في السادسة من عمره ونشأ تحت رعاية آمون غير التقي، ويا للفارق الكبير في الشخصية! ومع ذلك فعن طريق تعليم الأشخاص ذوي المبادىء الفاضلة، وبينما كان بعد صغيراً. طلب يوشيا وجه إله داود، بدأ صفنيا خدمته في السنة الأولى من حكم يوشيا، وكان إرميا بارزاً في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك، وكتب ناحوم أيضًا سفره في نهاية حكم يوشيا «الذين يبكرون إليَّ يجدونني» (أم ٨:١٧).

وفي مقتبل حياته، كرس يوشيا نفسه لخدمة الله، تذكر خالقه في أيام شبابه. وفي السنة الثامنة من حكمه، طلب الرب وحده، وبعد أربع سنوات بدأ ينتزع عبادة الأوثان من الأرض، واتسم حكمه بعد ذلك بالاهتمام الشديد بكلمة الله المكتوبة. تذكر الأبوكريفا يوشيا كواحد من ثلاثة لم «يرتكبوا معصية» لم تكن غيرته الدينية الأصيلة وميضًا عابراً مفاجئًا، بل شعلة ساطعة ثابتة.

بعد موت حزقيا بـ ٥٠ سنة، عمل حفيده الأصغر، يوشيا محاولة أخرى وأخيرة لإرجاع الأمة ثانية إلى الله، ولكن جهوده كانت عقيمة تقريبًا. شعر الملك أن الرؤى وليست الأهداف الإلهية، يجب أن تكون قاعدة لسلوكه. وهكذا، فعلى الرغم أن خلدة النبية قد أكدت له يقينية الدمار الذي سوف يأتي على أورشليم، إلا أن يوشيا لم يتقاعس أبداً عن بذل الجهود المضنية لإصلاحها لقد تصرف بروح المبدأ الهام المتميز القائل «علينا أداء الواجب، أما الأحداث فهي من الله «٢ مل ٢٢: ١٦).

في السنة الثانية عشرة من ملكه، عندما كان يبلغ من العمر ٢٠ سنة، بدأ يوشيا في تطهير البلاد من الرجاسات التي دنستها، وظل يعمل لمدة ٦ سنوات في مهمته المقدسة لإزالة العبادة والطقوس الوثنية، ولم يعهد بمهمته الإصلاحية للآخرين، فقد كان يوشيا نفسه يتجول في كل أنحاء المملكة ليرى أن أوامره تنفَّذ بحذافيرها.

لم تكن جهود يوشيا الغيورة قاصرة على مملكة يهوذا التابعة له فقط، لكنه بذل جهوداً مماثلة في مدن إسرائيل التي كانت خاضعة لأشور. ولذا فقد حرق عظام كهنة الأصنام فوق مذبح يربعام في بيت إيل. ومن اللافت للنظر أنه قد سبق التنبؤ بأنه سوف ينجز هذا العمل حوالي ٣٥٠ سنة من قبل (١مل ١٣:٢، ٢مل ٢٣:١٥، ٢٠).

ولم يكن عمل يوشيا سلبيًا فقط، بتصحيح الأخطاء، بل إيجابيًا حيث أنه حاول تأسيس التقوى الحقيقية في الأمة. فالهيكل المهمَل والمدنَّس، قد تم إصلاحه، وتم استعادة عبادة الله، وبينما كان العمل جاريًا في إصلاح الهيكل، وجد حلقيًا، رئيس الكهنة، سفر الشريعة، مما كان يعتبر أبرز حدث في مدة حكم يوشيا كله والتي تبلغ ٣١ سنة.

إن تاريخ العالم يثبت أن قبول وتطبيق الحقائق العظمى لكلمة الله، لا يغيران فقط آراء الإنسان، بل يحدثان كذلك تغييراً كليًا في الشخصية والدوافع والسلوك.

من المرجح أن تكون النسخة التي وجدها حلقيا هي النسخة الأصلية لسفر التثنية، والتي كانت قد خُبئت أثناء حكم منسى وآمون. من الواضح أن نُسَخ السفر لم تكن معروفة أو أهملت أو كانت نادرة، حيث أن الملك كان يجهلها. ولكن دخول كلمة الله أتى بالنور. فعن طريق الشريعة، اكتشف يوشيا إلى أي مدى ابتعد الشعب عن الله، ومقدار الغضب المريع الذي كانوا معرّضين له.

أعلنت خلدة النبية قرارها بخصوص السفر بأنه كلمة الله، وأعلنت أن الدمار سوف يحل على أورشليم وسكانها بسبب عبادة الأوثان لمدد طويلة، ولكن يوشيا، الملك التقي، سوف يُضم إلى آبائه رحمة به حتى لا يرى كل الشر الذي سوف يجلبه الله على ذلك الموضع عقابًا لسكانه.

بمجرد أن علم يوشيا بأهمية السِّفر المكتشف، استدعى كل الرؤساء وكل شعب المدينة وذهبوا في موكب مهيب إلى الهيكل، وقرأ في آذانهم أحكام الشريعة الصارمة. كانت توبته من عمق القلب، ولكن المرء يخشى أن يكون أغلبية الشعب قد أظهروا موافقة مصدرها الرياء على الرغم أنهم صادقوا على التعهدات والأقسام التي قدمها الملك. يعلق (نيكولس) على ذلك بالقول:

«ما جاء في ٢ أخ ٣٤:٣٢،٣٣ يصور تغييراً ملحوظًا في حالة الشر التي انغمس فيها الشعب سابقًا خلال مدة حكم آمون. ولكن الوصف المقدم هنا ينقصه بعض الإيضاحات، لأنه يتضح مما جاء في إر ٣:١٠ وأجزاء أخرى من الأصحاحات الاثني عشر الأوائل من نبوَّته، والتي قدمت أثناء حكم يوشيا، أنه بالنسبة للكثيرين لم يكن الأمر ينطوي سوى على طاعة ظاهرية، فقد كان هناك كابح فقط، لا ينطوي على تغيير في الموقف، وكان هناك الرياء الذي ظهر واضحًا بمجرد موت يوشيا، وهذه الفقرات من سفر إرميا تفسر أيضًا ما جاء في ٢ مل٢٣:٢٦ حيث قيل إنه على الرغم من تقوى يوشيا، والمدى الذي وصل إليه في الإصلاح، إلا أن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم».

كان هناك احتفال شعبي بالفصح، على مستوى لم يُسمع به منذ أيام القضاة، بعد ١٠٠ سنة فقط من تدمير السامرة. تمسَّك ملك يهوذا المحبوب بالتقوى، وازدهرت أمته. وبعد ١٣ سنة من مهمته الإصلاحية العظيمة، خرج

يوشيا لقتال الفرعون نخو ملك مصر، الذي كان في طريقه لمهاجمة الأشوريين.

أظهر يوشيا بهذه المغامرة نقصًا في توازن شخصيته ولحقه التوبيخ لقيامه بهذه الحملة التي من المرجح وأنه قام بها دون الاستعداد المناسب، أو باستشارة الرب وأنبيائه. إن الله يسمح أحيانًا حتى للرجال الأتقياء أن يتبعوا المشورات الحمقاء والشريرة لكي يعاقب أولئك الذين أشاروا عليه باتباعها، كما في حالة يوشيا.

أُصيب يوشيا بجرح مميت في القتال، ومات أثناء نقله من مجدو إلى أورشليم. ويبدو أن الله نقل يوشيا من المشهد الأرضي، رحمة به حتى لا يشهد دمار بلده الوشيك، والذي كان مسرعًا نحو الهلاك، رغما عن الملك، مع أن يوشيا مات في حرب، إلا أنه مات في سلام عقلي وقلبي وضُم إلى أبائه في سلام.

كان موت يوشيا كارثة قومية، وبموته في غير أوانه، تلقت الآمال الحماسية للبقية التقية ضربة قاسية. كان موته سببًا في مناحة عظيمة. وعم الحزن كل الأرجاء، رثى إرميا الملك وذكره في مراثيه (٤: ٢٠).

وإذ نتأمل في حزن الأمة على يوشيا، نتذكر المثل اللاتيني الذي يقول: «كنوز الملك قلوب رعيته».

ويا للأسف، فإصلاح يوشيا العظيم كان ظاهريًا فقط، لأنه بعد موته، عاد الشعب إلى أصنامه مرة أخرى! انطفأت جذور الحماس للإيمان الذي أستعيد حديثًا، ونسى الشعب الله.

يهوآحاز
(٢ مل ٢٣، ٢ أخ ٣٦، إر ٢٢: ١٠-١٢)
الملك الذي حكم لمدة ثلاثة أشهر فقط

كانت مدة حكم خليفة يوشيا قصيرة جداً لدرجة أنها لم تحدث أي تأثير على تاريخ يهوذا. اعتلى يهوآحاز العرش وعمره ٢٣ سنة، ولكن حلمه لم يدم سوى ٣ شهور. ومع أنها كانت مدة قصيرة، إلا أنها كانت سيئة ونهايتها مريرة. يهو آحاز. بن يوشيا وحموطل بنت إرميا من لبنة، يُدعى شلّوم الذي ربما كان هذا هو اسمه قبل موت أبيه المبكر الذي جاء به إلى العرش.

يهوياقيم، الأخ الأكبر ليهوآحاز، كان هو السليل المباشر من يوشيا والذي يحق له المُلك، ولكن تم تخطيه من قبل شعب الأرض، لاشك بسبب ظهور بعض الميول التسلطية عليه. اختير يهوآحاز، الابن الرابع ليوشيا، ملكًا، على الأرجح لأن الشعب شعر أنه حاكم أكثر كفاءة في الأوقات الحرجة التي كانت تجتازها الأمة، ولكن رواية إرميا عنه تظهر أن تقديرهم لم يكن في محله (٢٢: ١٠).

في مدة حكم يهوآحاز التي بلغت ثلاثة شهور، واصل رجاسات سلفيه، آمون ومنسى، و«عمل الشر في عيني الرب» يقول (اليكوت): إنه في مرثية حزقيال على رؤساء يهوذا، يدعي يهوآحاز الشبل الصغير الذي «أكل الناس» إشارة إلى شراسته وظلمه وإساءة استخدامه للسلطة بلا خجل (١٩: ١-٤).

بعد مدة حكم يوشيا التقي، بدأ يهوذا تغييراً إلى الأسوأ، اعتبر الفرعون ميكول الملك المصري، أنه ليس من الأمان أن يترك الأمة التي تدخلت في خططه دون عقاب، واحتل يهوذا وجعلها إقليمًا تابعًا له وفرض عليه ضريبة باهضة.

تم إزاحة يهوآحاز عن كرسي الحكم، وحُمل أسيراً إلى مصر حيث مات كما تنبأ إرميا (٢٢: ١١، ١٢، ٢٧: ١٠-١٢). ولما كان يهوآحاز شابًا عندما أُخذ أسيراً، ولم يرَ أرضه مرة أخرى، فلابد أنه جعل يخدم سيده الأجنبي بكل قوة.

يهوياقيم

(٢مل ٢٣: ٣٥-٢٤: ٧، ٢أخ ٣٦: ٥-٨، إر ٢٢: ١٨-٢١، ٢٥-٢٧، ٣٦)

الملك الذي دُفن كحمار

يمكن أن نعطي لهذا الملك لقبًا آخر - «الملك الغبي ومديته». هناك مثل قديم يقول إن الطفل والغبي لا يمكن أن يؤتمنا على مدية أو سكين، لأن كلا منهما سوف يستخدمها إما في إتلاف الأشياء ذات القيمة، أو إصابة نفسيهما، وهكذا استخدمت مدية يهوياقيم بما يتفق مع غبائه.

عندما جاء إرميا النبي إلى الملك بالنبوة التي أعطيت له من الله عن الكارثة المقبلة على الملك وأمته، أحضر الدَرَج الذي يحتوي على النبوة إلى الملك في إحدى قصوره، وقرأ عليه وعلى أفراد حاشيته، كان الدَرَج يحتوي على إدانة مريعة لخطايا الملك والنتائج الحتمية القادمة المترتبة عليها.

لم يحب الملك الخاطيء ما سمعه، وأوقف القراءة وأمر أن يعطوه الدَرَج. وحتى يظهر احتقاره لله ولنبيه، أخذ يهوياقيم مبراة الكاتب، وشق الدَرَج، وألقى به في النار حتى فنى كل الدَرَج وتحول إلى رماد. ولكن على الرغم أن الملك دمَّر ذلك الدَرَج، إلا أنه لم يتخلص من الحقائق الخطيرة التي كان يحتوي عليها، لأنها كُتبت مرة أخرى وزيد عليها.

حاول آخرون استخدام سكين يهوياقيم، عندما طُبع الكتاب المقدس لأول مرة في إنجلترا، أحضر بعض الناس كل الكتب المقدسة التي أمكنهم جمعها وأوقدوا فيها النيران في الهواء الطلق. واستخدم طابعو الكتاب بعد ذلك الأموال لشراء عشر مطابع بدلاً من مطبعة واحدة، وزادت الكتب المقدسة في البلاد عشرة أضعاف، مما أثار ضيق هؤلاء الناس الذين اكتشفوا أن النيران لم تستطع أن تحرق كلمة الله التي لا يمكن أن تُدمَّر.

إن التصرف الشرير الذي صدر من يهوياقيم لا يزال يصدر، ولكن ليس بسكين الكاتب، بل بقلم الكاتب في أيدي بعض النقاد العصريين الهدامين.

عندما أظهر يهوياقيم احتقاره وتحديه لله بتدمير رسالة الله إلى قلبه، لم يظهر عبيد الملك وأفراد حاشيته أي علامات للتوبة.

فلم يشقوا ثيابهم - وهو النمط الشرقي للتعبير عن الندم أو الانزعاج وهذا دليل على قساوة قلوبهم. كم كان الملك مختلفًا كل الاختلاف عن أبيه يوشيا (٢مل ٢٢: ١١)؛ من الواضح أن أفراد الحاشية كانوا أقل استعداداً للخوف المقدس من بقية أفراد الشعب.

لم يذكر السجل المقدس أي شيء صالح عن هذا الملك الشرير الذي انغمس في إقامة القصور الملكية الفاخرة عن طريق أعمال السخرة. لقد أظهر استهانة تامة بالمصالح العليا لرعاياه، وأدخل أغرب الطقوس الوثنية من مصر إلى داخل بلاده في النواحي الدينية، يلخص (جرين بو) جوانب شخصية يهوياقيم فيقول:

«كان أحمق مندفعًا ضعيف العقل، أغراه متملقوه وأفراد حاشيته بأن يعتبر نفسه كسليمان، فهو إنسان غارق في الرذيلة، وجبان، يميل للتفاخر، مع قدر كبير من العناد والتظاهر بالشجاعة، والاعتقاد الكاذب بأنه شخص عظيم، ولكن دون أثر للشجاعة الحقيقية والرجولة، كان يرتكب أخطاء سياسية واحداً وراء الآخر، ويقود الأمة بسرعة إلى الدمار، ويجرُّها معه. لاحظ دركات الشر والفساد الخلقي، إنه كشخص يبحر بمرح في اتجاه الصخور، والشلالات تحيط به من كل جانب والسقوط الفجائي والختامي أقرب ما يكون».

قيل إن العبارة «رجاساته ... وما وُجد فيه» تعني «ما وُجد عليه...» في إشارة للاعتقاد بأنه كان موشومًا بعلامات وثنية أو علامات محرَّمة وفقًا لناموس موسى (لا ١٩:٢٨، انظر رؤ ١٣:١٦-١٧ الخ) إلا أننا نعلم جيداً، أن وقت الشدة لم يحدث به أي تغيير، كان مذنبًا لارتكابه تلك الجريمة النكراء بقتل النبي أوريا الذي تنبأ بروح إرميا، وحاول أيضًا قتل إرميا لإعلانه للحقائق التي لم تعجبه.

اعتلى يهوياقيم عرش يهوذا على يد الفرعون نخو وجُعل ملكًا عبداً بدلاً من أخيه الأصغر (غير الشقيق) يهوآحاز، وحكم لمدة ١١ سنة. كان اسمه الأصلي إلياقيم، ولكن الفرعون نخو غيَّره إلى يهوياقيم ليؤكد سلطانه وأيضًا رفضه اختيار الناس ليهوآحاز.

أجلس ملك مصر يهوياقيم على العرش، وخلعه ملك بابل، نبوخذنصر، الذي يرد اسمه لأول مرة في هذا الموضع في الكتاب المقدس، حُمل يهوياقيم أسيراً إلى بابل مع دانيال.

لا يتميز حكم يهوياقيم بأي طابع شخصي يبرز شخصيته، بل إنه شهد بداية النهاية بالنسبة للأمة. ومن الناحية السياسية، فالسنة الرابعة من حكم يهوياقيم، التي أحرز فيها نبوخذنصر انتصاره العظيم على الفرعون نخو في كركميش على نهر الفرات، كانت نقطة التحول في ذلك العصر، ويجب قراءة نبوة حبقوق ونبوة إرميا، بهذا الخصوص.

إن إرميا كان قد تنبأ بالموت المريع ليهوياقيم «يُدفن دفن حمار» أي دون دفن، لأن الحمير لم تكن تُدفن وقتها، حيث أنه كان مربوطًا بسلاسل، وقد اقتيد إلى السبي، فمن المرجح أنه مات في الطريق، وتُركت جثته في الخلف، دون دفن، بينما تقدم الموكب إلى الأمام. كانت جثة الملك «مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً» (إر ٣٦: ٣٠). ياله من فارق كبير بين حياة وموت يوشيا ويهوياقيم! فبالنسبة للأخير لم تكن هناك مناحة من أقارب أو رعية. وكم كان الوضع مختلفًا عند البكاء على يوشيا!

العبارة «اضطجع مع أبائه» تشير لمجرد حقيقة موته، وليس لطريقة موته ومكان دفنه، نفس العبارة استُخدمت عن آخاب الشرير الذي مات في المعركة، وعن كل ملك في يهوذا سجل موته، وقيل عنه أنه دُفن فيما عدا يهوياقيم الذي ينطبق عليه المثل الذي يقول: «اسم الأشرار ينخر» (أم ١٠:٧).

يهـو يـاكيـن
(٢ مل ٢٤: ٨-١٦، ٢ أخ ٣٦: ٩، ١٠، إر ٢٢: ٢٤-٣٠، إس ٢: ٦)
الملك الذي سُجن ٣٧ سنة

ابن وخليفة يهوياقيم حكم لمدة ٣ شهور و ١٠ أيام، وهي مدة ليست طويلة بالدرجة الكافية لتحدث تأثيراً على حياة الأمة، يُدعى كونياهو، ويكنيا كما يُطلق عليه يهوياكين، وكانت أمه نحو شتا بنت ألناثان من أورشليم (انظر اسمها في قسم الملكات، كان عمره ١٨ سنة عندما ابتدأ يملك. أما الـ ٨ سنوات» الواردة في ٢ أخ ٩:٣٦ يمكن تفسيرها هكذا:

الـ ١٨ سنة يجب أن تتضمن الفترة التي كان فيها وليًا للعهد. الـ ٨ سنوات فترة حكمه وحده. كان هذا التقليد متبعًا في إسرائيل ويهوذا، كما كان أيضًا في الممالك المعاصرة القديمة».

السنة الثامنة من حكمه تمثِّل الوقت الذي عهد إليه فيه والده بالسلطة الملكية. إن الفترة الوجيزة لحكم يهوياكين كملك حر أي قبل السبي كانت معلمًا تاريخيًا

أكثر منها مدة حكم ملكي. حدث أول ترحيل جماعي للسبايا اليهود في عهد يهوياكين، وقد أُخِذ الملك نفسه مع كل أهل بيته وأفراد حاشيته.. أثبتت مقاومة يهوياكين لحصار نبوخذنصر لأورشليم أنها بلا جدوى، وباستسلامه لملك بابل، أخذ ١٠٠,٠٠٠ أسير يشملون «أفضل العناصر القوية من الشعب من الأمراء إلى الصُنَّاع» وقد أُخذت أثمن كنوز الهيكل والقصر الملكي كغنيمة.

وظل الملك الشرير يهوياكين أسيراً لمدة ٣٧ سنة. وبسبب سوء فهم لما ورد في إر٢٢:٢٤-٢٨، يتحدث يوسيفوس عن يهوياكين بأنه «طيب بطبعه وعادل».

عندما هاجم نبوخذنصر أورشليم لأول مرة في عهد يهوياكين، تم أخذ مجموعة من الرهائن من بينهم دانيال والفتية الثلاثة. وفي الهجوم الثاني، في عهد يهوياكين، تم أخذ حزقيال ومردخاي أسيرين، استطاع إرميا أن يتجنَّب الوقوع في الأسر والقبض عليه وحث المسبيين في بابل ألا يستشعروا الغربة، وأن يكونوا مواطنين صالحين (٢٩:١-١٠).

تنبأ إرميا بأن يهوياكين لن يكون له وريث يجلس على عرش داود. فقد مات «عقيمًا» بالنسبة للعرش، فلم يخلفه ولا واحد من أبنائه السبعة كملك (١ أخ ٣:١٧،١٨)، ففيه فارق الصولجان يهوذا، وصدقيا الذي خلف يهوياكين هلك قبله (إر ٥٢:٣١). والكتبة الذين يحفظون السجل الملكي، دعوا يهوياكين آخر ملك في عائلته.

بعد سبي يهوياكين الطويل، حدث شيء غريب، ففي السنة الأولى من حكم خليفة نبوخذنصر، أُطلق سراح يهوياكين ورُفع إلى مرتبة الملوك وأنهى حياته كملك (٢مل ٢٥:٢٧-٣٠، إر ٥٢:٣١-٣٤). لابد أن الأثر الجيد الذي تركه يهوياكين في القصر كان لصالحه، ولذلك أعطى الأفضلية على الملوك المسبيين الآخرين. وخُصص له كرسياً في البهو الملكي أعلى من بقية الملوك. وبهذه الكيفية أيضًا عامل كورش، كروسوس ملك ليديا في قصره، إن سلوك الفرسان الذي أظهره الأمير الأسود نحو الأسير الملكي جون الفرنسي، يعطي مثالاً مشابهاً. يقول اليكوت تعليقًا على ذلك:

«من الواضح ان الكاتب يؤكد بسرور هذا الشعاع الضئيل من النور في وسط ظلام السبي الحالك. ويعد هذا نوعًا من النبوة بشأن الشفقة التي كانت ستمتد فيما بعد لتشمل الشعب المسبي، عندما يتم الغرض الإلهي، ويكون السبي قد أدى دوره في التأديب والتطهير (مز ١٠٦:٤٦، عز ٩:٩، نح ٢:٢).

لا يوجد سجل لموت يهوياكين ودفنه كما في حالة الملوك الآخرين.

صدقيا
(٢مل ٢٤،٢٥، إر ٥٢)
الملك الذي أصبح عبداً أعمى

كم تنطبق تمامًا كلمات تنيسون عن مدة حكم صدقيا التي بلغت إحدى عشر عامًا حيث قال: «العرش المهتز أشبه ما يكون بالثلج فوق البحار في الصيف!». والمثل يقول: «كلمة الملك يجب أن تكون قيداً عليه» خان آخر ملك ليهوذا عهده الذي قطعه لنبوخذنصر، وقسي قلبه ضد الخدمة الأمينة لإرميا، وحصد نتيجة لذلك حصاداً مراً. تمرد صدقيا ضد ملك بابل مع أنه كان مقيداً بقسم أقسمه عندما أصبح ملكًا عبداً من ملوك يهوذا. فقد كان عليه أن يقسم بإخلاص بإله آبائه، يؤكد النبي حزقيال على هذه النقطة في نبوة ضد صدقيا وأعوانه من رجال الحكم:

«قسمي الذي ازدراه» وناشد إرميا أيضًا الملك أن يفي بالعهد الذي قطعه ويمتثل له، خلافًا لجميع المعلِّمين

الكذبة، الذين بعرافتهم المزعومة، شجعوا صدقيا على كسر نير الخضوع» (إر ٢٨،٢٧).كانت العداوة لإرميا، عبد الرب، شديدة، ولكنه استمر، على الرغم من الاحتقار والعنف، في إعلان إرادة السماء.

قال إرميا إنه من العبث، كما إنه ليس من التقوى، مقاومة ملك بابل، وأنه عند تمردهم عليه، سوف يتعرضون للدمار الشامل، ولكن صدقيا، أصر على تصميمه بأن يتلقى نصيحة مستشاريه المتملقين، وبخيانته أثار غضب نبوخذنصر ليغزو البلاد ويحاصر المدينة.

لم يستطع صدقيا المتردد (إ ١٩:٣٨، ٢٠) أن يقف أمام جيش الغزاة، عندما أخذ نبوخذنصر أفضل الناس، ذوي النفوذ والقوة، في عهد يهوياكين، ترك وراءه مساكين شعب الأرض حتى يحفظوا العهد ولا يتمردوا (حز ١٤:١٧). لم يكن لدى شعب صدقيًا شيء يمتلكونه أو صنعةً يتقنونها (إر ٣٩: ١٠) وفي حزنه، استدعى الملك إرميا، وهو نبي كان يكن له عظيم الاحترام، وطلب منه أن يصلي لأجله (١:٣٢). ولكن صدقيا كان أضعف وأجبن من أن يتبع مشورة النبي ويتحدى أمراءه الذين كانوا مفتونين بمصر. كان الأمر يبدو كما لو كان صدقيا يأمل في إنقاذ معجزي مشابه للنجاة التي حصل عليها الملك حزقيا من سنحاريب. أخذ يهوذا بعيداً إلى السبي وهكذا انتهت المملكة كما كان إرميا قد تنبأ (٤:٢٠)، ولما شعر أن النهاية قد اقتربت، وأن الله قد تخلَّى عن البلاد (حز ٨)، جعل صدقيا الأمة مرتعًا خصبًا للوثنية وطقوس العبادة الدنسة. كان حزقيال النبي البارز في فترة السبي.

إن صدقيا، الذي تغير اسمه من مَتّنيًا، كان الابن الثالث ليوشيا والأخ الشقيق ليهوآحاز. كان يهوياكين بلا أبناء في وقت سبيه. أُحضر صدقيا، بعد مدة حكم لمدة ١١ سنة، أمام ملك بابل في ربلة، وتعرض لعذاب شديد برؤية بنيه ورؤساء يهوذا يقتلون أمام عينيه. ثم قُلعت بعد ذلك عينا صدقيا.

كان إحداث العمى بالملوك الأسرى هو الشيء المعتاد عند حكام الأشوريين والكلدانيين. كان أشور بانيبال يفتخر بأنه وضع ملكًا عربيًا في القيود، وربطه مع الكلاب، وجعله مقيّدا هكذا في إحدى بوابات نينوي الضخمة. يقال إن داريوس أخذ ملكًا متمرداً من ساجارتيا، وقطع أنفه وأذنيه، وتركه مقعداً عند بابه.

تترجم الطبعة السبعينية «جعله في السجن» (إر ١١:٥٢) إلى يطحن «في بيت السجن» كما لو أن صدقيا، بعد أن قُلعت عيناه، قد جعلوه يعمل كالعبد كما فعل شمشون (انظر مرا ٥:١٣). لا يخبرنا الكتاب كم من الوقت ظل صدقيا في السبي، ومتى مات. وكان إرميا قد تنبأ أنه سوف يموت بسلام ويحرقون له ويندبونه كما عملوا مع أبائه الملوك (٣٤:٤،٥).

هناك مثال بارز على كيفية إزالة الغموض والتناقض الظاهري في النبوات التي لم تتم بإتمام الحدث، نراه في المقارنة بين نبوات إرميا وحزقيال فيما يتعلق بصدقيا. كان إرميا قد تنبأ أن صدقيا سوف ينظر ملك بابل ويذهب إلى بابل (٣:٣٤). وتنبأ حزقيال أن صدقيا لن يرى بابل (١٣:١٢) يخبرنا يوسيفوس أن صدقيا، ظن أن هاتين النبوتين متناقضتان، فلم يؤمن بأي منهما، ولكن كلا النبوَّتين تحققتا بالضبط. فصدقيا رأى ملك بابل، ليس في بابل، بل في ربلة، حيث قُلعت عيناه، وحُمل إلى بابل ومات هناك وانتهت مملكة يهوذا.

يذكرنا دكتور (جراهام سكروجي) بأن :«فترتي الملكية والتبعية لدولة أخرى تتداخلان كل مع الأخرى لمدة ٢٠ سنة من ٦٠٦-٥٨٦ ق.م» أي، على الرغم أن الملوك الثلاثة الأخيرين كانوا يهوداً، إلا أنهم جلسوا على العرش

بإرادة قوى أجنبية، أولاً مصر ثم بابل. ومن المهم أن نرى أنه في خلال فترة العشرين سنة هذه بدأ تحقيق ثلاثة حوادث تم التنبؤ عنها:

العبودية، ٧٠ سنة من ٦٠٦ - ٥٣٦ ق.م (إر ٢٩: ١٠)

السبي، ٥٠ سنة من ٥٨٦ - ٥٣٦ ق.م

الخراب، ٧٠ سنة من ٥٨٦ - ٥١٦ ق.م (إر ٢٥: ١-١١).

إن عشرين سنة من المدة التي تُحسب عادة من فترة السبي، كانت في الحقيقة، ليست ضمن مدة السبي، بل تتبع مدة العبودية.

وبتلخيص مدة حكم ملوك يهوذا، نلاحظ هذه الحقائق:

* حوالي نصف ملوك يهوذا كانوا صالحين، وهذا هو السبب في طول مدة بقاء مملكة يهوذا عن مدة مملكة إسرائيل.

* توجد امرأة بين ملوك يهوذا، ولكن لا توجد وامرأة واحدة بين ملوك إسرائيل.

* والدا الملكين التقيين، حزقيا ويوشيا، كان رجلين شريرين، وهذا يقدم مثالاً على الاختيار الإلهي وتقوى الملوك.

ومما هو جدير بالملاحظة الدقيقة أيضًا أنه تبعًا للتقوى الشخصية وأمانة الملك، كانت يهوذا تتبارك، وتنعم البلاد بالسلام والرخاء.

* أطول مدة حكم كانت لمنسى، ٦٥ سنة، بينما أقصر مدة كانت ليهوآحاز، ٣ شهور فقط.

* سفرا أخبار اليوم يقدمان بالتفصيل أعمال ملوك يهوذا بنوع خاص. حُملت يهوذا لبابل بعد حوالي ٤٦٨ سنة من حكم داود لها، و٣٨٨ سنة بعد انقسام الأسباط العشرة، و١٣٤ سنة بعد تدمير مملكة إسرائيل، وكما يحدث بالنسبة للأمم، هكذا يحدث بالنسبة للأفراد، فالشر يؤدي للهلاك (مز ٩: ١٧). إن حفظ يهوذا واستمرارية تفوقه وحفظ نسل داود يبين بوضوح إصبع العناية الإلهية في الإعداد لمجيء المسيا، حسبما تقول النبوة (تك ٤٩: ١٠، إش ١١: ١٠) وحفظ بيت داود لافت للنظر أيضًا عندما نتذكر الشر العظيم الذي كان عليه الكثيرون من أفراد العائلة مثل - يهورام وأخزيا وآحاز وآمون.

مملكة إسرائيل ٩٧٥-٧٢١ ق.م

تتكون مملكة إسرائيل من الأسباط العشرة الذين ثاروا ضد ظلم رحبعام، وقد ظلت قائمة لما يقرب من ٢٦٠ سنة بقيادة ١٩ ملكًا من يربعام إلى هوشع، وكانوا كلهم وثنيون. وقد تم تدمير المملكة نهائيًا على يد الأشوريين بقيادة شلمناصر، وانتهت بالسبي البابلي. واللفظ «إسرائيل» يستخدم عادة للدلالة على اليهود ككل، ولكن في سجلات الملوك، فإنه يقتصر عادة على الأسباط العشرة.

كانت عاصمة مملكة الشمال أولاً في شكيم، ثم في السامرة، وتلخيصًا لتاريخ كل من مملكتي الجنوب والشمال، يلاحظ دكتور جراهام سكروجي هذه الحقائق:

* في مملكة الجنوب، كانت توجد أسرة واحدة فقط، هي داود، ولكن في مملكة الشمال كانت توجد ٩ أسرات.

في الجنوب كان يوجد ١٩ ملكًا وملكة واحدة، ولكن في الشمال كان يوجد ١٩ ملكًا.

* في الجنوب كان بعض الملوك صالحين، والبعض الآخر لم يكن على وتيرة واحدة، وقسم آخر كان شريراً، ولكن في الشمال كان جميع الملوك أشراراً.

* في الجنوب كانت هناك ثلاث نهضات دينية في عهود يهوشافاط وحزقيا ويوشيا، ولكن في الشمال لم

يكن هناك أي نهضات دينية.

* أخذ سبطا الجنوب إلى السبي البابلي بقيادة نبوخذنصر، وأسباط الشمال أُخذت إلى السبي الأشوري بقيادة شلمناصر.

* القوى الأجنبية التي احتكت بالجنوب أو الشمال في تلك الفترة كانت أشور ومصر وبابل وسوريا.

* أنبياء إسرائيل كانوا يونان وعاموس وهوشع وميخا، وفي السنوات الحديثة بُذلت الجهود للتعرف على الأسباط العشرة، ويؤكد البعض أن الشعب البريطاني يمثِّل هذه الأسباط العشرة المفقودة، فبعد إطلاق سراحهم من السبي، تشتتوا خارج البلاد، كانوا معروفين ليعقوب الرسول الذي وجه إليهم رسالته (١:١).

يربعام الأول

(امل ١١:٢٦-٤٠، ١٢-١٤:٢٠، ٢أخ ١٠-١١:١٦، ١٢:١٥، ١٣:٣-٢٠)

الملك الذي أسس مملكته على الوثنية

يربعام أول ملك على إسرائيل. كان مرتداً دينيًا، وأعطى سماته لمملكته والممالك التالية. كان المثل الذي قدمه هو القدوة لكل ملك خلفه. وأجداد يربعام، وشخصيته وكفاءته، والأسباب لتعيين العشرة أسباط ليكونوا تحت رئاسته والظروف المحيطة بتأسيس مملكته، كل ذلك موجود بالتفصيل في الفقرات المشار إليها هنا.

يربعام، اسم لُقِّب به اثنان من ملوك إسرائيل، ملك لمدة ٢٢ سنة، وكان ابن نباط، أفرايمي عبد لسليمان، واسم أمه صروعة، وتعطيها الترجمة السبعينية الاسم سريفا، وتقول إنها كانت زانية، وأن زوجة يربعام كانت آنو، أميرة مصرية.

من الواضح أن يربعام كان شابًا موهوبًا وشجاعًا، وبسبب كفاءته وقوة شخصيته اختاره سليمان للإشراف على التحصينات والأعمال العامة في أورشليم. وكان أيضًا مسئولاً عن جمع الضرائب من بيت يوسف - وهو لفظ يعني كل الأسباط العشرة (عا ٥:٦، ٦:٦) يربعام إذن شارك في فرض النير الثقيل، وبسبب مركزه كان ينتهز كل فرصة لظلم الشعب وخلق الشعور بعدم الارتياح. تقول الترجمة السبعينية إنه رفع نفسه ليطلب المُلك، وأن سليمان سعى لقتله. ويبدو أنه حين حدث الانشقاق، أوجد يربعام عونًا من الشعب لتنفيذ خططه.

كانت الضرائب الباهظة سببًا لإستياء الشعب وإحساسهم بالمرارة والحقد، وكابن لأرملة، كان يربعام يعرف من واقع التجربة مرارة الظلم. وعند هروبه من سليمان قابل أخيا الشيلوني، وحصل على تأييده له. وبتمزيق ردائه الجديد إلى ١٢ قطعة وإعطاء الهارب ١٠ قطع، يكون أخيا النبي قد دعم موقفه كملك على مملكة الشمال، فقد كان الأنبياء دائمًا يلجأون لمثل هذه الأعمال الرمزية.

يقول يوسيفوس عن يربعام: «إنه كان شابًا ذا طبع حاد، محبًا للعظمة، ولا يمكن أن يهدأ» وطبعه هذا جعله يسرع للاستيلاء على الحكم. فشلت خطته وهرب إلى مصر حيث أستقبل استقبالاً حسنًا من قبل شيشق، خليفة حمى صهر سليمان. لم يُنس يربعام بسبب قبضته القوية على الذين أثَّر عليهم.

عند موت سليمان، تصاعدت موجة الاستياء بسبب عدم الرضا الناجم عن حكمه الظالم، وهدمت في طريقها كل الحواجز في البداية، كانت أسباط الشمال في شكيم ووعدوا بخدمة ابن سليمان وخليفته رحبعام، لو خفَّض من الأعباء المفروضة على الأمة. وبسبب النصيحة الخاطئة، وبروح الظلم، رفض قبول الطلب وقرر أن يزيد من أعباء الشعب. وقد نتج عن هذه المعاملة الفظَّة، النشيد الوطني

للأسباط العشرة:

«أي قسم لنا في داود؟

ولا نصيب لنا في ابن يسي:

إلى خيامك يا إسرائيل!

الآن انظر إلى بيتك يا داود»

عاد يربعام من السبي المفروض عليه، وتولى زمام المقاومة في بلدة شكيم. وسرعان ما أجلسته جموع الشعب على العرش. ولكن يا للأسف، فقد فشل في الوصول إلى المستوى الرفيع الذي حصل عليه والفرصة التي أتيحت له! تدهورت مملكته لتصبح مجرد مملكة حربية. وقام يربعام بتحصين شكيم وجعلها عاصمة له، وقد نُقلت بعد ذلك إلى ترصة.

كانت الحرب مستمرة بين رحبعام ويربعام (١مل ١٤: ٣٠)، ثم كانت حرب يربعام غير المقدسة مع أبيا من يهوذا. عندما غزا شيشق يهوذا، لم يترك إسرائيل، بل أخذ العديد من مدنها. كان فشل الملك في توجيه قلبه لطلب الرب هو سر فشله. كان مصممًا على الاستناد على فهمه، بدلاً من الاتكال على الحكمة الإلهية. كان يربعام مرتداً دينيًا. ولخوفه من رد الفعل لصالح بيت داود واستمرار تقديم الذبائح والعبادة في أورشليم، أقام أماكن محلية للعبادة في إسرائيل. وصنع «عجلي ذهب» كرمز لقوة وعظمة الرب (مز ١٠٦: ٢٠). ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، على الرغم من معارضة عدد كبير من الكهنة باعتبار أن ذلك عبادة للأوثان (١مل ١٢: ٢٩-٣١). أسس يربعام أيضًا كهنوتًا جديداً، ليس لاويًا، كهنوتًا باطلاً، وأدخل أعياداً شعبية وثنية على نمط الأعياد في أورشليم..

هذه هي الخطية التي جعل الملك إسرائيل يخطيء بها ففي ٢١ حالة حيث ذُكر اسم يربعام، يُذكر ارتداده مرتبطًا به «الذي أخطأ وجعل إسرائيل يخطيء» لم تتبع الجماهير هذا الفساد الوثني طويلاً، والذي عجّل بالدمار الذي تنبأ به النبي أخيا. وهناك نبي آخر هاجم يربعام علنًا لأجل العبادة الوثنية، فغضب عندما وبَّخه (١مل ١٣: ٤).

حدثت أزمة أجبرت يربعام على طلب معونة أخيا، فقد مرض ابنه الأكبر واتجه إلى النبي، الذي كان قد أصبح عجوزاً وأعمى، طلبًا للعون. لم يشغل نفسه بالأنبياء، إلا عندما وقع في مشكلة، تمامًا كما يفعل بعض الناس، فهم لا يصلُّون إلا إذا وقعوا في ضيقة ما. أرسل يربعام ملكته، متنكرةً، ليعرف إن كان ابنهما سوف يعيش أم يموت. ولما كان أخيا قد أعلمه الله بمحاولة يربعام، فإنه أمر زوجة الملك أن تعود لتقول له إن بيت يربعام سوف يفنى من أصوله، وأن ابنه سوف يموت - وهو الجزاء الذي يستحقه بأن يورِّث لنسله «سمعة المرتد وتلاحق الثورات التي لا تنتهي».

يبدو أن يربعام نفسه قد مات موتًا أليمًا، حيث أنه ضُرب بمرض عضال. فنحن نقرأ إن الرب «ضربه ومات» (٢أخ ١٣: ٢٠). بفقد يربعام لكل قوة، مما جعله عاجزاً عن إلحاق الأذى بجاره، فإن موته كان يعد بعبارة قانونية «إصبع الله» تمامًا كما ضُرب هيردوس بموت مريع (أع ١٢: ٢٣).

كتب توماس جراي شاعر القرن السابع عشر

«ليحلق بك الدمار، أيها الملك القاسي!

وليطل الارتباك من فوق راياتك!»

نــــاداب

(١مل ١٤: ٢٠، ١٥: ٢٥-٣١)

الملك الذي قُتل على يد مغتصب للسلطة

انعكس مثال يربعام الشرير على ابنه وخليفته، ناداب،

الذي اتبع طرق أبيه الشريرة، والعبارة التي تتردد باستمرار «جعل إسرائيل يخطيء» تعني الإصرار على ممارسة الرجاسات الوثنية في عهد يربعام.

يحتل ثاني ملك لإسرائيل حيزاً محدوداً في الحوليات الملكية للسجل المقدس. حاصر هو وكل إسرائيل مدينة جبثون، ولكن بعشا تآمر عليه واغتاله واغتصب الملك وباغتيال ناداب، يتم القضاء التام على عائلة يربعام، كما تنبأ أخيا (١ مل ١٤). ويمثِّل هذا الحدث كل تاريخ مملكة الشمال، الذي ما هو إلا ثورات وثورات مضادة.

بعشا
(١مل ١٥: ٢٧-١٦: ١٧)
الملك الذي كان حكمه مليئًا بالحروب والخيانة

باستثناء محاولته الهجوم على يهوذا المستقلة، وفشلها، لا نعرف سوى النذر اليسير عن بعشا الذي ملك لمدة ٢٤ سنة في إسرائيل. يخبرنا الكتاب المقدس إنه كان من عامة الشعب (١ مل ١٦: ٢)، وقد قفز إلى السلطة من سبط غامض، غير متميز في تاريخه، ويعلق (إليكوت) قائلاً:

«بعشا هو الأول بين عدد كبير من الرؤساء العسكريين الذين استطاعوا بالعنف أو الاغتيال الاستيلاء على عرش إسرائيل. إن التعاقب المستمر لأسرات لا تظل كل منها في السلطة سوى لمدة وجيزة جداً، يتناقض تناقضًا صارخًا مع الملكية غير المتغيرة لبيت داود، التي تستند على وعد الله».

وحيث أنه كان اسمًا على مسمى، لأن الاسم يعني «شرير» فقد كان بعشا ملكًا شريراً جداً، دأب على ارتكاب الخطايا التي أقيم لكي يقضي عليها في بيت يربعام. وحتى يجعل عرشه أكثر أمنًا، ذبح كل أقارب سلفه، وبأعماله البربرية تمت فيه النبوة التي قيلت ضد يربعام (١ مل ١٤: ١٠).

واصل بعشا حربه الطويلة مع آسا، ملك يهوذا، ومُنع من قِبَل بنهدد، ملك سوريا، من بناء الرامة. يذكرنا دكتور ر.ك هاريسون أن بعشا أرسل هدية من خزينة الهيكل للملك السوري، ولكن بنهدد طارده، فقفل راجعًا إلى عاصمته ترصة، بينما سار آسا نحو الرامة وهدمها.

حذر النبي ياهو بعشا أنه بسبب حكمه الخاطيء، سوف يعاني نفس المصير الذي تعرض له يربعام (٢مل ٩: ٩) «لعنة الرب في بيت الشرير» (أم ٣: ٣٣). إن العقاب في شكل دمار شامل وكلي لحق ببعشا وبيته بسبب طرقه الشريرة، وأيضًا لأنه قتل ناداب وبنيه «الخطية التي تكون عاملاً لتنفيذ قضاء الله لا تعد خطية أقل درجة».

أيلة
(١مل ١٦: ٥-١٤)
الملك الذي قُتل وهو يشرب الخمر

اعتبر كاتب السجل المقدس أن سطوراً قليلة كافية لتسجيل تلك القصة المقزِّزة لذلك السكير المغرم بالشراب والذي يعرف باسم إيلة، وهو رابع ملك إسرائيلي، حكم لمدة عامين.

وفي حين كان عرش إيلة أبعد ما يكون عن أن يجلب له السعادة، إلا أن «إفراطه غير المحدود في الشراب» تسبَّب في سقوطه، كما حدث في حالة ملك سكير آخر، هو الملك بلتشاصر.

كان ابن بعشا ملكًا شريراً يشتهر بالعربدة، وبينما كان «يشرب ويسكر» كما يقول الكتاب، فتن عليه وقتله زمري، القائد العسكري الطموح، وهكذا تم كما تنبأ النبي، القضاء على بيت بعشا عقب موت إيلة. يقول أحد المفسِّرين إن

«أسرة بعشا نشأت بجريمة قتل وانتهت بجريمة قتل» لم يكن الحكم مستقراً. وهذه الثورات توضح الحقيقة التي تقول: «الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون».

إن فترة الحكم القصيرة الأمد لإيلة تذكِّرنا أيضًا بالمثل القديم الذي يقول: «كعبور الزوبعة فلا يكون الشرير» (أم ١٠: ٢٥). عندما هاجم زمري إيله، كان الملك ثملاً للدرجة التي لم يعرف فيها من ضربه. يكتب سليمان عن لعنة المسكر فيقول: «في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان» (أم ٢٣: ٣٢).

زمـــــري

(١مل ١٦: ٩ - ٢٠)

الملك الذي ملك لمدة سبعة أيام فقط

كرئيس لنصف المركبات في عهد إيلة، استغل زمري نفوذه للتآمر ضد الملك، ولذلك كان خائنًا ومغتصبًا. إن السجل المقدس يذكر بنوع خاص «فتنته التي فتنها» والمثل يقول: «الملك ليس ملكًا بالمُلك بل بالحكم وفقًا للقانون». لم يكن زمري يعرف أي قانون. والمملكة المؤسسة على الفتنة والقتل لا يمكن أن تقوم لها قائمة.

اعتلى زمري عرش إسرائيل بعد قتله إيلة، ومثل هذه الجريمة البشعة والفتنة لم تحوزا تأييد الشعب. فما أن وصل خبر الجريمة جبثون، حتى أجلس الجيش عمري على العرش. في أسبوع واحد دمَّر هذا الملك الشرير تمامًا بيت بعشا الشرير أيضًا، والعبارة «خطاياه التي أخطأ بها» تغطي حياة زمري كلها، وليس فقط الـ ٧ أيام التي ملك فيها. تعليقًا على العبارة التي تتكرر دائمًا «سيره في طريق يربعام» يلاحظ (إليكوت) أن هذا يدل على إحساس المؤرخ باللعنة التي لحقت بكل الأمة بسبب وثنيتها، التي لم يحاول زمري أن يستنكرها، اللهم إلا إذا اعتبرنا أن فتنته قد تنكرت تحت التظاهر بالغيرة الدينية لإتمام نبوة ياهو (عدد ٣ وعدد ٤)، ثم ألقت بثوب التظاهر الديني بعد إتمام الجريمة.. لأنه باستثناء هذا الطريق، لم يكن لديه وقت «للسير في طريق يربعام» أشعل زمري النار في قصره وهو يائس، وهلك في اللهيب الذي أشعلته يداه، وهو عمل يائس له أشباه كثيرة في التاريخ، آخرها تلك النار التي أوقدها أدولف هتلر، الذي كان يود أن يكون دكتاتور العالم الأوحد، والذي احترق بها هو وزوجته الجديدة وتحولا إلى رماد.

ظلت هذه النهاية المهينة للملك زمري الذي لم يدم سوى أسبوع من الزمن، وصمة عار حتى في السجل الملطخ بالدماء الذي يحوي أعمال العنف البارزة المؤدية لتغيير الأسرات في مملكة الشمال. إن جريمة زمري النكراء قد استنكرها الجميع حتى عتاة المتآمرين. وبموت زمري، انشقت المملكة إلى قسمين.

لقد أصبح اسم زمري مضرب المثل على الخيانة الكبرى، فإيزابل أعطت ياهو لقب زمري لكي تسير إلى أنه قتل ملكاً مثل زمري الذي قتل بعشا. ومن المرجح أيضًا أن يستمتع ياهو بفترة حكم وجيزة مثله: «أسلام لزمري قاتل سيده؟» هكذا سألت إيزابل ياهو (٢مل ٩: ٣١).

ومثل هذا السؤال يوحي بالقول إن النجاح لا يمكن أن يكون حليف ياهو: لكن ياهو كان لديه تفويض إلهي، أما زمري فلم يكن لديه مثل هذا التفويض. فالأمر العاجل من الله يغير كل ما يتعلق بطبيعة القضية والفعل ذاته.

عــمــري

(١مل ١٦: ١٥-١٨، ٢مل ٨: ٢٦، مي ٦: ١٦)

الملك الذي تفوَّق في فعل الخطية

لابد أن عمري كان خاطئًا غير عادي، حيث أن الكتاب

المقدس قد أعطاه هذه السمعة «أساء أكثر من جميع الذين قبله» كان هناك ملك أو ملكان من الملوك السابقين كانا شريرين، ولكن ها هنا ملك واحد كان أسوأ من أسوأ واحد فيهم. لا يشغل هذا الملك السادس من ملوك إسرائيل مساحة كبيرة من الحوليات الملكية، ولكن القليل الذي كُتب عنه ليس فيه ما يرضي على الإطلاق.

كقائد محبوب لجيش زمري، اختير عمري بالإجماع من قبل الجيش ليصبح مؤسسًا للأسرة الثالثة التي استمرت لما يقرب من ٥٠ عامًا. وبموت زمري انشقت الأمة إلى نصفين. كانت هناك حرب أهلية بين عمري وتبني دامت ٤ سنوات، ولكن عند موت الأخير تولى عمري قيادة الأمة كلها. يعلق (بولنجر) قائلاً «بدأ عمري حكمه قانونًا عندما قتل زمري في السنة السابعة والعشرين لآسا، ولكن حكمه الفعلي بدأ عند موت تبني، المغتصب للملك».

يبرز عمري كواحد من أهم الملوك الحربيين في إسرائيل، لقد أظهر قوة الشخصية في معاملاته مع القوى الأجنبية، وخلال حكمه استمتعت البلاد بحكومة أكثر استقراراً ورخاء مما استمتعت به لمدة ٤٨ سنة. يتحدث حجر موآب الشهير المكتشف في ١٨٦٨ عن كفاءة عمري كقائد:

«عمري، ملك إسرائيل... اضطهد موآب أيامًا عديدة لأن كموش (إله موآب) كان غاضبًا من بلاده. وخلفه ابنه، وهو الذي قال: «سوف اضطهد موآب».

وبعين جندي محنك يتوق لموقع استراتيجي، اشترى عمري جبل السامرة من شامر، ونقل عاصمته من ترصة إلى السامرة التي استمرت كعاصمة للأمة حتى استولى عليها شلمناصر، عندما أُخذت إسرائيل إلى السبي حوالي ٧٢١ ق.م.

إن صمود مملكة الشمال طوال تلك المدة، كان يرجع أساسًا لقوة عاصمتها. وبسقوط السامرة سقطت الأمة.

حاصر بنهدد الأول السامرة بعد أن بني عمري مدينة هناك بوقت قصير، وأجبر عمري على عمل «شوارع» في المدينة للسوريين، كان عمري أول ملك لإسرائيل يدفع جزية للأشوريين بقيادة الملك أشور ناسربال الثالث. وحتى وقت سرجون، كانت مملكة الشمال تُعرف عند الأشوريين باسم «أرض بيت عمري».

إن ما كان يُنظر إليه باعتباره أحكم تحرك سياسي في السنة الثانية عشرة لملك عمري، كان في الحقيقة تحركًا ينذر بالسوء لإسرائيل، وهو زواج ابنة آخاب من إيزابل، بنت إثبعل ملك الصيدونيين. وقد عُقد مثل هذا التحالف كحماية ضد قوي المشرق.

مع أن عمري وضع الأساس لمملكة قوية، إلا أنه فشل في أن يبث فيها القوة المجددة والمنعشة للديانة الروحية الصحيحة. ويتحدث ميخا النبي عن الارتداد اليائس في حكم عمري الذي نتج عن استبدال عبادة الرب بالديانة الأجنبية. ولو أنه «بجبروته الذي أبدي» كان هناك تقوى، لأصبح سجله مختلفًا تمامًا عن ذلك.

أخـــــاب

(١مل ١٦: ٢٩-٢٢: ٤٠، ٢أخ ١٨)

الملك الذي باع نفسه بفعل الشر

ياله من شخص ذي تركيب عجيب ذلك المدعو أخاب، ففيه بعض الصفات الممتازة - فقد كان ملكًا مقتدراً وناجحًا ولم يكن عسكريًا وضيعًا، ومع ذلك فقد باع نفسه عامداً متعمداً لفعل الشر، هذا الملك الأكثر شراً بين ملوك إسرائيل كسر كلا الوصيتين الأولى والثانية، بتعليم إسرائيل عبادة البعل بدلاً من الرب بتأسيس عبادة الأصنام.

عند موت أبيه عمري، تبنّي أخاب الذي ملك لمدة ٢٢ سنة مهمة كسر النير السوري، وبجعله النفوذ الفينيقي جنبًا إلى جنب مع عبادة البعل يأتيان في المرتبة الأولى في الأهمية في إسرائيل، يكون أخاب قد اقتاد الأمة نحو المسالك التي عجلت بسقوطها. إن هذا الملك المرتد، قد ازداد في الشر والوثنية عن كل الملوك الذين قبله، وبسبب طرقه الشريرة جلب الدمار الشامل على بيته، ذُكر حكم أخاب في النهاية بسبب الحقبة الهامة في التاريخ الأخلاقي للمملكة.

كان أخاب، سابع ملك في إسرائيل واحداً من أقوى وفي نفس الوقت من أضعف ملوك إسرائيل، ولو كان يمتلك طبيعة أقوى لتغلب على بعض شرور عصره، ولكنه فشل في فهم عظمة الرب، وفشل في الدفاع عن العدالة وافتقد الرب خطاياه في ذريته» (١ مل ٢٢:١٩).

في الميدان الحربي، كانت لأخاب الفرصة لسحق قوة سوريا التي تهدده، ولكن عندما جاء بنهدد في ثياب التواضع والسؤال يطلب رحمة، استقبله أخاب وعامله كأخ، وهذا لين كان موضع الاتهام من قبل الأنبياء، لاشك أن أخاب اعتقد أن الملك الذي يكسبه كصديق، قد يكون ذا نفع أفضل لإسرائيل من الملك الذي يقتله، ولكن يالالخدعة التي كانت تنتظر أخاب!

كان أخاب متهمًا بقصر نظر اتجاهه الديني، ويظهر هذا من تحالفه مع فينيقيا. تزوج يهورام إبنة أخاب، عثليا. والاحتكاك مع فينيقيا نتج عنه تغلغل الديانة الفينيقية في إسرائيل. فالبعل الذي يمثل سيدة البحار المزهوة والتي تمتلك ثروة تخطف الأبصار، جاء ليحتل مكانة مساوية للرب إله إسرائيل، ولذا فقد بني معبداً للبعل في السامرة، استمر أخاب يدعو أبناءه على اسم الإله الحقيقي على الرغم أن ذلك يبدو غريبًا.

كانت زوجة أخاب الفينيقية، إيزابل، بطلة الثقافة الأجنبية، متغطرسة ومقتدرة، كما كانت عدوانية وعديمة المبادىء، وهي سر سقوطه، كان الزواج الفخم بهذه الابنة الماهرة الثرية - ابنة ملك صور، ومن نفس سلالة الذين أسسوا قرطاج - يعني الحزن على الأمة. إن تأثير امرأة شريرة يكمن في القوة التي تجعلها من «مهلكات الملوك» (أم ٣١:٣).

بتحريض من أيزابل، تم هدم مذابح الرب، وإقامة المذابح الباطلة، وقد كانت مسئولة أيضًا عن الاضطهاد الديني الواسع الانتشار والكراهية للأنبياء الحقيقيين. لقد تواطأ أخاب سراً معها في تصميم زوجته المتحللة من المبادىء على تدمير ديانة الرب والقضاء عليها تمامًا. وفاق أخاب نفسه وثنية والده. في دراسة لاحقة، تم التعامل مع إيزابل فيما يتعلق بجريمة نابوت اليزرعيلي. «إن المبادىء الدينية الخاطئة لها ما يقابلها في المثل الأخلاقية الزائفة والأعمال المدنية اللا أخلاقية».

كان إيليا بارزاً في عهد أخاب، وكالضمير المشتكي، كان متحديًا لمكدِّر إسرائيل. إن ثلاثة أنبياء لم تذكر أسماؤهم بالإضافة إلى ميخا، وبَّخوا الملك وبيَّنوا له أخطاءه (١مل ٢٠:١٣، ٢٥، ٢٦) وعلى الرغم أن أخاب اتضع بسبب كلام إيليا، إلا أنه عاد لأصنامه (١مل ٢١:٢٦). لقد أدرك أنه لا الحقوق الدينية ولا الحريات المدنية يمكن أن تُداس تحت الأقدام دون عقاب إلهي، كما أثبت المشهد المثير على جبل الكرمل.

لم يكن أخاب ملكًا محبًا للأبهة فقط، ولكنه كان قائداً عسكريًا عظيمًا أيضًا. فقد حصَّن مدن إسرائيل وتحدى الجيش السوري وأنزل به هزيمة ثلاثية. ولما خُدع عن طريق الأنبياء الكذبة وحذَّره النبي الصادق ميخا، قَبِل التحدي ضد سوريا، وانضم إليه يهوشافاط ملك يهوذا.

وكانت هذه أول مرة منذ أيام داود يتحد فيها إسرائيل ويهوذا ضد عدو مشترك. ومع أن أخاب كان قد سبق وأنقذ حياة بنهدد، ألا أنه قُتل في هذه المعركة على يد ملك سوريا.

دخل أخاب المعركة متنكراً، إلا أن سهمًا أصابه عشوائيًا تسبب في إحداث جرح قاتل. وبصلابة البطل بقي في مركبته ومات بسبب جرحه عند غروب الشمس، كما تنبأ النبي، ولحست الكلاب دمه. أخذ جسده إلى السامرة ودُفن هناك. لقد هلك أخاب (أم ٢١:٢٨). يذكرنا دكتور (جيمس كوبر) بالقول:

معاملات الله مع أخاب توضح عدم رغبة الله أن يهلك أي واحد (٢ بط ٣:٩). فكان يقدم له تحذيرات يومية (١مل ١٧:١)، عن طريق القحط غير العادي المتنبأ عنه لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر (١٨:٥، يع ٥:١٧)، وعن طريق أكثر المعجزات شداً للانتباه (ع ٣٨)، وبالتوبيخ الصارم (٢١:١٩)، وبإصدار عقاب رحيم عند ظهور أول بوادر للتوبة (ع ٢٩)، وبالنجاح العسكري المضاعف غير العادي (١مل ٢٠:٢٠)، ولكن العروض الإلهية لم تأت بنتيجة، وجاء خوف الشرير على أخاب (أم ١٠:٢٤).

أخـــزيـــا

(١مل ٢٢: ٥١، ٢مل ١:١٨)

الملك الذي فضَّل بعل زبوب على الله

ملك ابن أخاب وإيزابل، ثامن ملك لإسرائيل حوالي سنتين. وسار عامداً في خطوات والديه الشريرين وقلّد أيضًا طرق يربعام الوثنية. فيما يتعلق بشخصية هذا الملك الوثني، فهو ضعيف وغير محظوظ، فهو اسم على غير مسمى. فالكلمة «أخزيا» تعني «الذي يساعده الله» ولكن الاسم الحسن لايضمن الشخصية الحسنة. فقد عبد البعل وسجد له وأثار غضب إله إسرائيل.

اتبع أخزيا ثلاث مسيرات شريرة: والده الشرير، ووالدته الشريرة أيضًا، وطرق يربعام الوثنية القديمة. في السنة الثانية لملكة، ثار الموآبيون ضده ورفضوا دفع الجزية التي فرضها أخاب أبوه «عصى موآب على إسرائيل بعد وفاة أخاب». يبدو أن أخزيا كان أضعف من أن يقاوم.

جُرح أخزيا جرحًا خطيراً بسقوطه من الكوة في عليته التي في السامرة. وقد مرض نتيجة لهذه الحادثة، وكان ملازمًا للفراش، أرسل الملك رسلاً إلى بعل زبوب، إله عقرون فيما يتعلق بأمر شفائه، وجَّه ملاك الرب إيليا للقاء الرسل، ووبخهم لأنهم طلبوا معلومات من وثن كما لو لم يكن هناك إله في إسرائيل يمكن الاتصال به.

وأعلن النبي مصير الملك، ووصلت الرسالة إلى الملك المريض، الذي مات سريعًا عقب ذلك.

حاول أخزيا أن يعقد تحالفًا مع يهوشافاط، ملك يهوذا، لإحياء حركة مرور السفن القديمة بين عصيون جابر وترشيش، ولكن السفن تكسرت وفشل المشروع (١مل ٢٢:٤٨، ٢أخ ٢٠:٣٥-٣٧). إذا اشتركنا في خطايا الآخرين، فلابد أن نشترك في عقابهم أيضًا. إن الصلة مع الأشرار، مهما كانوا أثرياء وعظماء، يجب تجنُّبها (٢ كو ٦:١٤).

يـــــــورام

(٢مل ١:١٧، ٣، ٨، ٩)

الملك الذي قُتل بسهم أصاب قلبه

حيث أن أخزيا لم يكن له ابن، فقد خلفه يورام أخوه كملك على إسرائيل، المدعو أيضًا يهورام. هذا الملك التالي في معرض صور ملوك إسرائيل ملك لمدة ١١ سنة، واستمر يسير في طرق يربعام الشريرة وفي الطرق الشريرة

لوالديه الشريرين. ومع أنه تخلى، إلى حد ما عن عبادة البعل التي تبنّاها أبوه أخاب ودعمها بقوة، إلا أنه مارس أشكالاً أخرى من الوثنية، فقد أزيل تمثال البعل، ولكن عبادة البعل ظلت سارية برغم مجهودات الإصلاح غير الجادة التي قام بها يهورام.

إن هذا الملك المتناقض، الذي تجاهل نصيحة إليشع، وكان يريد أن يسمع عن معجزاته (٢مل ٣:١٣)، لم يبتعد أبداً عن تأثير أمه، إيزابل، التي كانت تعيش خلال مدة حكمه، والتي ظلت تتبع عبادة آلهتها الباطلة بكل القلب، كما كان ابنها غير موحَّد القلب في رغبته اتباع الإله الحقيقي، إن إزالة تمثال البعل يبدو أنه جذب إليشع النبي إلى يهورام، الذي كان يكن احترامًا عميقًا لتحذيرات ومعجزات النبي. خلال ملك يهورام حدث صعود إيليا إلى السماء، وشفاء نعمان السرياني، والإطاحة بجيش سوريا، والمجاعة المريعة في السامرة عندما كان يتم قتل الأطفال للحصول على الطعام، وإقامة ابن الشونمة من الموت. إن التحالف الوثيق بين يهوذا وإسرائيل الذي بدأ في عهد أخاب، استمر في عهد يهورام.

كان حدوث أزمة في سوريا يبدو وقتًا مناسبًا بالنسبة ليهورام ليحقق طموح والده، أي استعادة راموت جلعاد، واستطاع يهورام أن يستولى عليها بالاشتراك مع أخزيا ملك يهوذا، ولكنه جُرح في القتال، وتراجع إلى يزرعيل ليستعيد صحته. وترك ياهو، قائده في راموت جلعاد لمواصلة الحرب، ولكن بسرعة غير عادية، توجه إلى يزرعيل وقُتل يهورام في نفس قطعة الأرض التي استولى عليها أخاب بالخديعة من نابوت اليزرعيلي، والذي تم التهديد بقتله انتقامًا من بيت أخاب (١مل ٢١: ١٩، ٢٢).

إن المثل القائل: «من يجد زوجة يجد خيراً» لم ينطبق على حالة يهورام، لأن زوجته ابنة أخاب، كانت ذات تأثير على زوجها في الاتجاه الخاطيء.

ياهـو
(٢مل ٩-١٠: ٣٦، هو ١: ٤)
الملك الذي قام بوظيفة الجلاد سفّاك الدماء

خلال مدة حكمه التي وصلت ٢٨ سنة، كان ياهو يخوض في بحر من الدماء، وكان يواصل مهمته الدموية كما لو كان مغتبطاً بها. لا يعلّق الكتاب المقدس على الفظائع التي ارتكبها ياهو، ولكنه يبدو كما لو كان يمتدح غيرته ويبتهج بأن ما بدأه قد أكمله. ونحن لا يمكن أن نلتمس العذر لوحشية ملك إسرائيل، ولكننا ننظر إليها في منظورها الصحيح، فالله، في سبيل إتمام مقاصده، يستخدم الطغاة والأشرار كأدوات لتنفيذ قضائه العادل في الأرض.

أمر الله إيليا أن يمسح ياهو ليكون ملكًا على إسرائيل. إن الله كالملك الأعلى لإسرائيل ورب كل النفوس، له الحق المطلق في اختيار ياهو كأداة لصب جام غضبه على بيت أخاب والقضاء على عبادة البعل. وقد اُختطف إيليا قبل مسح ياهو، ولذا، وُكّلت المهمة لإليشع، الذي ذهب إلى راموت جلعاد وأجرى الطقس المقدس. ولكن الله، وليس إليشع، هو الذي مسح ياهو ملكًا. «هكذا قال الرب قد مسحتك ملكًا على إسرائيل». إن الأسباط العشرة على الرغم من حالتهم الفاسدة وانقسامهم، كانوا مازالوا يعتبرون شعب الرب (١مل١٩: ١-٨، ٢مل ٢: ١١، ١٩: ١-١٠).

كان ياهو يسوق بجنون، وهذا من علامات شخصيته، وكان يبتكر الإجراءات ليضع سيفه تحت رهن إشارة الرب،

ولكن يا للأسف، لم يكن هناك أي مسحة من خوف الله في المهمة القاسية لاستئصال أعداء الرب! لقد أخضع ياهو سيفه للرب وليس قلبه، وهو يمثِّل بذلك أولئك الذين على استعداد أن يقاتلوا لأجل الديانة، لا أن يسلكوا بموجبها، فلأجل إتمام مهمة العقاب التي قام بها على أكمل وجه، نال ياهو مكافأة أرضية لأجل خدمته الأرضية - فأبناؤه حتى الجيل الرابع جلسوا على عرش إسرائيل، وكانت أسرته هي الأسرة الوحيدة التي جلست على العرش مدة طويلة، ولكن بسبب عدم طاعته لله والأسلوب الوحشي الذي نفذ به مهمته الدموية، أصبح ياهو مكروهًا من الله وفي النهاية عاقبه الله الذي حرمه من الأراضي التي كانت خاضعه له، الواقعة شرق الأردن.

ياهو بن نمشي أجرى أولاً قضاء على بيت أخاب. وفي نابوت، اتهم يورام بآثامه الكبرى، واستل قوسه الذي كان يحمله معه دائمًا كرئيس للجيش، وضرب يورام في قلبه. وبناء على أوامر ياهو، ألقيت جثة يورام في حقل نابوت، الذي كان قد أخذه أبو يورام عنوة (٢مل ٩:١١-١٦).

ثم أمر ياهو بقتل أخزيا، ثم ساق مركبته بسرعة جنونية إلى يزرعيل ليتعامل مع إيزابل، كما أوضحنا بالتفصيل في دراستنا لهذه المرأة الشيطانية. قتل ياهو بعد ذلك كل أقارب أخاب وأصدقائه ورجال حاشيته والكهنة الكذبة الذين كانوا في يزرعيل (٢مل ١٠:١-١١). وبعد أن غادر السامرة، وفي منتصف الطريق تقريبًا، قابل ياهو العديد من أفراد العائلة المالكة في يهوذا، الذين بسبب تحالفهم مع عائلة أخاب، قتلهم دون شفقة.

وبينما كان يقود ياهو مركبته، صادف شخصًا غريبًا ربما ذكر الملك بإيليا العظيم - كان ذلك هو يوناداب، الرئيس العربي الصارم، ابن ركاب، الذي فرض قاعدة للسلوك على بنيه ألا يشربوا مسكراً ولا يسكنوا في بيوت (إر ٣٥) اكتشفت عين ياهو المتيقظة فيه، حليفًا فوريًا ولذا قال له: «هلم معي وانظر غيرتي للرب». فدخلا معًا السامرة، حيث أمر ياهو على الفور بقتل كل عبيد سلفه (٢مل ١٠:١٧، ٢ أخ ٢٢:٨).

في مهمته الرهيبة لتنفيذ القضاء على بيت أخاب، كان ياهو يخفي بعناية عداوته لعبادة البعل. والآن، فبمكر شديد، أعلن ولاءه لتلك العبادة الوثنية، وقد كانت غيرته للقضاء عليها أشد من غيرته للقضاء على بيت أخاب (٢مل ١٠:١٩).

كان ياهو يتبع خطايا يربعام، ومع ذلك أعلن عن اجتماع خطير لأجل البعل، دعي فيه كهنته وأنبياءه لذبيحة عظيمة للبعل في المعبد الكبير الذي أقامه أخاب وايزابل لهذا الصنم في السامرة. ترأس ياهو تقديم الذبيحة، وعند إشارة معينة دخلت فرقة من الجنود وقتلت كل الحاضرين وبذلك «استأصل ياهو البعل من إسرائيل» باسترجاع ملك ياهو، نلاحظ كيف كان مجرداً من الخوف، الخوف من الناس أو من الله، وقد مكنته طاقته، وحسمه، وجرأته، وانعدام الواعز الأخلاقي لديه، وتجُرده التام من الخوف، من تنفيذ مهمته الصعبة بدقة تتسم بشدة لا تلين ولو اتبع اجراءات أقل عنفًا لفشل في استئصال عبادة البعل من الأمة. كان إعلانه عن «غيرته للرب» ستاراً لإخفاء طموحه العالمي. إن ياهو «لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب إله إسرائيل من كل قلبه» وأي إعلان ديني كان مجرد تظاهر، لأن طهارة العبادة لم تكن في قلبه.

ولكون ياهو يؤدي مهامه في سرية تامة ويتسم بالقسوة والدموية، لذلك لم تكن الرحمة تعرف طريقها إلى قلبه. ومع أن ياهو دُعي وفق العناية الإلهية لتنفيذ أحكام الله العادلة ضد أعدائه، إلا أن ياهو، كجلاد، كان في إمكانه

أن يكون رحيمًا.

هناك موقف فظيع مشابه لموقف ياهو القاسي قدمه (بيرد) في «ثورة الهيجونوت» ففي رسالة كتبها الملك تشارلس التاسع، ملك فرنسا التعيس في ١٥٧٢ إلى البابا جريجوري الثالث عشر ليعلن عن قتل القديس بارثولوميو نقرأ:

«في غيرة محمومة لرب الجنود .. قضيت فجأة في مذبحة واحدة على كل هراطقة وأعداء مملكتي».

ومع أن فعلته هذه وافق عليها البابا، إلا أن العالم المسيحي كله الآن يمقتها ولا يقبل الاعتذار.

أحاطت المصائب بالسنوات الأخيرة من حكم ياهو والمذابح التي أسس عليها حكمة أثارت ردود فعل غاضبة وكانت السنوات الختامية للملك مثقلة بالمتاعب، وفيما بعد، أعلن هوشع العقاب الإلهي على أنعدام الرحمة في أفعال ياهو الدموية «بعد قليل أعاقب بيت ياهو على دم يزرعيل» (١:٤). وبتمسك ياهو بخطية يربعام، وخدمة أغراضه السياسية الماكرة، وعصيانه لأمر الله، فإنه جلب على نفسه قضاء الله، إنه لمن المريع أن تكون أداة في يد الله لعقاب أو توبيخ الآخرين، في حين يكون قلبك ويداك، ليست مطهرة من الخطية، بنعمته.

يهوآحاز
(٢مل ١٣)
الملك الذي طلب الله عندما تعرَّض للتجارب

إن عدداً كبيراً من الناس يصلُّون فقط عندما تحيط بهم التجارب. فهم ينسون الله في اليسر، ويطلبونه بشدة عندما يكفهر جو الحياة. وهكذا تتفاضل نعمة الله حتى أنه يستجيب لصوات يهوآحاز الحارة، وهو ملك آخر من ملوك إسرائيل، حكم لمدة ١٧ سنة، وقد صلى عندما أحاطت به المتاعب.

ويمكن أن نسرد قصة الملك بإيجاز. عندما خلف أباه ياهو، وجد يهوآحاز شعبًا بائسًا ذليلاً، فقد الكثير من الأراضي في الحروب مع ملك سوريا، حزائيل (٢مل ١٠:٣٢،٣٣). وعانت إسرائيل أيضًا من عداوة دمشق المستمرة (٢مل ١٣:٣،٤)، بالإضافة لذلك، كانت إسرائيل في مواجهة ضد عداوة مملكة يهوذا المجاورة لأي فرد من بيت ياهو.

وخلال حكم يهوآحاز، لم يكن خاضعًا فقط لحزائيل الذي أجبره على تقليص عدد جيوشه ودفع الجزية، إلا أن ظلمًا بينًا وقع عليه من بنهدد، الذي جعل إسرائيل، «كالتراب للدّوس» وبالإضافة لذلك كانت هناك خطية يهوآحاز نفسه، التي جلبت على إسرائيل غضب الرب أكثر مما كان في وقت ياهو. استمر يهوآحاز في عبادة الأوثان التي كانت في عصر والده، وهي عبادة العجل في بيت إيل ودان. وأحيا أيضًا عبادة عشيرة حول السواري، وهي نوع من الوثنية الكنعانية التي أدخلها أخاب (١مل ١٦:٣٣).

عندما لحقت المصائب الملك «تضرع إلى وجه الرب فسمع له الرب»، انحنى يهوآحاز أمام الرب ومزَّق ثيابه، علامة على التذلل في الكتاب المقدس. «سمعت صلاة الملك في الضيق، وأشفق الرب على إسرائيل بغض النظر عن الامتيازات التي كانت لهم، ووعدهم بمخلص» (٢مل ١٣:٥). ولكن على الرغم أن صلاة الملك لم تقابل باستجابة فورية، إلا أنها لم تكن عديمة الفائدة نهائيًا. في أحيان كثيرة تأتي استجابة الصلاة عندما يكون السائل قد مات وانتهى. لقد جاء «المخلص» الموعود به في شخص يوآش خليفة يهوآحاز، الذي أنقذ المملكة، وأعاد تدبير شئونها.

الدرس الذي نتعلمه من يهوآحاز أنه كلما زاد الانغماس في الخطية، أصبح الحساب الختامي عسيراً،

وتبع ذلك تراكم كبير للذنب (خر ٢٠ :٥). ولاشك أن إليشع الذي امتدت خدمته طوال مدة حكم يهوآحاز كان له تأثير كبير.

يـهـوآش
(٢مل ١٣: ١٠-٢٥)
الملك الذي أصبح مخلصًا

مع أن يهوآش الذي يُدعى أيضًا يوآش، حكم لمدة ١٦ سنة، إلا أن مجمل الأحداث في عهده مختصر. فقد اعتلى عرش إسرائيل أثناء مدة حياة والده، وقضى سنتين من الـ ١٦ سنة كملك بالاشتراك مع والده. إن هذا الملك الشجاع والشرير لم يكن سوي واحد من الكثيرين الذين ساروا في إثر خطوات يربعام الشرير، مؤسس المملكة.

إلا أن نداء هذا الملك المؤثر لإليشع المائت، كان جميلاً ومظهراً لمشاعر قلب ليس بعيداً تمامًا عن الله. على أي حال، فإن يهوآش ساند النبي الذي قاربت خدمته التي دامت ٦٦ سنة من نهايتها. عندما علم بمرض إليشع المسن، أسرع الملك الشاب إلى دوثان وأظهر تقديره للخدمة العظيمة التي قدمها النبي. وفي حديث مؤثر ، صاح الملك بحرارة قائلاً «يا أبي يا أبي. يا مركبة إسرائيل وفرسانها» أي أن إليشع نفسه كان بمثابة مركبات وخيول المملكة.

وكان الحديث عن السهام الثلاثة مثالاً يدل على ضربات يهوآش الثلاث لإنقاذ إسرائيل من ظلم مضطهديه. وهكذا أصبح الملك «المخلّص» الذي وعد به الله أباه، يهوآحاز، لأنه استرد من بنهدد، ملك سوريا، كل المدن التي أخذها حزائيل من أبيه، والأجزاء الأخرى التي اغتصبها ملوك سوريا.

يقول (وليام شو كالديكوت) :

«لم يعش يهوآش طويلاً بعد انتصاره المدوِّي، ولكنه ترك دولة دبَّت فيها روح الحياة، ووضع الأساس لحكم أعقبه رفع إسرائيل لأوج قوتها.

يرسم يوسيفوس ليهوآش صورة لشخصية تقية، ولكنه كسلفه، سار في طريق يربعام الأول، في السماح بعبادة العجول الذهبية، إن لم يكن بتشجيعها. ولذلك فإن المؤرخ يصف سلوكه بهذه العبارة «يعمل الشر» (٢مل ١٣:١١).

عند موت يهوآش، أُعتبر جديراً بالدفن في المقابر الملكية لملوك إسرائيل.

يربعام الثاني
(٢مل ١٤:٢٣-٢٩، عاموس)
الملك ذو الاسم المغلّف بالضباب

إن التأثير الشرير ليربعام بن نباط، يلقي بظل كئيب على كل تاريخ إسرائيل، فالملوك الذين جاءوا بعده أدينوا لسيرهم في الطرق الشريرة ليربعام الأول، الذي وحَّد الأسباط العشرة وجعلها مملكة واحدة.

إن دراسة الملك الذي أمامنا تثبت أنه كثيراً ما يتم تخطي الأحداث السياسية الكبرى. إن حكم يربعام الذي غطي فترة تزيد على ٤٠ سنة، وهي مدة أطول من مدة أي ملك آخر على إسرائيل، مضغوطة في عدد قليل من العبارات. ومن الناحية الأخرى، فتفاصيل الحياة الخاصة يتم التركيز عليها لأنها تظهر تلك الأشياء ذات الأهمية القصوى في نظر الله، والتي تعد معرفتها ذات أهمية بالغة لنا (راعوث، ١مل ١٧).

إن يربعام الثاني بن يوآش، كان الملك الثالث عشر لإسرائيل، والرابع في أسرة ياهو، وقد جاء إلى السلطة في قمة موجة الازدهار التي أعقبت سحق سيادة دمشق على يد أبيه. وإذ كان يربعام، شابًا وطموحًا، فقد صمم على خوض حرب ثأرية ضد دمشق، وفي غزوات أخرى، كانت

حالة العالم الشرقي التي تتمثل في الصراع بين أشور وأرمينيا، في صالح يربعام. وهكذا، فقد كان واحداً من «المخلِّصين» الذين وعد الله بهم إسرائيل في عهد يهوآحاز.

إن الملك لم يخلّص إسرائيل فقط من سوريا، وأخذ عاصمتها (عا ١:٣-٥، ٦:١٤)، ولكنه تممَّ أيضًا نبوة أخرى ليونان فيما يختص «برد تخم إسرائيل من مدخل حماة، إلى بحر العربة حسب كلام الرب» (٢مل ١٤:٢٣-٢٩). لقد حذر عاموس إسرائيل ألا يشعروا بالزهو لأجل حماة، لأنها سوف تكون نقطة البداية التي يهجم منها العدو «عا ٦:١٤». إن المملكة وصلت إلى قمة عظمتها في عهد يربعام.

إن مدة حكم يربعام الطويلة أعطته وقتًا ليجمع مالاً كثيراً من أراضيه الشاسعة. وقد مكنت خزائن السامرة المليئة بالأموال، يربعام من تحويل الأكواخ إلى «بيوت من حجارة منحوتة» (عا ٥:١١)، وبنى الملك لنفسه قصراً للشتاء وقصراً للصيف، ويقدم لنا عاموس صورة نابضة بالحياة للرفاهية التي كان الأغنياء يتمتعون بها (٦:٤-٦) ولكن الوفرة والعوز كانا يتواجدان جنبًا إلى جنب، كان فقراء الأرض يعانون الأمرَّين، حتى أن الانسان البائس كان يباع عبداً لأجل نعلين (عا ٢:٦، ٨:٦).

كان المفروض أن طول مدة الرخاء والتقاط الأنفاس من متاعب سوريا تقود إسرائيل إلى التوبة، ولكنهم لم يتوبوا وتبع ذلك عقاب سريع ونهائي، فقد ظلت عبادة العجل أداة لسياسة الدولة في بيت إيل. ووسط مثل هذا الثراء والنظام الاجتماعي، كان هناك نوع من الديانة، إلا أن الطقوس حلت محل الأعمال البارة.

وقد هاجم عاموس استبدال هذه بتلك (٥:٢١) وازدهرت العبادة الباطلة التي كانت تقام في معابد في الجلجال وبئر سبع (عا ٤:٤، ٥:٥، ١٤:٥).

وقرب نهاية حكم يربعام، قرر أن يضيف المزيد من الأبهة والفخامة للمعبد المركزي في بيت إيل ليتمشى مع زيادة ثراء الأمة. أُمر عاموس أن يذهب إلى هناك ويعلن أن المقادس سوف تخرب، وأن الله سوف يقوم على بيت يربعام بالسيف.

وقد بالغ أمصيا الكاهن من نبوة عاموس، بخصوص عقاب الملك (عا ٧:٩-١٣).

إن مساحات شاسعة من الأرض التي استردها يربعام كان قد تنبأ عنها يونان من قبل (٢مل ١٤:٢٥).

مات يربعام بعد حكم استمر ٤١ سنة، دُفن في موكب رسمي في مقابر ملوك إسرائيل، وخلفه ابنه الضعيف، زكريا، بعد فترة توقف لمدة ١١ سنة، والتعبير الذي قاله أمصيا «لا تقدر الأرض أن تطيق كل أقواله (عاموس)» يوحي بالموقف الحرج الذي كانت عليه البلاد، والذي انتهى بالفوضى الحقيقية لبعض الوقت بعد موت يربعام، مما نتج عنه السقوط السريع للمملكة.

بالنسبة للأرض التي أضيفت لرقعة إسرائيل على يد يربعام، فهناك مثل ياباني يبدو مناسبًا في هذا المقام:

«من يسرق الذهب يوضع في السجن
ومن يسرق الأرض يُنصَّب ملكًا».

زكــريــا
(٢مل ١٠:٣٠، ١٤:٢٩، ١٥:٨-١٢)
الملك الذي اغتيل علنًا

زكريا ابن وخليفة يربعام الثاني، كان آخر سلالة ياهو، وبموته يكون بيت ياهو قد انقرض حسب النبوةُ، عاش الملك مدة كافية فقط لإتمام وعد الله لياهو (٢مل ١٠:٣٠، ١٣:٨). يقول ر.ك هاريسون إنه «بموت زكريا،

انتهت أسرة ياهو وأقدمت البلاد على فترة من القلاقل الأهلية والصراع، شبيهة بالفترة التي كانت تميز بداية بيت ياهو».

إن زكريا الذي حكم فقط لمدة ٦شهور، حصل على ميراث فاخر، ليس فقط كمملكة مكوَّنة من عشرة أسباط، بل دمشق أيضًا الولاية السورية التي أخضعها أبوه.

يا للأسف، ففي ثرائه غير المعتاد وعظمة مركزه كانت مأساته! فليس هناك الكثير من الأيدي الثابتة بالدرجة الكافية لتحمل كأسًا ممتلئة.

لابد أن أيام زكريا كانت مغلَّفة بضباب ذكرى النبوة التي كان يعرفها، لكونه رابع جيل لياهو يجلس على عرش إسرائيل، وأن عاموس كان قد أعلن أن السيف سوف يقوم ضد بيت يربعام، ولذا فبعد ٦ أشهر مضطربة على العرش فقط، فتن شلوم المطالب بالعرش ضد زكريا وقتله علنًا. ومن الواضح أن الشعب تعاطف مع الجريمة، وكان في ذلك عَرَضًا من أعراض الفساد المتفشِّي، فساد الأخلاق الذي جعل الشعب ينظر إلى ملكهم وهو يُقتل دون مبالاة. ومن المرجح أن هوشع، الذي كان يتنبأ في وقت زكريا، قد أشار إلى هذا الاغتيال عندما أشار إلى إعطاء الملوك وأخذهم (١٣: ١٠، ١١).

في مدة حكمه الوجيزة قدم الملك مساندة لعبادة يربعام غير المشروعة، لقد رفع من شأن عبادة العجل التي كانت قد أصبحت الديانة الرسمية للدولة. إن زكريا ملك آخر من ملوك إسرائيل الأشرار، الذين عملوا الشر في عيني الرب.

شلُّوم

(٢مل ١٥: ١٣-١٥)

الملك الذي قتل بعد فترة حكم مدتها شهر واحد

إن شلوم الملك الذي اعتلى العرش بالمؤامرة والقتل، قُتل أيضًا، وهو مثال على قانون العقاب الواضح في الكتاب المقدس إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا (مت ٢٦: ٥٢، غل ٦: ٧). كل ما نعرفه عن شلوم أنه كان ابن يابيش، وأنه ملك شهر أيام، كما يقول الهامش، عندما قُتل زكريا وأمسك بزمام السلطة في المملكة، تمم بذلك النبوة بأن أسرة ياهو سوف تبقى فقط إلى الجيل الرابع، قُتل على يد منحيم أحد قادة جيش زكريا المرابط بالقرب من السامرة، الذي، عندما سمع بمقتل زكريا، أسرع إلى العاصمة مصممًا على السيطرة على الحكم، وهذا ما فعله بعد سحق كل معارضيه لتوليه الحكم. كم يعتبر تاريخ إسرائيل دمويًا، حيث أن نظم الحكم المتعاقبة قد تأسست على سفك الدماء.

منحيم

(٢مل ١٥: ١٦-٢٢)

الملك الذي كان سيئًا وقاسيًا إلى حد بعيد

كان منحيم حاكمًا شريرًا هو الآخر وقاسيًا إلى درجة مهولة، كانت شخصيته مجرَّدة من الصفات الملكية الحقيقية. هو بن جادي والملك السادس عشر على إسرائيل، وملك لمدة ١٠ سنوات، وكان حاكمًا قويًا وقوي الإرادة، استطاع أن يثبت عرشه، بيد من حديد، يقول ر.ك هاريسون: «إن طموحات منحيم الحربية قد تم سحقها على يد أشور التي تزايدت قوتها مرة أخرى، اعتبر منحيم أنه من الحكمة أن يصبح عبداً لتغلث فلاسر الثالث، الذي وصف انتصاره في حولياته هكذا:

«أما عن منحيم، فقد تملَّكه الرعب ... هرب وخضع لي... تلَّقيت منه هدايا تشتمل على الفضة، وثياب صوفية ملونة، وثياب من الكتان».

ارتكب منحيم فظائع وحشية، لأنه ضرب وشق

الحوامل، مقلداً الفظائع التي تدل على انعدام المبادىء للملك حزائيل السوري (٢مل ٨:١٢). ومن الناحية الدينية، لم يترك خطايا يربعام، ربما في بداية حكمه كان يلتزم بمبادىء أفضل (زك ١١:٤-٨). ومع ذلك فهو لم يحاول أن يقوم بأي إصلاح ديني قومي، وكالذين سبقوه اتبع عبادة عجول الذهب، ومثلهم أيضًا استحق التوبيخ القاسي للمؤرخيين. يصور كل من هوشع وعاموس الفساد الأخلاقي المستشري في إسرائيل في ذلك الوقت، مات منحيم في سلام على خلاف الملكين أو الثلاثة الذين قبله.

فقحيا

(٢مل ١٥:٢٣-٢٦)

الملك الذي قتل على أيدي فرقة عسكرية

ينطبق القول تمامًا على عدد كبير من ملوك إسرائيل بأن الرؤوس التي تحمل التيجان هي رؤوس قلقة. ففي خلال سنتين من اعتلائه العرش، فإن فقحيا، ابن وخليفة منحيم، قُتل بطريقة بشعة على يد فرقة حربية. وهكذا فهو سابع ملك إسرائيلي يواجه الموت عن طريق العنف، والآخرون كانوا ناداب وإيله وتبني ويهورام وزكريا وشلوم.

لم يستطع فقحيا إرضاء الأشوريين كما فعل أبوه. عندما اعتلى العرش، «كان محاطًا بالخطر الذي يصحب خليفة حاكم قوي بدرجة غير عادية، في بلد ليس فيه قانون ثابت للخلافة» ومن الجائز تمامًا أن فقحيا فضَّل سياسة والده بالخضوع لسلطة أشور والتبعية لها على مقاومتها.

في السجل الموجز لمدة حكم فقحيا القصيرة، لاشيء يقال عن صفاته الشخصية سوى حقيقة أنه كالملوك الذين سبقوه، تمسَّك بنظام العبادة الزائفة التي أدخلها يربعام الأول، المتآمر الأول ضد فقحيا. كان فقح، القائد العسكري الذي ينفِّذ أوامره قد دخل القصر مع خمسين رجلاً من بني الجلعاديين، وقُتل الملك مع حرسه الخصوصي، أرجوب وأريه، هذا العمل الدال على الخيانة والعنف يتفق مع كل ما يخبرنا إياه هوشع النبي عن الحالة الداخلية في إسرائيل في ذلك الوقت. «أكلوا قضاتهم، جميع ملوكهم سقطوا» (٧:٧). ويعلل يوسيفوس قصر مدة السنتين لفقحيا بأنه قلَّد قسوة أبيه.

فقح

(٢مل ١٥: ٢٥، ٢٧: ٣٨)

الملك الذي اتضع ولكن التحدي ظل يملأه

عندما أمسك هذا الملك الثامن عشر من ملوك إسرائيل بزمام السلطة بقتل سلفه، حاول جاهداً استعادة المكاسب السياسية لإسرائيل التي عانت كثيراً من الحروب الأهلية والقوانين الأجنبية الصارمة (٢مل ١٤:١٩-٣١)، ووحد قواه مع الآخرين ضد أشور، وتحالف فقح مع رصين ملك دمشق، وتحرك ضد يوثام ملك يهوذا (٢مل ١٥:٣٧،٣٨) وقتل ١٢٠,٠٠٠ في يوم واحد، ولكن مؤامرة الملك مع رصين لاستبعاد نسل داود وجلوس «إبن طبئيل» السوري على عرش يهوذا قد أحبطت طبقًا لقصد الله ووعده.

كل خطط بن رمليا هذا، الذي ملك لمدة ٢٠ سنة باءت بالفشل، ولأنه تُرك دون أن يبقى معه سوى ثلث مملكته، فإن فقح الذي كان مكروهًا من قبل رعاياه، اتضع ولكنه كان لايزال مليئًا بالتحدي، دُبِّرت مؤامرة لاغتيال فقح، وهوشع الذي جعله تغلت فلاسر عبداً له، كان الأداة المختارة لقتل فقح (٢مل ١٥:٣٠)، والسجل التالي موجود في الحوليات الأشورية «خلعت ملكهم فقح من على العرش وأجلست هوشع ملكًا بدلاً منه ... تلقيت منهم هدايا من الفضة».

يلاحظ عدم وجود أي إشارة للسلوك الديني لفقح في تاريخ حياته. من الواضح أنه اتبع المسار الشرير للملوك السابقين، وقد شعر المؤرخ أن تأثير فقح كان ملحوظًا وقد أشار إليه إشعياء، الذي كان معاصراً للملك فقح، عدة مرات (٧:١-١٠:٤).

هـوشــع
(٢مل ١٥: ٣٠، ١٧)
الملك الذي كان دبلوماسيًا ماهرًا

إن هوشع بن إيله والملك التاسع عشر والأخير لإسرائيل، كان في الحقيقة واليًا تابعًا لأشور، وكان يجلس على عرشه بشرط أن يكون سلوكه منضبطًا.

كان الوقت وقت ثورة اجتماعية وتغيير في الأسرات، وقد قُتل آخر خمسة ملوك، وكان هوشع نفسه، واحداً من القتلة، كانت المملكة التي يحكمها هوشع ليست سوى ظل باهت لما كانت عليه من قبل، حيث أن تغلث فلاسر، قد حمل إلى السبي معه العديد من أسباط الشمال، يقدم لنا النبي هوشع صورة واضحة للسياسات التي كانت سائدة في عصره، والتغييرات التي طرأت على الأشياء (٤-١٤).

وُضع هوشع كحاكم تابع لقوة أجنبية على مملكة منكمشة وضعيفة، عندما مات تغلث فلاسر وخلفه شلمنأسر الخامس. حاول هوشع، كوطني مخلص، أن يتوقف عن دفع الجزية لأشور وكوّن تحالفات سرية مع سباكو (سوا) ملك مصر.

وبسبب هذه الخيانة أودع شلمنأسر هوشع في السجن (٢مل ١٧:٤-١٦)، وحاصر السامرة لما يقرب من ثلاث سنوات، وقبل أن تسقط، خلف شلمنأسر سرجون الثاني، الذي أطاح بمملكة إسرائيل وأخذ أسباط الشمال إلى أشور، وبافتخاره المعهود قال سرجون: «أنا حاصرت واستوليت على السامرة وحملت ٢٧,٢٩٠ من أفراد الشعب الساكنين هناك. وجمعت ٥٠ مركبة لنفسي، وتركت بقية ثروتهم ليأخذها الجنود».

بهذا السبي يختفي هوشع من تاريخ الكتاب المقدس.

يصوِّر هوشع النبي غزو السامرة واستبعاد الملك تصويراً رائعًا «السامرة ملكها يبيد كغثاء على وجه الماء». صور إشعياء أيضًا الاستيلاء السريع على السامرة من قبل شلمنأسر وسرجون «ويكون الزهر الذابل جمال بهائه الذي على رأس وادي السمائن كباكورة التين قبل الصيف التي يراها الناظر فيبلعها وهي في يده».

إن هوشع، الدبلوماسي الماهر الذي ملك لمدة ٩ سنوات، قيل عنه إنه «عمل الشر في عيني الرب ولكن ليس كملوك إسرائيل الذين كان قبله» والعبارة الوصفية هنا لا تعني أنه كان إنسانًا صاحب مبادىء سامية أو شخصية لاغبار عليها، إنها تعني ببساطة أنه لم يعط موافقة رسمية على عبادة العجل أو يبرزها كما فعل الـ ١٨ ملكًا الذين سبقوه، حمل تغلث فلاسر العجل الذهبي من دان، وشلمنأسر العجل الآخر من بئر سبع، فلم يعد لهذه العبادة الوثنية الجاذبية التي كانت لها (هو ١٠:٥،٦).

يقول و. شو كالديكوت: «كانت هذه هي النهاية المخزية لهذه السلسلة من الملوك، وفي كل تقلبات الزمن طوال قرنين وربع، لم يتفق ملك واحد منهم مع المشيئة الإلهية أو يدرك أن الصالح الحقيقي للدولة وكرامتها أساسه العبادة المخلصة للرب».

يركِّز المؤرخ على الأسباب الأخلاقية لكارثة السبي (٢مل ١٧:٧-٤١). إن مطالبة الله بالولاء الكامل للشعب له تُبنى على حقيقة أنه قد حررهم من العبودية في مصر.

ولكن مفدييه، خصوصًا الأسباط العشرة، قد أصبحوا متهمين بارتكاب خطيتين قوميتين:

١- العبادة الوثنية الخاطئة - عبادة آلهة أخرى

٢- الشكل الوثني لعبادة الله الذي يتخذ شكل ثور كما أدخلها يربعام الأول.

لقد فقدت السمة المميزة للأمة عن طريق السبي، وعلى الرغم أن الأرض لم تخل تمامًا من سكانها اليهود، إلا أن أولئك الباقين فقدوا هويتهم وطابعهم المميز بتأثير جيرانهم الوثنيين. عاد بقية من يهوذا والأسباط العشرة من السبي بقيادة زربابل وعزرا ونحميا، ومنذ نهاية ملوك اليهود، أصبح الشعب «بلا ملك» (هو ٣:٤).

وباسترجاع تاريخ مملكة الشمال، يمكن أن نذكر الحقائق التالية:

* بالرغم أن بعض ملوك يهوذا قيل عنهم هذه العبارة «وفعل المستقيم في عيني الرب» إلا أنها لم تُذكر مرة واحدة عن أي ملك من ملوك إسرائيل، قيل عن ملك واحد فقط، هو يهوآحاز، أنه «طلب الرب» وتحت ضغوط قوية، وفي وقت شدة حقيقية.

* كانت عبادة الأوثان هي السمة المميزة لعهود ملوك إسرائيل من أول إلى آخر ملك. والعبارة التي تتردد كثيراً «سار في طريق يربعام» تثبت كيف أن أول ملك لإسرائيل صبغ المملكة بلون ظل يمثّل طابعًا لها طوال تاريخها كله. وإذا نتبع انهيار وسقوط إسرائيل، نجد مثالاً بارزاً على العواقب الوخيمة للخطية، زكريا يُقتل بيد شلوم - شلوم يقتله منحيم - فقحيا يغتال بيد فقح.

* إن أطول مدة حكم كانت ليربعام الثاني، وأقصرها لزمري - فالأولى دامت ٤١ سنة، والثانية لم تدم سوى ٧ أيام، ويلاحظ أن ملكين كانا يحملان اسم يربعام، وهناك أسماء أخرى متشابهة:

* خامس ملك ليهوذا وتاسع ملك لإسرائيل كانا كلاهما يدعيان يربعام، سادس ملك ليهوذا وثامن ملك لإسرائيل، كان يسميان أخزيا، الملك السابع عشر ليهوذا والملك الحادي عشر لإسرائيل كانا يدعيان يهوآحاز، ثامن ملك ليهوذا والملك الثاني عشر لإسرائيل كان يدعيان يهوآش.

* سفرا الملوك يقدمان بنوع خاص تفاصيل تاريخ ملوك إسرائيل المكون من ٨ أسرات، كان مؤسسوها هم يربعام وبعشا وعمري وياهو وشلوم ومنحيم وفقح وهوشع.

* دامت مملكة إسرائيل أو الأسباط العشرة حوالي ٢٥٠ سنة بقيادة ١٩ ملكًا، وانتهت بتدمير عاصمتها، السامرة على يد الأشوريين حوالي ٧٢٢ ق.م.

* حدثت الإطاحة بمملكة يهوذا بعد حوالي ١٣٠ سنة من نهاية مملكة الشمال.

* وبذلت خلال هذه الفترة محاولتان كبيرتان لإبعاد الشعب عن عبادة الأوثان، ومع ذلك لم تكن التوبة عميقة بالدرجة الكافية وعلى الرغم من خدمة إشعياء وإرمياء، إلا أن المملكة لقيت مصيرها المحتوم. شهد صموئيل انتهاء عصر الحكومة الإلهية وقدوم الملكية، وشهد إرميا نهاية الملكية وقدوم عصر التبعية، ورأى بولس نهاية اليهودية وقدوم المسيحية.

* على الرغم أن ملوك الفترة الأخيرة من مملكتي الشمال والجنوب كانوا يهوداً، إلا أنهم كانوا يحتفظون بعروشهم بناء على إرادة قوتين أجنبيتين: مصر وبابل، كان الملوك الوثنيون العظام هم شلمناصر وسنحاريب ومردوخ وآسرحدون والفرعون نخو ونبوخذنصر، ومازالت سجلاتهم محفوظة في المتحف البريطاني.

تقدم القائمة التالية التي كتبها فاوست في دائرة المعارف الكتابية الخاصة به، فترات الحكم المعاصرة

طول مدة الحكم بالسنوات		ملوك إسرائيل	التاريخ ق.م	ملوك يهوذا
٢٢		يربعام الأول	٩٧٥	رحبعام
	١		٩٥٨	أبيا
			٩٥٥	آسا
٢		ناداب	٩٥٤	
٢٤	٢	بعشا	٩٥٣	
٢		إيلة	٩٣٠	
٧ أيام	٣	زمري	٩٢٩	
١٢		عمري	٩٢٩	
٢٢		أخاب	٩١٨	
	٤		٩١٤	يهوشفاط
٢		آخزيا	٨٩٨	
١٢		يهورام	٨٩٦	
			٨٩٢	يهورام
			٨٤٥	أخزيا
٢٨		ياهو	٨٨٤	
			٨٧٨	يهوآش
١٧		آحاز	٨٥٦	
١٦		يهوآش	٨٤١	
			٨٣٩	أمصيا
٤١	٥	يربعام الثاني	٨٢٥	
			٨١٠	عزرا أو عزيا
٦ شهور		زكريا	٧٧٣	
١ شهر	٦	شلوم	٧٧٢	
١٠	٧	منحيم	٧٧٢	
٢		فقحيا	٧٦١	
٢٠	٨	فقح	٧٥٩	
			٧٥٨	يوثام
			٧٤٢	آحاز
٩	٩	هوشع	٧٣٠	
٢٤١ سنة				
			٧٢٦	حزقيال
٧ شهور ٧ أيام		أخذت السامرة	٧٢١	
			٦٩٨	منسى
			٦٤٣	آمون
			٦٤١	يوشيا
			٦١٠	يهوآحاز
			٦١٠	يهوياقيم
			٥٩٩	يهوياكين
			٥٩٩	صدقيا
			٥٨٨ أو ٥٨٧	أخذت أورشليم

يهوذا، من بداية تأسيس المملكة، دامت ٤٨٧ سنة. لاختلاف بين مجموع التواريخ ٢٥٤ وطول مدة الحكم ٢٤١ (كلنتون) من المرجح أنه يرجع لاستخدام الكتاب للأرقام الصحيحة دون حساب الشهور. لابد أيضًا من حدوث التداخل في الحكم بين ملكين في وقت واحد على سبيل المثال ٨ سنوات بين فقح وهوشع.

لملوك المملكتين. ونحن يجب أن نضع في اعتبارنا المشكلات المتعلقة بالترتيب الزمني للأحداث في الكتاب المقدس في التعامل مع طول مدة حكم هاتين المملكتين.

بما أن إسرائيل كانت تمتلك كنعان كأرض الميعاد بالنسبة لها، فقد يكون المفيد أن نستعرض باختصار هنا ما يسجله العهد القديم عن

كنعان وملوكها

كانت كنعان تقريبًا مركز العالم المتحضِّر وقتئذ عندما وضع الله شعبه هناك، والذين أعطى الله لهم أنبياءه، حتى يكونوا في مركز متميز، لكي يقدموا الاستنارة الإلهية للعالم (مز ١٤٧: ١٩، ٢٠، رو ٣: ٢).

أخذت كنعان اسمها من ابن حام وأخي مصرايم أو مصر (تك ١٠: ٦)، وهي وصف عام للأمم التي تقطن البلاد من البحر المتوسط في الغرب إلى الأردن في الشرق، قبل احتلال إسرائيل للأرض. يقول ر.ك هاريسون: «حدود كنعان المذكورة في (تك ١٠: ١٩)، كانت تشمل على كل الأراضي التي كانت تقع غرب الأردن بين غزة وصيدون، على الرغم أن رسائل تل العمارنة كانت تعني بكنعان ساحل فينيقيا أساسًا. يوصف الكنعانيون بأنهم ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن» (عد ١٣: ٢٩)، وكنعان مستخدمة في العهد القديم بمعنى أوسع لتدل على كل فلسطين غرب الأردن (تك ١٢: ٥ إلخ). استقر الكنعانيون أولاً في فلسطين، في عهد صور وصيدون. ومن هناك انتشروا في كل الأرض. وحيث أن مؤسسيها من الأموريين والحثيين، فيطلق عليها «أرض الكنعانيين» (خر ١٣: ١١)، وأيضًا «أرض الحثيين» (يش ١: ٤).

ويذكر إشعياء أن العبرية هي «لغة كنعان» (١٩: ١٨).

كانت كنعان في وقت من الأوقات أقليمًا مصريًا، وفي وقت آخر، كانت تكوِّن جزءاً من الإمبراطورية البابلية. وكلمة «كنعان» تعني «عبد العبيد» أي أكثر العبيد ذلة (١مل ١٩: ٢٠، ٢١). قال الله «ملعون كنعان» أي ذريته (تك ٩: ٢٥)، لأنه رأى مقدمًا شرَّهم الذي بدأ بأبيهم حام. ومثل هذه اللعنة لم تؤثر في الأفراد طالما ظلوا أبراراً، لأن ملكي صادق وأبيمالك يبدو أنهما كنعانيان (تك ١٤: ١٨-٢٠، ١٥: ١٦، ٢٠: ٦).

كانت العقائد الدينية وآلهة بابل مرتبطة بعقائد وآلهة الكنعانيين البدائيين، فقد غزت آلهة وآلهات بابل كل الأرض. كان الناس يعبدون آلهتهم «على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء» (تث ١٢: ٢)، يقول هاريسون: «كما يستدل من أساطير أو جاريت قديمًا، كانت ديانة الشعوب الكنعانية شكلاً ساذجًا وممسوخًا من أشكال تعدد الألهة الطقسية. كانت مرتبطة بعقيدة عبادة الخصوبة الحسية، وبنوع خاص من النوع الذي يتسم بالعربدة الجنسية، والتي تثبت أنها أكثر تأثيراً من أي ديانة أخرى من ديانات الشرق الأدني التي تمجد الطبيعة.

كانت سدوم وعمورة في وسط كنعان، وهي حقيقة، تضاعف من ذنوب الكنعانيين، الذين لم يأخذوا حذرهم من عقابها بتجنُّب خطاياهما (تك ١٩: ٢٣-٢٥، لا ١٨: ٢٤، ٢٥، يش ١٠: ٤٠).

وعلى الرغم أن كنعان لم تكن إمبراطورية، إلا أنه كان لها «ملوكها» الذين كانوا مضطرين لدفع الجزية للأمم القوية المحيطة بهم مثل بابل. كانت الأراضي التي يحكمها هؤلاء الملوك صغيرة حقًا، فلم تكن تزيد مساحتها عن القرى، وعلى سبيل المثال، كانت عاي - حيث فشل يشوع في محاولته الاستيلاء عليها ثم فتحها بعد ذلك - يسكنها ١٢,٠٠٠ شخص فقط (يش ٨: ٢٥) لم تكن كنعان أكبر كثيراً من بريطانيا أو ثلث ولاية تكساس. ومع أن ملوكها كانوا غير ذي أهمية، إلا أنهم يستحقون مكانًا في دراستنا

الشاملة لملوك الكتاب المقدس.

إننا مدينون للسفرين التاريخيين يشوع والقضاة لكي نستمد منهما معلوماتنا عن التعرف على تدمير ملوك كنعان، والذين يجب وضعهم في قائمة ملوك الكتاب المقدس الذين لا إسم لهم، وهم يشكلون عدداً كبيراً (انظر رؤ ١٧: ١٠، ٢١: ٢٤ إلخ). دعنا نلقي نظرة على هؤلاء الملوك، كما يظهرون في سفري يشوع والقضاة.

أدونى صادق، ملك أريحا (يش ١٠: ١، ٣)

بسبب انزعاج هذا الملك من التقرير الذي يقول إن جواسيس يشوع قد تجسسوا أرضه، فإنه ارتعب هو وشعبه خوفًا من غزو إسرائيل، وفعلاً تم القضاء على الملك والشعب وسوِّيت المدينة بالأرض، وكانت اللعنة تلاحق كل من يحاول إعادة بنائها.

جاء ذكر كل ملوك الأموريين وملوك الكنعانيين معًا (٥: ١)، على اعتبار أن هذين الشعبين الرئيسيين كانا يمثلان بقية الشعوب. ثم عُلقَّ ملك عاي على خشبة حتى وقت المساء، تمامًا كما مات ملك أورشليم (٨: ٢، ٢٩، ١٠: ١) يقول اليكوت إنه من المحتمل أن «كليهما عُلقًا على نفس الخشبة، كل بدوره، كلعنة من الله» (تث ٢١: ٢٢، ٢٣). ولكن عندما نقرأ عن هذه المعاملة لأعداء يشوع، لايسعنا إلا أن نتذكر يشوعنا الأعظم، الذي تمم لعنة الله في شخصه، وأشهر «الرياسات والسلاطين» ظافراً بهم جهاراً على صليبه (أنظر إس ٩: ١٠، ١٣).

ذُكر أن ملوك الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين قد اجتمعوا معًا للصراع الأخير مع يشوع المنتصر (٩: ١-١٢)، قارن اتحادهم «بنفس واحدة» باتحاد التلاميذ في الصلاة (أع ١: ١٤) يمثل تحالف الملوك الخمسة مرحلة مثيرة (١٠: ١-٢٧).

كان هؤلاء الملوك:

ادوني صادق، ملك أريحا

يافيع، ملك لخيش

دبير، ملك عجلون

هوهام، ملك حبرون

فرآم، ملك يرموت

كانت المعركة قاسية ودموية بتجمع هؤلاء الملوك، ولكن معجزة وقوف الشمس ساكنة في مكانها، ساعد يشوع على إحراز النصر الكامل على أعدائــه، تم القضاء على القوات المشتركة لهــؤلاء الملوك، وتم الإمساك بالملوك الخمسة الهاربين في مغارة، والتي تم دفنهــم فيها بعد تعليقهم على خمس خشب (١٠: ٦-٢٧).

وفي نفس اليوم قاسمهم ملك مقيدة نفس المصير (١٠: ٢٨) وسقط أيضًا ملك لبنة. وملك دبير أمام يشوع (١٠: ٣٠، ٣٩، ٤٢). وقُتل هورام، ملك جازر الذي جاء لمساعدة لخيش (١٠: ٣٣). ثم نأتي إلى تحالف كونفدرالي آخر للملوك في مواجهة يشوع المنتصر

يابين، ملك حاصور، ملك الكنعانيين أيضًا (١١: ١)

يرى بعض الكُتَّاب أن يابين - ملك حاصور، وملك كنعان (قض ٤: ٢، ٢٣، ٢٤) هو اسم لأسرة كفرعون وهيرودس - في كلا الموضعين نجد يابين، وفي كليهما يوجد ملوك تابعون (يش ١١: ١٨، قض ٥: ١٩)، في كليهما كانت المركبات شيئًا مألوفًا، وفي كليهما كان الإطار العام للموقف واحد، وترد نفس الأسماء في قائمة الملوك المهزومين (١١: ٢١، ٢٢). في القتال مع يابين ملك كنعان، كان القتال صعبًا أو «ازداد صعوبة مع مرور الوقت» كانت معركة قيشون بداية الإنقاذ الكامل لإسرائيل من نير الكنعانيين.

عندما ترنَّمت دبورة في أغنية الانتصار «اسمعوا أيها

الملوك» (قض ٥:٣) ربما كانت تشير للملوك الذين تحالفوا مع يابين. لم يكن هناك ملوك أو أمراء في إسرائيل في ذلك الوقت، ولذا فالنداء ربما كان موجهًا لـ «ملوك الأرض» كما في (مزمور ٢:١٠).

اجتمع معًا يوباب ملك مادون مع ملك شمرون وملك أكشاف وملوك الجبل والسهل والوديان (يش ١١:١-٥) أو «اجتمعوا وفقًا لميعاد» كما تعني اللغة العبرية، لتدبير حملة ضد عدوهم المشترك، إسرائيل، ولكن عند مياه ميروم، هُزموا هزيمة نهائية. كانت حاصور رأس العديد من الممالك ولقيت هي وملوكها أسوأ عقاب (يش ١١:١٠-٥). أخُذ هؤلاء الملوك الصغار وقُتلوا في معركة دامت حوالي سبع سنين. وبعض الملوك الذين فقدوا ممتلكاتهم لصالح إسرائيل هم:

سيحون، ملك الأموريين (انظر تث ٢:٣١،٣٧). كان ملك الأموريين بالمولد، ولكنه ملك حشبون بالغزو فقط (قض ١١:١٩، يش ١٢:١-٧).

عوج، ملك باشان (تث ٣:٣-٩، يش ١٣:٣١)، كان هذان ملكي الأموريين اللذين طردهما الله من الأرض (يش ١٢:٢٤).

وبتسجيل يشوع للأرض التي فتحها، فهو يذكر ٣١ ملكًا أخضعهم إسرائيل (١٢:٨-٣٤)، وبترتيب الفتح، فهناك يُحسبان لموسى، و٣١ ملكًا ليشوع، فيكون المجموع ٣٣ ملكًا (يش ١٢:٧،٢٤). الملكان اللذان قتلهما موسى يشار إليهما شخصيًا بأنهما أعظم بكثير من جميع الملوك المذكورين في سفر يشوع. في سفر المزامير، نجد سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان (يش ١٢:٢٤) مذكورين بالاسم، أما الباقون فيشار إليهما بعبارة مجملة «كل ممالك كنعان» (مز ١٣٥:١١،١٢،١٣٦:١٩،٢٠) وهاك القائمة التي ذكرها يشوع للملوك المهزومين:

ملك أريحا	ملك لبنة
ملك عاي	ملك عدلام
ملك أورشليم	ملك مقيدة
ملك حبرون	ملك بيت إيل
ملك يرموت	ملك تفوح
ملك لخيش	ملك حافر
ملك عجلون	ملك أفيق
ملك جادر	ملك لشارون
ملك دبير	ملك مادون
ملك جاور	ملك حاصور
ملك حرمة	ملك شمرون مرأون
ملك عراد	ملك اكشاف
ملك تعنك	ملك دور في مرتفعات دور
ملك مجدو	
ملك قادش	ملك جوبيم في الجلجال
ملك يقنعام في كرمل	ملك ترصة

إن كل هذا الحشد من الملوك «الواحد والثلاثين»، الذين لم تذكر أسماؤهم يجب إضافتهم للملوك الآخرين غير المعروفين في الكتاب المقدس، والكتاب صامت إزاء هويتهم والحقائق المرتبطة بحياتهم ومدة حكم كل منهم، ربما لم يفعلوا شيئًا جديراً بالذكر، ولذا فإنهم يمرون أمامنا غير معروفين، دون أن يُحتفي بهم ودون أن يُكرموا. ويلاحظ أن «الأمراء» (٢١:١٣) هم الرؤساء الممسوحون، ويدعون «ملوكًا» (عد ٣١:٨).

وفي سياق ترديده للمزايا والانتصارات التي حققها الله لإسرائيل، يتحدث يشوع عن المصير الذي لحق ببالاق ملك موآب حين حارب إسرائيل (يش ٢٤:٩).

والكتاب لا يخبرنا عن الوقت الذي قاد فيه جيشًا ضد إسرائيل.

وعندما نأتي إلى سفر القضاة، وهي الفترة التي لم

يكن فيها ملك في إسرائيل، وكان كل واحد يفعل ما يحسن في عينيه، نجد القصة المحزنة لشعب الله وهم يسلَّمون لأعدائهم بسبب ابتعادهم عن الله. ومع ذلك فعندما تابوا توبة حقيقية، أقام لهم الله قضاة أو مخلِّصين لإنقاذهم. وعن الملوك في هذا السفر التاريخي، نجد:

أدوني بازق (١: ٥-٧)

هذا لقب أكثر منه اسم، وهو يعني «رب بازق» كما يعني «أدوني صادق» «رب صادق» (يش ١٠: ١). إن العقاب الذي لحق بهذا الملك الكنعاني القاسي جعله يدرك أن الانتقام الإلهي قد حل به، لأن الرب «إله مجازاة يكافيء مكافأة» (لمزيد من الأمثلة على الجزاء انظر الشواهد التالية إر ٥١: ٥٦، ١صم ١٥: ٣٣، قض ١١: ١٥، مز ١٨: ١١، أم ٥: ٢٢، مت ٧: ٢ غل ٦: ٧، يع ٢: ١٣)

السبعون ملكًا الذين قطعهم أدوني بازق (يوسيفوس يقول إنهم ٧٢) من المحتمل أنهم كانوا حكامًا للمدن الصغيرة التي كان الملك قد استولى عليها لتوسيع رقعة أرض بازق، لقد كانوا ملوكًا صغاراً كأولئك الذين ذكرناهم من قبل. «كان لقب (ملك) يطلق بحرية على أي أمير وحتى على مشايخ القرى» كان هؤلاء الملوك المهزومون يعاملون معاملة مهينة قاسية، كالكلاب التي تأكل الفتات الذي يُلقي إليها (مت ١٥: ٢٧). والآن، يشرب أدوني بازق من نفس الكأس، ويعاني نفس المصير.

يقول اليكوت: «إن قطع أباهم الملك يمنعه من استخدام القوس مرة أخرى أو الإمساك بالسيف، وقطع أصابع قدمه تحرمه من تلك السرعة الضرورية للمحارب القديم، وبالإضافة إلى ذلك، فقطع هذه الأطراف يكفي لحرمان الملك من عرشه حيث أن الشعوب قديمًا لم تكن تقبل ملكًا به أي عيوب شخصية».

كوشان رشعتايم، ملك أرام النهرين (قض ٣: ٨-١١)

نحن نقرأ أن «الرب شدَّد» هذا الملك الوثني ضد شعبه لأنهم عملوا الشر في عيني الرب، وكان عجلون، خليفة بالاق والملك الذي يشير إليه صموئيل (١صم ١٢: ٩) له اسم متميز. إنه يعني «ثيران» (مز ٢٢: ١٢، عا ٤: ١) أو بقرات، ومثل «كوشان رشعتايم» قد يكون اصطلاحًا يدل على الكراهية أو الازدراء، وليس اسمًا. إن هذا الملك الشهرقي البدين قُتل غدراً على يد إهود الأعسر بضربة سيف من يده اليسرى. وكان موته شبيهًا تمامًا بموت هنري الثالث ملك فرنسا على يد الراهب الدومنيكاني، جاك كلمنت، الذي جاء إلى الملك بحيلة خداعية. يقتبس اليكوت سجل هذا العمل الشائن من كتاب جوجوت Gui-gat عن «تاريخ فرنسا»:

في يوم الثلاثاء أول أغسطس، في الساعة الثانية صباحًا، قيل للملك أن راهبًا كان يرغب في الحديث معه، فسمح الملك له بالدخول، دخل الراهب، ومعه في كمه سكين، ثم قدم للملك الاحترام اللائق، الذي وقف، ولم يكن مرتديًا شيئًا سوى جلباب النوم، وقدم له رسائل من الكونت دي برين، قائلاً له: إن لديه أوامر أخرى ليخبر الملك على انفراد شيئًا ذا أهمية، ثم أمر الملك الحاضرين بالانصراف، وبدأ في قراءة الرسالة، ولما رأى الراهب انهماك الملك في القراءة، استل سكينه من كمه وغرس السكين في أمعاء الملك الدقيقة أسفل السرة بعمق حتى أنه ترك السكين في مكانها».

ملك آخر لموآب كان هو الملك الذي قابله داود عندما احتمى في مغارة عدلام (١صم ٢٢: ٣، ٤) كان من الطبيعي لداود أن يطلب الضيافة بين أقربائه في موآب، فجدته، راعوث، كانت موآبية.

ميشع كان أيضًا ملكًا لموآب، ولكونه صاحب مواشٍ،

فقد أهدى ليهورام ملك إسرائيل هدية قوامها ١٠٠,٠٠٠ خروف، ١٠٠,٠٠٠ كبش بصوفها (٢مل ٣:٤، ٢٦، انظر إش ١٦:١).

ملك آخر لموآب كان ضمن مجموعة من خمسة ملوك، طلب منهم أن يخضعوا أنفسهم لبابل (إر ٢٧:٣).

ذُكر عن زبح وصلمناع أنهما ملكا مديان، يشير المؤرخ يوسيفوس إليهما بأنهما «رئيسان» ولا يدعو غرابًا وذئبًا «أميرين» بل «ملكين» (قض ٨).

وقد هُزم الملكان المديانيـــــان وجيوشهما شر هزيمـــــة على يد جدعون. وبهذه المناسبة شُبه المحارب جدعون بـ «ملك» (قض ١٨:٨)، وقد أضاف إلى هداياه الأخرى شخصًا مهيبًا طويل القامة، لقى الاستحسان من الجميع في تلك الأيام (١صم ٢٤:١٠، ٧،٦:١٦) رفض جدعون لقب ملك أو حتى حاكم (٢٣:٩).

«لم أر شخصًا بمثل هذه الوسامة بعيني، ولا بمثل هذه الأبهة، لأنه كالملك» كان جدعون ملكًا في كل شيء سوى اللقب، ولكنه كان متهمًا أيضًا بتعدد الزوجات كما مارسها الملوك ضد القانون الإلهي (تث ١٩:١٧، انظر قض ٣:١٠، ٩:١٢).

أبيمالك، ملك شكيم (قض ٩)

في حين أنه يحق لنا أن ندعو شاول أول ملك في المملكة المتحدة لإسرائيل، فإن أبيمالك كان أول إسرائيلي يحمل هذا اللقب، ومع ذلك، فمن المشكوك فيه، أن ملكه كان يعترف به فيما وراء حدود أفرايم، إن ابن جدعون هذا، والمعروف باسم «الملك الحسك» سار على نهج طغاة الشرق يتوقع الدسائس بين أفراد عائلته وأقاربه المقرَّبين. إن البيوت التي كان تعدد الزوجات هو السمة السائدة فيها كانت تتصف بانتفاء روح الود والغيرة الواضحة، ولذا فإن أبيمالك قد ارتكب سابقة خطيرة عندما قتل ٧٠ شخصًا من بيت أبيه (انظر ١مل ٢٩:١٥، ٢مل ٧:١٠، ٢مل ١٥،١:١١)، قتلهم على حجر واحد وقُتل هو نفسه بحجر (٥:٩، ٥٣) «إن قاتل إخوته» على حجر واحد، بعد حكم دام ٣ سنوات «قُتل بحجر ألقى على رأسه، بينما عبدة الأوثان الخونة يقدمون محرقات غدراً في معبد الصنم الذي يعبدونه».

والملوك الآخرون الذين يحملون اسم ابيمالك، الذي كان لقبًا ملكيًا بأكثر من اسم شخصي هم:

أبيمالك، ملك جرار (فلسطين) (تك ٢٠) المعاصر لإبراهيم، الذي كذب عليه بشأن زوجته سارة، وقد وبخه الملك الوثني.

أبيمالك ملك الفلسطينيين، ومن المرجح أنه ابن ابيمالك السابق الذي كانت له صلة بإسحق الذي فعل ما فعله أبوه إبراهيم، حين كذب بشأن زوجته (تك ٢٦) والذي وبخه الملك أيضًا.

أبيمالك، ملك جت (١صم ٢١:١٠-٢٢:١، مز ٣٤). وهذا الملك يعرف أيضًا باسمه الشخصي، أخيش (١صم ٣،٢:٢٧)؛ وهو الملك الذي لجأ إليه داود للحماية أثناء هروبه من وجه شاول (١صم ٢٧).

أرسل يفتاح رسلاً إلى ملك بني عمون (١١:١٤)، وإلى ملك أدوم (١٧:١١)، وإلى ملك موآب (١١:١٧) دون فائدة تذكر (انظر عد ١٤:٢٠ لأجل رسل موسى إلى قادش، ملك أدوم)، ناحاش ملك آخر لبني عمون (١صم ١٢:١٢)، ذكره صموئيل بمناسبة توبيخه القاسي لإسرائيل، وكان هو الملك الوحشي الذي هاجم يابيش جلعاد بعد اختيار شاول كملك على إسرائيل (١ صم ٢:١١)، وناحاش ملك بني عمون، الذي كان صديقًا لداود، من المرجح أنه كان ابنًا أو حفيداً لناحاش السابق (٢ صم ٢:١٠) الذي هزمه شاول.

الفصل التاسع

الأرض وملكها الكامل

خلال تاريخ العالم، قامت امبراطوريات قوية واختفت، ولم تخلف وراءها سوى الأطلال، فالأباطرة والملوك والطغاة ظهروا، كحكماء إلا أنهم أشرار، مملوءون حيوية، ولكنهم مخرِّبون، وقد انتقلوا من المشهد الأرضي، ولم يتركوا لذريتهم سوى اسم ملوث. ولكن ملكًا سوف يأتي سوف يكمل جميع الفضائل الملكية الحقيقية، إن عدداً قليلاً من ملوك الأرض كانوا نبلاء وبررة وخيرين، ولكن الكتاب المقدس يتحدث عن واحد يفوقهم جميعًا، عن ملك نستطيع أن نقول عنه بحق «لم يكن له مثيل» إن حكم الملوك الأرضيين قصير الأمد ومقيَّد. وحكم الملك الإلهي سوف يكون عالميًا وأبديًا.

لا يمكن لأي شخص أمين ذي عقل مفتوح يدرس كريستولوچيا الكتاب المقدس دون أن يتأثر بالإعلان عن أن الرب يسوع المسيح ملك. ومسيانيته مشهود لها من الأنبياء والرسل. ولقبه البارز كالمسيا يدل على ظهوره على الأرض كالملك الممسوح من الله. وبينما ينكر العصريون النبوات المباشرة عن المسيح كملك، إلا أن أولئك الذين يحبونه ويطيعونه لا يجدون صعوبة في قبول هذه النبوات كالصورة المثالية له، وكالحاكم المثالي للأرض الذي سوف يحكم بالبر. إن جوهر العقيدة المسيانية هي مجيء المنقذ الشخصي الذي سوف يجمع في ذاته كل مناصب العهد القديم المذكورة عنه كنبي وكاهن وملك، وقد نشأ كل منها في حضن التاريخ اليهودي. في جميع هذه المناصب الثلاثة، استعلن المسيح كالمثل الكامل لها، وجميعها تنبع من شخصه وعمله، فهو النبي الذي يعلن - والكاهن الذي يقدم ويتوسط - والملك الذي يحكم، وتندمج كل هذه المناصب الثلاثة فيه، فهو يحكم بذبيحته وتعليمه، ويعلن بملكه وحياته.

حيث أن القصد الإلهي قد اتجه لإقامة مملكة، فقد برز السؤال عمن سيكون الملك الذي يصّرف شئونها، لأنه لا يمكن أن تكون هناك مملكة بلا ملك.

إن الممالك كانت موجودة، ولكن فشل الملوك الأرضيين حوَّل أنظار الغيورين للملك الآتي، الذي سوف يصير كملك مجد كرسي داود، وكما سوف نرى، فهذا المفهوم عن ملك إلهي يمثل جانبًا متألقًا ومتناميًا من نبوات الكتاب المقدس. فالإعلانات المسبقة عن ملكوت ممتد ومجيد تواجهنا في كل الكتاب،

متنبأ عنه كملك

إن إبراهيم مشار إليه كأب للسلالة التي سوف يأتي منها الملك الإلهي، حسب الجسد (تك ١٢:١-٣) وسيادته متنبأ عنها من قبل يعقوب عندما أعلن أن المسيح سوف يأتي من سبط يهوذا، وأنه لن يزول قضيب من يهوذا حتى يأتي شيلون (تك ٤٩:٨-١٠) إن المجد

الملكي والسيادة يدلل عليها الكوكب والقضيب في نبوة بلعام (عد ٢٤: ١٥-١٧).

وحتى هذه النقطة، كانت إسرائيل خاضعة للحكم الإلهي بدون ملك سوى الله. وعندما أصبحت مملكة، وكان لها ملوك ظاهرون، بدأت النبوات عن المسيا تتخذ صيغة ملكية، وتصور بوضوح أكثر ملكوته. وهكذا فبعد نبوة يعقوب بـ ٥٠٠ سنة تقريبًا، أكد ناثان النبي للملك داود أن بيته ومملكته سوف يثبتان للأبد (٢صم ٧: ١٦) وقد تثبت هذا الوعد بقسم (مز ٨٩: ٣، ٤، ٣٥-٣٧).

يتحدث عدد كبير من المزامير عن المسيح الممسوح كملك على الأرض (٢: ٦-١٢، انظر رؤ ١١: ١٥، مز ١٠: ١٦، ٢٤، ٤٥، ٧٢، ٨٩، ١١٠). في العصور القديمة، كان المُلكُ يكتسب بالغزو والكفاءة القتالية. وكلمة «ملك» تعني رجل مقتدر أو الإنسان الذي يقدر، وهذا المعنى يتحقق بأسمى معانيه في المسيح، كما تثبت الاقتباسات من المزامير المذكورة سابقًا. والمسيح يؤسس حقه ليحكم بناء على قوته التي لا نظير لها، ومحبته اللامتناهية وتأثير شخصيته الكاملة. ويعتمد جميع الملوك على الملك السماوي (مز ١٤٤: ١٠).

وإشعياء شخص آخر رأى يوم المسيح كملك وفرح، وبالنسبة للنبي، فالطفل المولود من عذراء هو رئيس السلام من عرش الله، والملك الذي سوف يحكم بالبر، الذي لن يكون لملكوته حدود (إش ٢: ١-٤، ٩: ٦-٩، ١١: ١-١٠، ٣٢: ١).

وبعد موت داود بسنوات، فالوعد بالملك المجيد الذي سوف يجلس على كرسي داود قد تأكد مرة أخرى لإرميا، النبي الباكي، الذي فرح لرؤيته للمسيح كالمسيا الآتي، والذي سوف يملك ويجري مقاصده بالحكمة كملك (٢٣: ٥، ٦، ٣٠: ١٨-٢٤).

وحزقيال الذي حملتهُ «البكرات» إلى أعلى، وهي رمز لسلطة الله العليا في تدبير شئون الأمم، كتب عن المسيح الذي سوف يظهر كملك ويحكم «الذي له الحكم» (٢١: ٢٧).

ودانيال الذي رأى وتكلم عن قيام وسقوط العديد من الإمبراطوريات القوية، استطاع أن يذهب إلى ما وراء العروش والتيجان التي سوف تفنى إلى «المسيح الرئيس» الذي سوف يكون ملكوته ملكوتًا أبديًا (٢: ٢٤، ٩: ٢٤، ٢٥، ٧: ١٣، ١٤).

وهوشع الذي يكتب لإسرائيل المرتد، يدعوهم للتوبة وتذكر نبوة مجيء الملك، الذي هو أعظم من داود، ملكهم (٣: ٥، ١٣: ١٠).

وتنبأ ميخا بمجيء يسوع من بيت لحم، بقوة وجلال، ليس فقط كمخلص حالي من الخطية، بل كملك على إسرائيل الذي مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (٥: ٢-٤).

وتنبأ زكريا بالروح، بمجيء المسيا، واستطاع أن يبتهج لظهور المسيح كملك «هوذا ملكًا يأتيك» واستطاع النبي أيضًا أن يخترق حجب الظلام إلى المجد ويصيح بابتهاج «ويكون الرب ملكًا على كل الأرض» (٣، ٩: ٩، ١٤: ٩).

مقدم كملك

إذا كان العهد القديم يقدم لنا الصورة النبوية عن ملك المسيح، فالعهد الجديد يقدم لنا صورته التاريخية كملك، وهكذا فالإطار العام في النبوة يكتمل في التاريخ، لأن

حقيقة ملكوته منسوجة في سدى ولحمة العهد الجديد. يدعو متى المسيح ملكًا حوالي ١٤ مرة، ومرقس ٦ سنوات، ولوقا ٥ مرات ويوحنا ١٤ مرة، ويستحيل أن تفوتنا حقيقة ملكوته الحالي والمقبل في تعاليم المسيح نفسه ورسله. وهناك أدلة كثيرة مقدمة لنا عن مجيء ربنا ثانية كالملك الإلهي الحقيقي كإتمام لنبوات العهد القديم.

أما ملكوته، فهو موصوف بكلمات واضحة باعتباره:

روحيًا بطبيعته لو ١٧: ٢١،٢٠

عالميًا في مداه مت ٨: ١١، ٢١: ٤٣

يصدر عن الحياة في الداخل مر ٤: ٢٦-٢٩

لا تقف أمامه عقبات مت ٢١: ٤٤

كان يوحنا المعمدان المعد لطريق الرب، مقتنعًا أن يسوع سوف يظهر كالمسيا، وقد أعلن أن الملكوت، في شخص الملك، كان قريبًا (٣: ٢،١).

وفي سلسلة النسب الملوكي ليسوع، تم التركيز على أصله الملكي كابن لداود، سوف يجلس على كرسي داود ويملك على بيت يهوذا (مت ١: ٢،١، لو١: ٣٣،٣٢).

وتأكيداً لأسفار العهد القديم بخصوص مجيء المسيح كملك، ولملكوته بأنه أبدي، أعلن جبرائيل لمريم أنه لا يكون لملكه نهاية (لو ١: ٢٦-٣٣)، ولفظ ابن داود تعبير عن أن المسيح سوف يجلس على كرسي داود كملك على إسرائيل ويهوذا (لو ١: ٣٣،٣٢).

وُلد المسيح كملك، وقد اعترف المجوس بملكوته وقدموا له باكورات العالم الأممي، فالذهب يعتقد أنه يدل على أنه ملك، واللبان دلالة على كهنوته، والمر دليل على موته ودفنه، ولكن أليس هناك شيء فريد في صيغة سؤال المجوس؟ «أين هو المولود ملك اليهود؟» (مت ٢: ٢) فابن الملك لا يولد ملك، إنه أمير أو أميرة، حسبما يكون الوضع! ولكنه يصبح ملكًا أو ملكة عند موت الملك الحاكم. ونرى استثناء من هذه الحقيقة، في ما حدث بشأن الراحل الملك الفونسو ملك أسبانيا، الذي وُلد ملكًا والسبب أن أمه كانت حاملاً به عندما مات أبوه، وهكذا، فلكونه ملكًا في الرحم، فقد كان ملكًا عند ولادته. ولكن يسوع وُلد ملكًا لأنه كان ملكًا قبل ولادته، وقد كان يعيش قبل ولادته في بيت لحم، فقد جاء كملك الدهور «الذي لا يفني» (١تي ١: ١٧).

إن يسوع لم يرفض أبداً بأن يُلقَّب بملك، عندما تعرَّف عليه الكتبة والتلاميذ الأوائل بأنه ملك إسرائيل المتنبأ عنه (مي ٢: ٦،٥، يو ١: ٤٩)، وقبلوا التعليم عنه كالذي يأتي ليجلس على عرش مجده (مت ٢٥: ٣١-٣٤). إن اليهود الأتقياء الذين نشأوا في كنف نبوات العهد القديم لم يشكُّوا بأن يسوع هو المسيا الموعود، وحاولوا أن يجعلوه ملكًا بالقوة (يو ٦: ١٥) ولكنه لم يخضع لرغبات البشر، كان يمكنه أن ينتظر لأنه كان يعلم أن يومًا سيأتي سوف يكون فيه ملكًا على الجميع. قال (توماس ديكر) من القرن الخامس عشر أن «الإنسان الصبور نموذج للملك» فيسوع ينتظر يوم تتويجه بصبر ملوكي حقيقي.

معلن عنه كملك

أعلن المسيح ملكه بالعديد من الوسائل القوية، فكل أقواله عن مسيانيته تعلن عن سيادته، ومعجزاته تشهد

لقوته كالملك الذي دفع له كل سلطان (مت ٢٨: ١٨-٢٠)، وتعاليمه وأمثاله تعلن عن ملكوت الله وملكوت السموات وهو نفسه المدبر لكل شئونه. إن كلمته كملك كانت بسلطان (جا ٤:٨ انظر مت ٢٢: ٤٣-٤٥، يو ١٨: ٣٦، ٣٧). لقد تحدث عن أنه سينزع كل المعاثر وفاعلي الشر من الملكوت، وعن الذين يمكنهم الدخول إلى الملكوت فقط عن طريق الملك، وأنهم سوف يضيئون كالشمس، وعن الكرامة التي ستكون من نصيب الأمناء الذين سوف يجلسون معه فوق عرش مجده (يو ١٤: ٦، مت ١٩: ٢٨).

سوف يأتي المسيح ثانيةً ليأخذ الملك في هيئة إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكًا ويرجع (لو ١٩: ١٢-١٥).

إن مملكته ليست سلطانًا أرضيًا، شأنها شأن ممالك العالم. إن ملكوته الحالي الروحي، وملكوته المستقبلي أيضًا ليسا من هذا العالم (يو ١٨: ١٦) وبسبب أصل ملكوته غير العالمي، فرعاياه لايقاتلون أو يستخدمون وسائل عالمية لامتداد وتحقيق أغراض هذا الملكوت. إنه «ملكوت ابن محبته» الذي ينقل إليه كل القديسين (كو ١: ١٣).

والمسيح قد قبل إعلان الآخرين عن أنه ملك، إنه لم ينكر أبداً أنه ملك وله ملكوت عندما طلبت أم يعقوب ويوحنا أن يجلس ابناها في مركز الصدارة في ملكوته (مت ٢٠: ٢١-٢٣)، وتقبَّل أيضًا هتاف الجماهير له بالقول: «أوصانا مبارك الآتي باسم الرب» وقدموا له التكريم. عندما رأوا نبوات زكريا تتحقق أمام أعينهم (مت ٢١: ١-١٦، مر ١١، لو ١٩، يو ١٢).

استنكر القادة الدينيون في عصره أن يكون المسيح ملكًا، واحتجوا على ذلك واتهموه بأنه جعل نفسه ملكًا، والإعلان الذي كان مكتوبًا فوق الصليب بلغات ثلاث: العبرية واليونانية واللاتينية - ملك اليهود - لقي استنكاراً من الكهنة، ولذا طلبوا من بيلاطس أن يغيِّره إلى «ذاك قال أنا ملك اليهود» مما يعني أنه إدعاء كاذب (يو ١٩: ٣، ١٢، ٢١).

سأله بيلاطس «أفأنت إذاً ملك؟» ولم يقل يسوع «كلا»، بل «أنت تقول إني ملك، لهذا قد وُلدت» (يو ١٨: ٣٧) - وُلد كملك ووُلد ليكون ملكًا. كم كان أبعد ما يكون عن المُلك عندما صاح بيلاطس «هوذا الإنسان» كان مضروبًا ومجروحًا ولابسًا ثيابًا بقصد السخرية منه. كان يمكن أن يكون أي شيء إلا أن يكون ملكًا ولم تكن قلوب الذين رفضوا ملكوته تنطوي على ذرة من العطف «اصلبه، اصلبه!» وقد صلب كملكهم، وحقيقة إنجيل الفداء أن:

- «الرأس التي تَوَّجتَ بالشوك ذات مرة
مُتَوَّجَةَ بالمجد الآن»

عندما مات في ألم شديد عيَّره الأشرار قائلين «لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب» (مر ١٥: ٣٢). لم يستطيعوا أن يروا في هذا الإنسان الذي ينزف الدم ملكًا، لو كان قد أراد، كان بإمكانه أن يستعرض قوته كملك وينزل من على صليب العار، ولكنه بقي هناك وشرب كأس اللعنة لأجلنا.

وكالملك الذي سوف يجلس عن يمين العظمة في الأعالي، فقد بارك وامتدح اللص على الصليب، الذي كان أول خاطيء يدخل الفردوس عن طريق الدم الملكي للملك الذي مات على الصليب (لو ٢٣: ٤٢) أعطانا «أوفيد»، الفيلسوف اللاتيني المثل القائل: «صدقني،

إنه عمـــل ملوكـي أن تساعـد أولئـك الذين قد سقطـوا» ويذكرنا براوننـــج أن آخـر كلمة رحيمة نطق بها يسوع كانت موجهة للص.

شـهـدت القـيـامـة لـملك المـسيح، لقد تغلب على الشيطان والموت، وإذا رآه الرسل حيًا إلى الأبد، فقد أعلنوا أنه ملك، واعترفوا دون خوف بغلبته وانتصاره كملك. كان التلاميذ يرجون ملكوتًا منظوراً (أع ١:٦،٧). وفي يوم الخمسين، أعلن بطرس أن المسيح المصلوب والمقام والجالس على العرش كرب الأموات والأحياء، يجب أن يُعبد ويُخدم. هنا «ملك آخر» ملك يختلف عما كان عليه، وهو ملك على الأرض (أع ١٥:١٣-١٨).

يذخر تعليم بولس بجلال ومجد وسلطان المسيح كملك، فعن طريق الإعلان، عرف أن المسيح سوف يسود على الأمم (رو ١٥:١٢)، وأنه سوف يملك حتى يضع كل أعدائه تحت قدميه (١كو ١٥:٢٣) و«أنه عن يمين الله فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة (أف ١:٢١،٢٢)، وأن كل ركبة سوف تسجد له (في ٢:٩-١١)، وأن جميع الذين يتألمون لأجله الآن سوف يملكون معه عندما يظهر (٢ تي ٢:١٢، ٤:١،١٨)، وإن ملكوته أبدي (عب ١:٨، انظر ٢ بط ١:١١)، وأنه سوف يكون ملكًا، كاهنًا على رتبة ملكي صادق (عب ٧:١٤-١٧، تك ١٤:١٨).

سيادته على الجميع كملك

إن الجانب البارز للمسيح في سفر الرؤيا هو المتعلق بملكه، فأقواله عن نفسه كملك في هذا السفر لا يمكن أن يخالطها أي شك، وفوق رأسه تيجان كثيرة. يقول والتر سكوت: «إن هناك فرقًا بين الأكاليل والتيجان، فالأكاليل تعني ملكًا دستوريًا، والأخيرة تشير لسلطان طاغية (رؤ ٣:١٢، ١٣:١). فالقديسون في السماء لهم أكاليل (٤:٤،١٠) كتعبير عن كرامتهم الملوكية كمشاركين في عرش المسيح، ولكن التيجان تستقر على رأسه هو «المسيح» لتدل على سلطانه المطلق والسامي «كثيرة» تُعني أنه على رأس المسيح الغالب، تستقر كل أنواع السلطة. إنه سوف يكون ساميًا في كل ميدان، وسوف يملك دون منافس.

ومن بين الألقاب الكثيرة التي ينسبها يوحنا للمسيح، لا يوجد لقب ينطبق تمامًا مثل «رئيس ملوك الأرض» (رؤ ١:٥) فكل الملوك الأرضيين عند ظهوره، كالملك الذي يسمو عن كل ملوك الأرض، يجب أن يقدموا له الخضوع والاحترام. إن كل ممالك هذا العالم ملكه بالحق، وبحكم لقبه، ويجب أن تعترف بملكيته. ولذلك فعندما يأتي ليملك، فسوف يكون ذلك كرب الجميع الذي له السلطان، وكملك يملك على الكل.

ثم يشار إليه كملك الشعوب أو ملك الدهور (رؤ ١٥:٣). إن ترجمة الكتاب المقدس المعروفة بـ A.V تقول «ملك القديسين» ولكن المصادر الأخرى تؤكد لنا أنها يجب أن تكون «ملك الشعوب» ويتم الحديث عنه كملك الملوك، ملك الأرض، ملك إسرائيل، ولكن ليس «كملك القديسين»، فقد يصفه الشعراء والمرنمون هكذا، وقد ينطبق ذلك عليه بالمعنى الروحي، إن لياقة اللقب «ملك الشعوب» يمكن إدراكها عندما نتذكر أن كل شعوب الأرض سوف تخضع للدينونة أمامه (إر ١٠:٧).

عندما نُفى نابليون إلى جزيرة القديسة هيلانة، قيل إنه كان يقضي وقتًا كثيراً في قراءة الكتاب المقدس، ويقال إنه في إحدى المرات اتجه إلى الكونت مونثولون، رفيقه

في السجن، وسأله هذا السؤال : «هل تستطيع أن تخبرني من هو يسوع المسيح؟» وعندما لم يقدم جوابًا، قال نابليون «حسنًا، سوف أقول لك أنا من هو. «إن الكسندر وقيصر وشرلمان وأنا أسسنا إمبراطوريات عظيمة.... بالقوة، ولكن يسوع وحده أسس إمبراطوريته على المحبة.... أقول لك إن كل هؤلاء كانوا بشراً، لا أحد يشبهه. إن يسوع المسيح كان أكثر من مجرد إنسان... إنه يطلب القلب البشري، إنه يطلبه بلا قيد أو شرط، وطلبته تُجاب في الحال.

الفصل العاشر

الملوك النبويون في تاريخ الكتاب المقدس

أوضحت الفصول السابقة أن الملوك يملأون صفحات الكتاب المقدس، فقد ذُكر لقب «ملك» في صفحاته المقدسة حوالي ٢٥٠٠ مرة، و«أميرة» أو رئيس حوالي ٣٥٠ مرة، و«مملكة» حوالي ٣٥ مرة، و«ملكة» ٥٧ مرة. ومن بين ملوك وملكات الكتاب المقدس، يوجد أولئك الذين يتسمون بطبيعة نبوية أو رمزية.

والملكات الرمزيات يشار إليهن في القسم الخاص بملكات الكتاب المقدس.

نقصد بالملوك النبويين، أول كل شيء، أولئك الذين على الرغم من أنهم كانوا أشخاصًا تاريخيين في الماضي، إلا أنهم مرتبطون بطريقة أو بأخرى بالمستقبل، ولذلك لهم معنى نبوي، كما أنه لهم دوراً تاريخيًا. وهناك أولئك الذين لم يظهروا بعد، ولكن دورهم مستقبلي في الأساس، ولذا فهم مرتبطون بنهاية حضارة الأمم.

من أبرز الملوك في قائمة الملوك النبويين، ملكي صادق، الذي يؤكد الكتاب المقدس أنه نبوة أو نموذج للمسيح المتنبأ عنه، وباعتباره معاصراً لإبراهيم، ربما كان من المفروض وضع الملك الكاهن الغامض في قسم دراستنا المتعلق «بالملوك القدماء» حيث ينتمي إليهم تاريخيًا. لكن لأننا نراه أمامنا «كرمز للحقيقة»، فنحن نقدم تصوُّرنا له في هذه المرحلة المتأخرة.

ملكي صادق

تك ١٤: ١٨-٢٠، مز ١١٠: ٤، عب ٧: ١-٤

ملك الأسرار الغامضة والنبوة

هناك كلمة تحذير ضرورية إذ نأتي للتأمل في هذه الشخصية الغامضة والشهيرة في نفس الوقت. في دراسة الكتاب المقدس، يكون من الحكمة لوتنبَّهنا للتعليم البسيط العملي، بدلاً من أن نضيع وقتًا كثيراً في التساؤلات النقدية، أليس من السخف أن نكتشف ما قصد أن يكون سراً على حساب الفهم الصحيح والاختبار العميق لتأثير تلك الحقائق الهامة المعلنة بوضوح؟

والذين يقرأون الكتاب المقدس لمجرد إشباع حب استطلاع باطل ومغرور، سوف يجدون الكثير في طي صفحاته المقدسة مما يحيرهم ويربكهم، وكم يكون من السخف أن نتوه في بحوث لا نهائية غير مجدية ونهمل الدروس التي يمكن أن نستجمعها من تلك الجوانب الحقيقية المفهومة من قبل! علينا أن نصلي باتضاع للتوصل «لقرار صائب في كل شيء» وبدلاً من أن نحاول أن نكتشف الصعوبات، ونجاهد لنحصد

المزايا الروحية من كل فقرة نقرأها.

ومثل هذا التحذير، مناسب بنوع خاص بلا شك عندما نركز انتباهنا على تاريخ ملكي صادق، الذي أثار الوصف المختصر عنه، والألفاظ الغامضة المستخدمة بشأنه، العديد من التصورات والتخمينات والخلافات العقيمة. ألا يحثُنا الكتاب المقدس أن نتجنَّب تلك الأمور «التي تهتم بمباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان»؟ يكتب (هنري ثورن) هذه الملاحظات النافعة:

«إن حجاباً من الغموض يلف تاريخ الحياة الموجز لملكي صادق، فكاهن العالم القديم هذا يظل غامضًا مثل الكتابة التي ظهرت أثناء وليمة بلشاصر الملك، أو العرافة التي أنبأت بمصير شاول، ومع ذلك فالسجل المدون عنه معبِّر بسبب غموضه. هناك غيوم، ولكنها الغبار العالق بقدمي المخلِّص. ولا يمكن أن يكون رمز الفادي مكتملاً ذلك الذي يخلو من الأسرار. فلنتأمل في سر ميلاده، وصليبه أو قبره الفارغ».

من هو ملكي صادق؟ هناك تقليد عبري يقول إنه سام، الذي كان يزال حياً في أيام إبراهيم، وعلى قدر ما نعرف، فهو أكبر إنسان كان يعيش في تلك الأيام. ولكنه لا يمكن أن يكون سام، لأن الكتاب المقدس يخبرنا بوضوح أنه كان «بلا أب، بلا أم» (عب ٧:٣)، أي أنه كان بلا سلسلة نسب مسجَّلة، فنحن نعرف من هو أبو سام.

وقال آخرون إن ملكي صادق هو المسيح في إحدي ظهوراته قبل التجسد، ولكن هذا الافتراض، ليس كتابيًا لأن ملكي صادق «مشبه بإبن الله»، وأن كهنوت المسيح على شبه ملكي صادق» (عب ٧:٣-١٥)، وهذه عبارات لا يمكن أن تستخدم عن ملكي صادق لو كان هو المسيح نفسه.

وقد أشير إلى الكاهن الملك أيضًا ككائن سماوي غامض، ولكن الكتاب المقدس يذكر بوضوح أنه «إنسان»* (عب ٧:٤). والقصة الموجزة البسيطة لا تنطوي على أي صعوبة كبرى. فملكي صادق كان واحداً من ملوك كنعان، وكانت ساليم أو أورشليم مركزاً لحكومته. كان ملكًا وكاهنًا، بارك إبراهيم وبارك الله، وقبل عُشراً من كل غنائم الحرب التي خاضها إبراهيم، عندما رجع من انتصاره على الملوك الأربعة الذين تحالفوا ضده.

من القصة المختصرة التي أمامنا، يبدو أن ملكي صادق كان أحد ملوك كنعان، الذي ابتعد عن الوثنية والشر السائدين في بلده، وكعابد غيور للإله الحقيقي، ومقدس في الحياة، كان مؤهلاً ليترأس الطقوس الهامة ويحصل على هذا المنصب الخطير «ككاهن الله العلي» ولاشك أنه كان هناك آخرون وسط الشعب الكنعاني الملعون، مخلصين لله ويكرهون الأصنام (انظر ١ مل ١٩ : ١٠ - ١٨).

وقد كانت المدينة التي تحمل اسمه مقامة على الجبل الجنوبي الشرقي، المحاط من جميع الجهات بالوديان، وكان هناك سور حول الجبل كله. ومن المرجح أن المكان الذي تقابل فيه ملكي صادق وإبراهيم كان في وادي قدرون بالقرب من نهر جيحون.

* ثم انظروا ما أعظم هذا (الإنسان)... وفقًا للنص باللغة الإنجليزية «المترجم»

ذُكر ملكي صادق في تاريخ الكتاب كله ثلاث مرات - تاريخيًا (تك ١٤:١٨-٢٠)، ونبويًا (مز ١١٠:٤) وتحقيقًا للنبوات (عب ٧:١-٤). واسمه الذي ورد حوالي ١١ مرة يحتل مكانة متميزة بين الأسماء الطقسية المقدسة في الكتاب المقدس. ملكي صادق يعني ملك البر أو الملك البار، وهو لقب ينتمي في معناه السامي والكامل إلى ابن الله وحده، الذي هو الملك «البار في كل طرقه والقدوس في كل أعماله».

والكتاب يخبرنا أن ملكي صادق في منصبه الرسمي كان «بلا أب، بلا أم» وطبقًا لكهنوت هرون، كانت المناصب الكهنوتية تتوقف على هوية الوالدين ولكن كهنوت ملكي صادق لم يكن وفقًا لهذا الطقس، ولذلك، ليس لدينا قصص تاريخية عن والديه، اللذين كانا موجودين بالطبع. منذ ما يزيد على مائة سنة، كتب توماس روبنسون من كمبردج ما يلي:

«لا يمكن أن تستنتج أن ملكي صادق، كان مثل آدم، قد أوجد بالخلق المباشر، أو أنه بلا أصل بشري، ولكن كل ما في الأمر أن سلسلة نسبه غير مسجلة، وأن التاريخ المقدس قد أخفى عن عمد أجداده.... فالكتاب لا يخبرنا أين ومتى وُلد، ولا وقت وطريقة موته، ولا ممن استمد منصبه أو من خلفه فيه، وصمت الكتاب المقدس له دلالته، لأنه يتجه بأفكارنا إلى ذاك الذي كان «في البدء» و«قبل كل الأشياء»».

ونحن نقرأ في لوح فلسطيني رسالة من عبيد طوب Ebed -Tob، الخليفة المفترض لملكي صادق، يردد فيها ثلاث مرات القول «لا أبي ولا أمي قد نصَّباني في هذا المنصب بل الملك الجبار».

١- كان ملكي صادق ملكًا وكاهنًا، ووفقًا للناموس كان هناك حاجز لا يمكن عبوره بين الملك والكهنوت، ولكن لأن ملكي صادق كان رمزاً للمسيح، فقد كان يجمع بين المنصبين، وهو مقدم لنا كملك البر والسلام وككاهن الله العلي، وليس هناك تناقض بين واجبات الكهنوت وشرف الملك. وحيث أن ملكي صادق لم يشترك في حروب مع ملوك آخرين، فهو رمز مناسب لطبيعة المسيح المحب للسلام (إش ٣٢:١٧، ١٨).

كانت المهام الكهنوتية تتضمن خدمة التشجيع للإنسان الذي يحارب حروب الرب. كان الخبز والخمر يقدم كضيافة منعشة للجندي المتعب، ويوجد تقديم الخبز والخمر مرة أخرى (لو ٢٢:١٩) كتذكار للذبيحة. ثم كان هناك تقديم البركة «بارك إبراهيم»، ثم النُّطق بالحمد «بارك الله العلي».

كان إبراهيم يعرف علو مكانة ملكي صادق، فقدم له عُشراً من كل شيء اغتنمه في المعارك، يستنتج بولس من هذا العمل أن العهد الموسوي قُصد به أن يكون خادمًا للإنجيل (عب ٧:٢).

ومن اللافت للنظر مدى تغلغل المسيح في الأجزاء التاريخية من العهد القديم (تك١٤:١٨ مع عب ٧:٢)، ففي شخصه واسمه ومنصبه ومقر إقامته وسلطته، يعتبر ملكي صادق رمزاً بارزاً للمسيح، وليس هناك تسجيل لموت ملك ساليم، مما يدل على عدم نهاية كهنوت المسيح (عب ٧:٢٣، ٢٤).

تبزغ من وراء السجل القديم، شمس ذات ضياء ساطع تشرق بنورها علينا - يسوع ابن الله يقف واضحًا في كل مجده.

هو كاهننا الأعظم

النبي يعلِّم، ولكن الكاهن يقدم الذبيحة فقط. ويسوع قدم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة (أف ٥:٢) وهو كالكاهن يشفع لنا ويبارك شعبه، إن يسوع «يظهر في حضرة الله لأجلنا» وهو يحمل على قلبه أمام الله أسماء كل الذين غسلهم بدمه، أعطى إبراهيم لملكي صادق «عشراً من كل شيء» ونحن مدينون للمسيح بكل ما لنا، ليت نعمة الله تحل علينا «لنكرمه بمالنا، ومن باكورات كل ما لدينا».

يسوع المسيح الرب

الملك التالي الذي يعد سجلُّه النبوي تاريخياً ونبوياً أيضًا هو ربنا المبارك نفسه. وقد أوضحنا من قبل، في الفصل الذي يتعامل مع «ملكه»، بعض جوانب خدمته المستقبلية. عند هذا المنعطف، نستجمع معًا عدة فقرات مرتبطة معًا تعلن أنه الملك الآتي - الذي من المقرر أن يظهر - لقد ظهر وسوف يظهر مرة أخرى (عب ٩:٢٨). لقد كان من أبرز الملوك الذين جاءوا من صلب إبراهيم ومن أحشاء سارة على اعتبار أنه ابن إبراهيم (تك ١٧:٦، ١٧، مت ١:١، ٢)، وهو صاحب القوة الذي يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا (دا ٢:٢١، هو ٨:٤).

والمزامير تعبر بلغة بليغة عن حقيقة المسيح كالملك الإلهي الآتي. إنه أكمل ملك عرفته الأرض في طريقه لافتتاح ملكوته.. إنه، وسوف يكون، أعلى من ملوك الأرض (٨٩:٢٧).

ملوك المشرق

إن العدد الذي يحتوي على إشارة «لملوك المشرق» (رؤ ١٦:١٢) قد تعرض لكثير من التفسيرات المتعارضة، فبعض المعلقين يهملون العدد كليةً.

والبعض يرون أنهم قد يمثلون القديسين عمومًا. وقد يمثلون قوات الشر الوقح والمفضوح التي تم كبح جماحها مدة طويلة، وأنهم مشابهون للأربعة ملوك الوحشيين والطغاة الذين جاءوا من الشرق في أيام إبراهيم (تك ١٤:١-٢٤) هذه هي التفسيرات المختلفة وانتق منها ما يروقك!

يذكرنا البروفيسور (ج.ف. والفورد) إن أبسط تفسير للفقرة وأكثرها قبولاً من ناحية المنطق هو ما تقوله. إنهم ليسوا ملوك المشرق على اعتبار أن أصلهم من هناك، بل ملوك من المشرق أي الجانب الشرقي من الفرات. ويقصد بالشرق «شروق الشمس» وهو تعبير شرقي جميل وشاعري يدل على الشرق.

يقول دكتور (أ.س جابيلين) إن اللفظ «الملوك الذين من مشرق الشمس» قد يعني الشعوب الآسيوية البعيدة مثل الصين واليابان. ويعلق (هـ.أ ايروسايد) على العدد فيكتب قائلاً: «هل هي مجرد مصادفة أنه منذ ألف سنة على الأقل، واليابان تُعرف بأنها «مملكة الشمس المشرقة؟».

الفصل الحادي عشر

الملوك الرمزيون في تاريخ الكتاب المقدس

الكتاب المقدس غني بمدلولاته الرمزية. قال أحد النقاد إن الإنسان لا يمكن أن يوجد، من الناحية الفكرية على الأقل، بدون الرموز والعلامات من مختلف الأنواع. بالنسبة لجميع محبي الكتاب المقدس، فرموزه وعلاماته تقدمان مدخلاً للتأمل المفيد، مما يقودهم للاتفاق مع ما يقوله تشارلس كنجزلي إن «هذا العالم الأرضي الذي نراه صورة دقيقة ونموذجٌ للعالم الروحي والسماوي الذي لانراه».

فإذا كان الأمر كما صوَّره توماس كارليل «إن كل الأشياء المنظورة هي صور رمزية»، إذن فبعض ملوك وملكات الكتاب المقدس هم بالتأكيد صور رمزية لأشياء روحية. وفيما يختص بالاستعمال الرمزي الذي يستخدمه الكتاب المقدس إزاء اللقب الملكي «ملكة» فإننا نشير على القارىء بالاضطلاع على القسم المخصص «لملكات الكتاب المقدس» من هذا الكتاب، وهاك أمثلة للرموز الملكية والأكاليل والعروش تستخدم أيضًا رمزيًا.

أكل الخبز على مائدة الملك
(٢ صم ٩:٦-١٣)

إن اهتمام الملك داود الرقيق بمفيبوشث دليل قوي على كرمه وشفقته. كان داود قد حلف ليوناثان أمام الله أن يعتني بعائلته (١صم ٢٠:١٤، ١٧، ٢٣، ١٨) ولكن مفيبوشث الأعرج بكلتا قدميه نتيجة لسقوطه في إحدى المرات (١صم ٤:٤)، لم يكن يعلم بقسم داود، وكان يخشى الانتقام، وبالإضافة لذلك فأن يستضيف الملك كسيحًا في قصره الملكي يوميًا دون أن يمت له بصلة قرابة فهذا شيء لم يسمع به أحد، هناك مثل ألماني يقول: «مهما كانت النتائج، فإن الملك لا يحب المقعدين».

ومع ذلك فقد كان داود ملكًا، وأحب الابن الكسيح لصديقه المحبوب، واعتني به بكرم وسخاء، ولذلك فهو يرمز للنعمة التي تتمثل في ملك أعظم من داود. وجميعنا مقعدون روحيًا وأخلاقيًا. لقد أخطأنا وأعوزنا مجد الله، ولأننا عُرج، فقد ابتعدنا عن طريق البر، ومع ذلك فعن طريق الشفقة الإلهية، فقد أحضرنا إلى بيت وليمة الملك وأجلسنا على مائدته.

هو يقدم وليمة فاخرة يوميًا
ونحن نأكل على مائدته
كل الخليقة من بشر وحيوانات
وهو صديق لي

انتظار قضيب الملك الذهبي
(اس ١٠:٤، ١١، ٢:٥-٥)

لم يكن من الممكن أن يدخل أحد إلى حضرة الملك القوي أحشويرش، مالم يقدم له العلامة التي تسمح له بالدخول، وهي أن يمد له قضيب الذهب، بهذه الطريقة، يمكن منع ما يعكِّر صفو الملك، حث مردخاي الملكة

استير، التي كانت تشعر بالقلق والحزن خوفًا من انقراض جنسها، على طلب عون الملك في هذا الصدد، والذي ما أن رآها في القصر الملكي حتى مد إليها قضيب الذهب.

كم يكون الأمر مختلفًا بالنسبة لأبناء الله المتألمين والمحتاجين، فنحن لسنا بحاجة للانتظار كي يقدم لنا قضيب الذهب قبل أن نعرض عليه احتياجاتنا! إننا نستطيع أن نقترب من حضرة ملكنا السماوي في كل حين، وحيث أننا من أفراد حاشيته الملكية، فمن حقنا أن ندخل إلى حضرته فوراً دون أن يجرؤ أحد على أن يمنعنا أو يخيفنا. إننا ندخل بجسارة إلى الأقداس بدم يسوع، ونأتي إلى الملك، الذي نقدم له كل التماساتنا.

ملك وجيشه
(أي ٢٩: ٢٥)

إشارة أيوب للملوك تثبت أنه عاش في أيام الملوك القدماء، في هذا الأصحاح الذي يتكون من رثاء أيوب لأيام الرخاء التي ولَّت، نجد الكلمات «أنا» و«الملك» «وياء المتكلم» تتردد بكثرة. كان أيوب - باعتباره واحداً من الأباء يجلس كملك جبار على كرسي العدالة كان يجلس بين أصدقائه وأعدائه على حد سواء، يوزع السرور والعدالة، وكان يأمل بحياة طويلة وموت في سلام. يبكي أيوب الآن على خسارته ونصيبه، وهذا رمز لشخص «قد ارتدى رداء الحزن لتذكره أيامه السعيدة في وقت الحزن».

وبذلك يصلح أيوب كرمز وممثل لجميع المتألمين الذين ينتظرون التخلص من كل تجاربهم عن طريق المسيح، وهو نفسه الفادي، الذي احتمل أوجاع وخطايا البشرية الخاطئة غير المفدية.

الملك على كل نبي الكبرياء
(أي ٤١: ٣٤)

يعتقد أن «لوياثان» الضخم في هذا الأصحاح هو التمساح المصري، وهو حيوان ذو قوة غير عادية، ملك على كل الوحوش القوية، والله الذي صنع التمساح هنا يتكلم ويوبخ كبرياء البشر، وهو من الأشياء الهامة التي يركز عليها سفر أيوب، إن هذا الأب، الذي تأثر بسبب كلام الله، قد اتضع وتخلص تمامًا من كبريائه وسوء فهمه لله، الذي يكره كبرياء الجسد ويكافيء الوداعة الحقيقية.

حدود قوة الملك
(مز ٣٣: ١٦)

ينسب لنابليون القول: «الله مع الكتائب الحربية الجرَّارة» ولكن الكتاب المقدس والتاريخ لا يؤيد هذا الشعار، فالله في معظم الأحوال يسر بهزيمة الأكثرية على يد الأقلية. ويستخدم المزدَرى بهم في هذا العالم ليخزي بهم الأقوياء. «لن يخلص الملك بكثرة الجيش» فاعتمادنا على ما لدينا، بدلاً من الاعتماد على الله نفسه، يقود للدمار.

وفي أرجاء الكتاب المقدس، نجد تحذيراً ضد الثقة في الجسد، فالملوك والشعوب يعتمدون على أسلحتهم الدفاعية طلبًا للأمن، ونحن نعتمد على حكمتنا وثروتنا وأعمالنا، ناسين الله مصدر الأمان الحقيقي الذي لا يخيب. ومن الملائم أن ينتهي مزمور النشيد الجديد بكلمات تعبِّر عن الاعتماد على الله: الرجاء، انتظار الرب، الفرح. والخمسة أعداد الأخيرة من المزمور تعبر عن المفارقة بين الأمان والسكينة لمن ينتظرون الرب مقابل العجز واليائس في جانب الذين يثقون في قوة البشر والموارد البشرية.

«ذراع البشر سوف يخيِّب رجاؤك
فلا تتكل على قوتك»

خصال الملك المثالي
(أم ١٦: ١٢-١٥)

كان من الطبيعي بالنسبة لسليمان، كواحد من أبرز ملوك إسرائيل، أن يتحدث عن فضائل ورذائل الملك، وأن يرمز لمظاهر السلطة والمتع الملكية، ففي القسم الذي أمامنا، يرسم سليمان صورة رباعية للملك المثالي.

١- يحب البر (١٦: ١٢).

كما أن الله يكره كل غش (١٦: ١١)، هكذا الملوك الذين يقيمهم يجب أن يكرهوا الشر والباطل. ولأنه عادل، فيجب على الملوك والرعية والاستجابة لهذه الرغبة.

٢- يسر بشفاه الحق (١٦: ١٣)

إن عدداً كبيراً من ملوك إسرائيل لم يبتهجوا بشفاه الحق ولا أحبوا أولئك الذين كان حديثهم مستقيمًا. فلو كان صدقيا محبًا لشفاه الحق، لما ضرب النبي التقي، ميخا، على الفك (٢ أخ ١٨: ٢٣).

٣- يكبح جماح غضبه (١٦: ١٤، ١٩: ١٢)

لقد تسبَّب غضب الملوك في قتل أعداد كبيرة من البشر، تسبَّب غضب هيرودس وحقده بسبب ميلاد المسيح كملك على اليهود في موت أطفال أبرياء، إننا عندما نتحكم في أنفسنا، نكون أقوى من ملك يحكم مدينة.

٤- في نور وجهه حياة (١٦: ١٥، ١٩: ١٢)

لقد تم تجنُّب غضب الملك، فإن رضاه يكون كالطل على العشب، ولذا لا يجب أن يغيب عن أذهاننا أن الطبيعة الإلهية تحتوي على كل من الصرامة واللطف في آن واحد. ويكفي أن نقول إن الله هو الملك المثالي، وهو ملك الملوك الذي في نور وجهه حياة.

الوقوف أمام الملوك
(أم ٢٢: ٢٩)

يعتبر يوسف مثالاً مناسبًا لهذا المثل. فقد صار التالي بعد فرعون نظراً لأنه كان باراً وحكيمًا ومجتهداً (تك ٤١: ٤٦). ليس كل من يعملون بجد في عمل شريف، يدعون للوقوف أمام الملوك، الفكرة الكامنة وراء المثل أن الاجتهاد يمكِّن الشخص من أن ينجح، وفي النهاية يرقي لمنصب أعلى.

مجد الملك
(أم ٢٥: ٢، ٣)

«وضوح القانون البشري يمجد الإنسان، ولكن عدم القدرة على فحص القانون الإلهي يمجد الله، فمجده يُرى في عجائب الكون وفي الخليقة، وهذه لا يصل إليها فهم الإنسان. أي ٣٦-٣٩» هذا هو التفسير الذي ورد في «تعليق الطالب» Studant's Commentary على هذه الفقرة. إن كل اكتشافات العلم المبهرة ما هي إلا كشف لأسرار الطبيعة التي أخفاها الله، الذي هكذا رتب الأشياء حتى لا يزعم الإنسان أنه شيء ويقارن نفسه بصانعه، بل يدرك ضآلته وصغر حجمه (رو ١١: ٣٣).

مجد الملوك فحص الأمر، إنهم يحاولون أن يعرفوا الطريق من خلال المصاعب السياسية والمشاكل القومية «لو كانوا صالحين وأبراراً، فإنهم يكشفون القناع عن الجرائم المستترة وطرق الخداع. وفي معظم الأحيان فإن قلوب الملوك - وعامة الناس أيضًا - لا تفحص. ولا يجب أن نطمع في كرمهم ونظن أننا نعرف ما يدور في

عقولهم (انظر أم ٢٣:١،٢).

الملوك الشيوخ الجهلة
(جا ٤: ١٣، ١٤)

من سخرية القدر أن الملك الذي كتب هذا العدد أصبح جاهلاً عندما وصل إلى ختام ملكه، ورفض أن يطيع عندما حثه الرب أن يفعل ذلك (١مل ٣:١٤، ٩:٣-٩).

والفقراء قد يكونوا أحكم من ملوك أثرياء، ونقتبس «تعليق الطالب» مرة أخرى فنقول إن «يربعام كان الشاب الفقير المجتهد الذي خرج من السجن وجُعل ملكًا: بينما ملك رحبعام، الشاب الثاني، بدلاً من أبيه، وقُبل من الشعب فترة من الزمن، ومع ذلك لم يستمروا في «الفرح به» بل اتبعوا يربعام. وهكذا فعلى الرغم أن رحبعام وُلد ليجد مملكة وثراء أبيه، إلا أنه أصبح فقيراً، لأن ملك مصر أخذ ثروته ويربعام أخذ مملكته» مغبوطة هي الأمة عندما يكون ملكها أو حاكمها حكيمًا، سواء كان شابًا أم شيخًا!

الملك مخدوم من الحقل
(جا ٥: ٩)

هذا العدد مرتبط، ليس بما قبله بل بما بعده، وهو يحوي «تأملاً القصد منه التخفيف من الإحساس بالقهر عن رؤية الثروة وهي تُكتسب بالظلم، أي أن الثروة لا تضيف شيئًا يذكر للسعادة الحقيقية لمالكيها» فالرعايا الفقراء غالبًا يكونون أكثر سعادة من الملوك (جا ٥: ١٠-١٢).

على الملوك وغيرهم أن يتذكروا أن منفعة الأرض يجب أن تكون لكل أفراد المنطقة الذين يتعاونون لإنتاج المنفعة. في الماضي كانت الملكية الخاصة للأرض سببًا أساسيًا للفقر، وهو نظام لم يقصده الله أبداً، لأن الأرض ملكه هو.

حجال (حجرات) الملك
(نش ١:٤)

هذه القصيدة الشعرية الغنائية كتبها الملك سليمان (١:١)، وقد كان من المناسب له أن يستخدم لقب «ملك» لإيضاح فكرة الزواج والاتحاد القائم بين المسيح وكنيسته. ليس من الصعب أن نربط بين الملك الذي يدعونا إلى حجاله بالملك المجيد في مزمور ٢، والملك الذي يتحدث عنه داود في مزمور ٥٥.

يذكر ستيورات في تفسيره المعبَّر «لنشيد الأنشاد» هذا التعليق على الحجال الملكي. «إن الملك الذي يخلو بنفسه في الحجال المجيد لجلالته ونعمته، قد ترك خارجًا النفس التي تطلبه، وتحاول النفس أن تقترب منه يدفعها لذلك إحساس بالخسارة، وليس المكسب ولذلك فهي تتحرك بدافع الصلاة واللجاجة والرجاء، وهي تصف من الذاكرة حجال الملك وهي ترغب أن تدخل إليه بحماس».

وفي حين أنه صحيح أن المسيح سوف نراه ونخدمه كملك، فهل نعرف حقًا ملكه في الميدان الروحي؟ وبما أن المسيح مخلص لنا، فهل نكرمه كمليكنا؟ هل توجناه ربًا على الكل؟ هل يملك على فكرنا وحبنا ورغباتنا؟ إن كان الأمر كذلك، إذن فالرفقة معه في حجاله تكون حلوة.

الملك على مائدته (في مجلسه)
(نش ١:١٢)

المائدة في الكتاب المقدس، رمز الرعاية والصداقة. ففي عشاء الملك الطقسي، يجلس مع شعبه ويغدق عليهم

* في اللغة الإنجليزية وردت «على مائدته» (المترجم)

رضـاه الملكي. وهم بدورهم يفرحون بهذه الصداقة الحميمة وهذا الامتياز فنعمته وحضوره يجلبان أريج ناردين الحمد والعبادة والمحبة. عندما جلس الملك أمام مائدته، امتلأ البيت برائحة ناردين مريم (يو ١٢: ١-٣).

ملك أسر بالخُصَل
(نش ٧: ٥)

هذا الرمز الشيق يبدو أنه يشير إشارة خاصة إلى شعر الرأس الذي «كالأرجوان» تلك الخُصَل القديمة الآسرة التي كانت لبنت الكريم (٧: ١) والتي كانت تمتلك بها قوة تعادل قوة خصل شمشون قبل أن تُقص على يد الزوجة الخائنة، وكانت تجذب إليها الملك.

إن الشعر المنسدل على رؤوس العذارى الجميلات، الموصوف في هذا الأصحاح، كان طويلاً وحريريًا جذابًا حتى أن الملك كان يمكن أن يؤسر بها، وقد تم التعبير عنه بأسلوب شعري جميل.

ونحن الآن، كما لو كنا نجلس في ردهات قصره، ولكن عندما يظهر، فإنه سوف يختطف ابنته، كنيسته (مز ٤٥: ٩-١٥) ليدخلها إلى داخل جناحه الخاص به.

ملوك في ثياب ناعمة
(مت ١١: ٨)

تنازل يوحنا المعمدان عن الكثير من المباهج والامتيازات عندما اعتزل المجتمع وعاش في البراري لينادي بقدوم الملك، فلأجله افتقر يوحنا. يقول اليكوت إن هذه الفقرة لها مدلول أكثر تحديداً عما يبدو للوهلة الأولى، وهي تقتبس حقيقة مأخوذة من المؤرخين اليهود.

«في الأيام الأولى لهيرودس الكبير، تعلّق نفرمن الكتبة بسياسته وحزبه، وبذلك تخلوا عن الثياب القاتمة التي يفرضها عليهم نظامهم، وكانوا يظهرون في الثياب الفاخرة التي كان يلبسها أفراد حاشية هيرودس والذين يجلسون في مجلسه».

ولكن بالنسبة ليوحنا، كان الأمر مختلفًا، لأنه لم يكن رجلاً حزبيًا أو رجل سياسة. إنه رفض أن يشارك في مباهج القصر أو يطلب رضا الأمراء. لم يكن يوحنا لابسًا ثيابًا ناعمة أو حللاً بهية، بل الثوب الخشن الوبري الذي كان يلبسه النبي. لم يحيا حياة الترف بل كان يقتات على طعام الصحراء من الجراد والعسل البري.

القديسون كملوك
(رؤ ١: ٦، ٥: ١٠)

جعلنا ملوكًا وكهنة لنملك على الأرض! ياله من امتياز مذهل لنا! ياله من مركز مجيد ينتظرنا! وكخطاة مطهرين، فقد أصبحنا مستحقين لعلاقة ثنائية تجمع بين كرامة الملوك وأحقية الكهنة في الاقتراب من الله، كنتيجة لإتمام العمل الذي قام به ذاك الذي كُلل بتاج الشوك.

«وكانت الأشواك الحادة من نصيبك، وأصبح لي التاج الذهبي، لقد ربحت الحياة، وأنت وضعت حياتك لأجلي».

نحن «ملوك» و«كهنة»، ملوك أولاً، لأننا يجب أن نملك في الحياة بيسوع المسيح، قبل أن نؤدي عملنا ككهنة في الصلاة وخدمة الأقداس. إن الملك الكاهن السماوي يعطينا أولاً هبة أن نصبح ملوكًا، لنا السلطة على أنفسنا أولاً «أول وأفضل وأجود من كل ملكية»، ثم نصبح ملوكًا بين البشر لنا السلطة على تأسيس وامتداد البر الإلهي بين الآخرين. وبحسب هذه الملكية فنحن نمثل الله بالنسبة للبشر. ووفقًا لكهنوتنا فنحن نمثل البشر أمام الله.

الملوك

الفعل مستخدم في المضارع، فنحن نملك مع المسيح وفي المسيح، هنا والآن. يتعامل بولس مع الناموس والنعمة كملكين متعارضين «قد ملك الموت، ملكت الخطية» (رو ٥: ١٤، ٢١) «تملك النعمة» (رو ١٧:٥، ٢١). لنا السيادة والسيطرة على الخطايا البشرية والمخاوف والآلام، وهناك أيضًا الجانب المستقبلي لهذه الملكية.

الكهنة

هذا الوصف للقديسين يدل على تكريسهم لإرادة وعمل رئيس الكهنة الأعظم، حتى لو وصل الأمر بهم لأن يموتوا (رؤ ٢: ١٠). إننا لا نمارس سوى النذر اليسير من هذه الخدمة الكهنوتية لأجل الآخرين! إن كل ابن لله قد جُعل كاهنًا ويجب أن يعرف هذا الامتياز ويستخدمه. ليت الله يهبنا نعمة حتى لا ننسى أبداً مركزنا السامي المزدوج، ولا نهرب من ممارسة تبعات هذا المركز! إن تذكرنا الدائم لذلك يمنحنا قوة الشهادة. ويضفي علينا مهابة شخصية (أف ٢: ٦).

الجراد وملكه
(رؤ ٩: ١١)

إن الملك سليمان، ذلك الباحث المدقق للطبيعة، يقول إن «الجراد ليس له ملك» (أم ٣٠: ٢٧)، ولكن يوحنا يؤكد أن للجراد ملكًا. فما السر في هذا التناقض الظاهري؟ إن الجراد الذي يتحدث عنه سليمان جراد طبيعي - أما الجراد الذي يتحدث عنه يوحنا فهو جراد رمزي هناك لفظان يستخدمان للدلالة على الشيطان وهما أبدون أو أبوليون والشيطان ملك لجيش كبير من عملاء الشر، يمارسون تأثيراً شريراً. إن ملاك الهاوية أو رئيس المملكة الجهنمية، يجري دماراً شاملاً على الأرض، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

إن ادعاء السلطان الملكي من قبل هذه الجيوش التي يتحكم فيها الشيطان إدعاء زائف. إنهم يقلدون إكليل الذهب الذي يتوج رأس ابن الإنسان (١٤: ١٤) وأيضًا أكاليل الشيوخ المنتصرين أو المفديين (٤: ٤). ولكن هؤلاء الغزاة الجهنميين ليسوا متوَّجين بالذهب. إن تيجانهم يعتقد أنها تيجان تشبه الذهب.

ها نحن في نهاية دراستنا المثيرة والمفيدة لملوك الكتاب المقدس، والمؤلف يسعده أنه بناء على إرشاد إلهي، قد أعد كتابًا سوف يجد فيه محبو الكتاب المقدس في كل مكان خدمة تفيدهم في البحث عن الحقيقة، وكلمتنا الأخيرة، إننا يجب أن نتذكر أنه سواء كان حكام هذا العالم صالحين أو طالحين، فعلينا أن نكرمهم (أم ٢٤: ٢١، ٢٥: ٦، جا ٨: ٢، ١٠: ٢٠، رو ١٣: ١-٥، ١بط ٢: ١٣، ١٧)، وأن نصلي لأجلهم أيضًا (١تي ٢: ١٠)، وليت الله يهبنا نعمة لنكون «طيبين ومراعين لمشاعر الآخرين كالملوك في يوم تتويجهم» كما عبر عن ذلك (درايدن).

القسم الثاني

ملكات الكتاب المقدس

مقدمة

ليس هناك العديد من الملكات اللاتي يُزين معرض صور ملوك وملكات الكتاب المقدس، هناك ملوك كثيرون، ولكن الملكات نادرات، ويتضح هذا من حقيقة أن الكلمة ملك، ترد أكثر من ٢٠٠٠ مرة في الكتاب المقدس، ولكن اللفظ المقابل «ملكة» لا ترد سوى حوالي ٥٠ مرة. إن علماء المصريات قد كشفوا النقاب عن آثار وموميات عدد قليل من الملكات القديمات مثل : نفرتاري، وأنسيرا، ونتيم موت، وثي، وحتشبسوت التي يعرِّفها بعض الكُتَّاب بأنها ابنة فرعون التي أنقذت وتبنَّت موسى، ولكن الكتاب المقدس صامت حيال أغلبية ملكات الأسرات المتعاقبة.

نحن نجد أمامنا الملوك بكل أبهتهم ومجدهم، ولكن في معظم الأحيان لا نجد ذكراً حتى لأسماء زوجاتهم والتأثير الذي تركنه، مع أن أسماء أبنائهن مدوَّنة. إن معظم ملكات الكتاب المقدس مشار إليهن عَرَضًا.

إن المركز المتدني للنساء منذ آلاف السنين من بين الأسباب المقدمة لهذا الإغفال. ففي عصور العهد القديم، لم تكن المرأة قد حصلت على الحقوق والمساواة التي تتمتع بها حاليًا. فالتعليم والحركات النسائية والمطالبات المستمرة بالحقوق النسائية وفوق الكل انتشار المبادىء الكتابية قد أكسبهن الحرية والاعتراف اللذين يتمتعن به الآن. إن النساء مدينات بالشيء الكثير للمسيحية أكثر من الرجال، كما تثبت ذلك صيحات النساء الوثنيات. وعندما لا يكون الله المركز الأول في أمة من الأمم، فإن النساء أول من يدفع الثمن.

مع أن قدامي اليهود كانوا ينظرون للنساء باحترام أكثر من الأمم الأخرى، إلا أنهم لم يعتبروهن صالحات للوجود في المراكز القيادية. فعلى مدى التاريخ الإسرائيلي كله، لا نجد تسجيلاً سوى لحالتين فقط من النساء قد مارستا مهام الحكم، هناك بالطبع، حالات تدل على تأثير المرأة من خلف الرجل، كما في حالة ايزابل وآخاب.

أولاً، أمامنا الحالة الاستثنائية لدبورة - واحدة من أشهر نساء الكتاب المقدس - النبية والقاضية والملكة والمحاربة والشاعرة (قض ٥:٤) لقد كان بإمكانها أن تقول بجسارة:

«الملوك توقفوا في إسرائيل، توقفوا

حتى قمت أنا دبورة

قمت أمًا في إسرائيل»

إن العبقرية والموهبة قد مكَّنتاها من مواجهة الحالة الطارئة في أمتها والكارثة التي ألمت بها. ولذا فقد أصبحت أول امرأة تقود الرجال، أول امرأة تحتل منصبًا قياديًا في الكتاب المقدس، ذات وطنية حماسية تحرر مثل هذا الانتصار لإسرائيل حتى أن الأرض استراحت من الحروب لمدة أربعين سنة.

ثانيًا، أمامنا سجل عثليا، التي يعوزنا أن نستفيض في الحديث عنها، والتي حكمت إسرائيل لمدة ست سنوات، وكامرأة مغتصبة للملك ومكروهة، فقد استولت على زمام الحكم، وحكمت كملكة على المنطقة. «باستثناء ذلك، لا توجد حالة في التاريخ اليهودي أو تاريخ العهد القديم، نجد فيه امرأة ملكة» بمعنى أن تتولى زمام الحكم.

وحتى زوجة الملك الحاكم لم يكن يتم الحديث عنها مباشرة كالملكة. كان يطلق بالفعل على ايزابل ومعكة اللفظ ملكة،

ولكن في كلتا الحالتين كانت الملكة الأم (أم الملك الحاكم)، وليس كزوجة له أو حاكمة (٢مل ١٠:١٣،١ مل ١٥:١٣).

كان نظام السراري وتعدد الزوجات ضمن عادات وتقاليد العالم القديم، ولم تكن المواقف والأفعال تجاه نساء الملوك القدامى خاطئة طبقًا للوائحهم التقليدية والأخلاقية، ولا يصح أن يُحكم عليها ويتم إدانتها وفقًا لمعاييرنا الأكثر استناره، فداود «أخذ سراري وزوجات من أورشليم» وسليمان «أحب نساء غريبة كثيرة.... وكان له ٧٠٠ زوجة، ملكة، و ٣٠٠ سرية». واليوم، فمن المخالف للقانون والمضاد للائحة الأخلاقية للرجل أن يأخذ أكثر من زوجة واحدة، فإذا اتُهم بأنه اتخذ زوجتين في وقت واحد، فإنه يُسجن.

فتعدد الزوجات إذن كان يقلل من نفوذ ومركز زوجات الملك اللواتي كن يتقاسمن مشاعر الملك، كان الملوك والحكام يحتفظون بأعداد كبيرة من الحريم، كما يفعل بعض الملوك الشرقيين الآن. في العادة كانت هناك زوجة رئيسية لها الأولوية على الزوجات الآخريات، ولكن على أحسن الفروض كان ذلك يتوقف على أهواء الملك، وليس كشيء ثابت، ومن بين زوجات سليمان العديدات «والستين ملكة» «اللواتي لم تذكر أسماؤهن، حتى زوجته الأولى، ابنة فرعون، كانت واحدة هي المفضلة - واحدة فقط (نش ٦:٨،٩) من كانت تلك المرأة المحظوظة التي كان لها امتياز كسب ود الملك؟ أيا كانت تلك المرأة، فمثل هذا التملق كان كافيًا ليدير رأسها.

يقول إليكوت: «كانت العادة عند الفرس أن زوجة واحدة للملك يكون لها التفوق على الآخريات. وكانت أحيانًا تمارس سلطة تتناقض بغرابة مع المركز المتدنِّي للنساء عمومًا، كانت أتوسا أم أحشويرش واحدة من هؤلاء النساء، وكانت وشتي أيضًا هي الملكة المميزة.

لم تكن النساء الآخريات، باستثناء الزوجة الرئيسية، يشعرن بأي مهانة تلحق بمركزهن، فلم يكن لهم، كجوارٍ، أي مركز قانوني، وكان يمكن التخلص منهن في أي وقت. كانت أي واحدة منهن تحسبه شرفًا لها أن «تجد نعمة في عيني سيدها»، وكان الأبناء الذين يولدون لهن، تابعين للحريم.

تزوج عدد كبير من الفراعنة، بشكل رسمي تمامًا، من أخواتهم أو بناتهن، لحفظ أملاك الملك وكنوزه داخل محيط العائلة، يقول (ليونارد كوتربل) «لم تكن صلة القرابة عقبة أمام الزواج في مصر القديمة. كانت الملكات غالبًا يتزوجن إخوتهن، وأحيانًا يتزوج الملوك بناتهم، كما في حالات سنفرو ورمسيس الثاني وأمينوفيس الرابع». وتزوجت كليوباترا أولاً أخاها الأكبر، وبذلك أصبح له الحق في العرش، وعندما مات، تزوجت كليوباترا أخاها الأصغر الذي حكم بموجب هذا الزواج.

الفصل الأول

الملكات الأمميات في تاريخ الكتاب المقدس

في هذه الأيام عندما نردد كلمة «ملكة» ونحن لدينا كل أنواع الملكات التي يمكن تخيلها مثل - ملكات القطن، وملكات الكرنفال، وملكات الحليب، وملكة اليوم .. إلخ، من الضروري أن نقرر ما نعنيه بكلمة «ملكة». إن القاموس يصفها بأنها زوجة أو رفيقة ملك... وطبقًا لما تعنيه الكلمة «ملكة» في المفهوم المعتاد في اللغة الإنجليزية، فهي تعني من لها الحق أن تحكم أو زوجة الملك الحاكم، إن ملكة سبأ هي أول من أطلق عليها تلك التسمية في تاريخ الكتاب المقدس.

وعند اليهود، كانت الملكة الأم تتمتع بمقام ثابت يحظى بالتكريم، وكانت تنال اعترافًا خاصًا وكرامة كما نرى في حالة بتشبع (١مل ٢:١٩) ومعكة (١مل ١٥:١٣).

يقول هاستنجز: «كانت الملكة كزوجة للملك في إسرائيل تحتل مركزاً ذا أهمية قليلة نسبيًا، بينما كانت الملكة الأم تحظى بقدر كبير من النفوذ».

ملكة سبا

(١مل ١٠:١-١٣، ٢أخ ٩:١-١٢، مت ١٢:٤٢)

الملكة الباحثة

على الرغم أنه لم يدوَّن اسم ملكة التَّيْمن (الجنوب) هذه، التي جاءت إلى سليمان، إلا أن يوسيفوس يقول إن اسمها نيكاولي Nikauli. وكانت تُعرف عند العرب باسم بلقيس أو مكيده، يعتقد الأحباش (الأثيوبيون) أن سليمان تزوج ملكة سبأ وأنجبا سلالة من الملوك نتيجة لهذا الزواج.

سبا كلمة تعني «راحة»، وهو إقليم يقع بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومشهور بالتوابل والجواهر والذهب (مز ٧٢:١٠، إش ٦٠:٦) وقد أُسمى على اسم سبا، حفيد كوش، الذي استقر في أثيوبيا (تك ١٠:٧). ولذلك كانت ملكة سبأ من الجنس السامي وليست غريبة تمامًا عن نسل إبراهيم. لم تكن الملكات شيئًا غريبًا في المنطقة التي كانت تعيش فيها (أع ٨:٢٧). تقول الأساطير إنها كانت ملكة على المملكة العظيمة لجنوب بلاد العرب وكانت مشهورة بجمالها وثروتها وأبهتها.

عن طريق التبادل التجاري، سمعت الملكة عن حكمة وثروة سليمان، وقد صممت أن تكتشف بنفسها حقيقة كل ما سمعته، ولذا أمامنا سبع خطوات في بحثها، لأنها سمعت، وأتت، وقابلت، ورأت، وقالت، وأعطت، وعادت. هناك أسطورة تقول إن الهدهد، وهو طائر غريب ومدهش والذي طالما احتفى به الأدب، أخبر سليمان عن الملكة، ووصف كيف كانت تجلس على عرش من ذهب وفضة ولآلي وأحجار كريمة. وقد خلبت القصة لب سليمان لدرجة أنه أمر قوته السحرية والريح. وفي الحال نقل نفسه إلى بلدها حيث رأى الملكة وشعبها الذين كانوا يعبدون الشمس، ثم أعطى الهدهد بعد ذلك خطابًا إلى الملكة،

يأمرها فيه بأن تعبد الله، تأثرت الملكة تأثراً بالغًا، فزارت سليمان في عاصمته الشهيرة في كل أنحاء العالم.

يقول الكتاب إن الملكة لما «سمعت بخبر سليمان لمجد الرب»، أتت لتمتحنه بسؤال ليس هذا حب استطلاع باطل، ففي حالة الملكة، كان حب الاستطلاع هو السلم الذي تقف عليه والمؤدي للإعلان والحكمة السامية. قامت الملكة برحلة طويلة، بمقاييس تلك الأيام، وتكاليف خرافية، لتجلس أمام سليمان وتعرف حكمته. لم تشعر بأن أي جهد يمكن أن يكون شاقًا، أو أن أي ثمن يمكن أن يكون باهظًا في سبيل التعرف على حكمة الملك الفائقة.. أنها لم تأت في زيارة رسمية أو لتعقد معاهدة من نوع معين، أو حتى لتشهد أبهة سليمان. كان بحثها عن الحكمة وعن معرفة أكمل بإله سليمان (إش ٦٠:٣، ٦، ١٩، ٢٠). وتعليقًا على بحث الملكة فيما يتعلق باسم الرب، يقول دكتور الكسندر ماكلارن: «إن التفسير الطبيعي لهذه الفقرة أن شهرة سليمان فيما يختص بالمعرفة وقدرته على تعليم اسم أو طبيعة الرب المعلن عنها، قد وصلتها في مملكتها البعيدة، ولهذا جاءت إليه».

ومن بين الاختيارات العديدة، التي يقول التقليد أن الملكة امتحنت بها حكمة سليمان، أنها أمسكت في يدها بباقتين من الزهور، إحداها زهور طبيعية، والأخرى زهور صناعية، ودون أن يتحرك الملك من عرشه، طلبت منه أن يفرق بينهما، ودون تردد، طلب فتح الشباك، فجاء النحل الذي كان يطن خارجًا واستقر على الزهور المأخوذة من الحديقة.

ليس هناك دليل على أن الملكة عرفت إله إسرائيل، ومع ذلك فبلاشك أنها سمعت من سليمان أن «رأس الحكمة مخافة الله». وعندما تركت الملك باركته قائلة: «ليكن مباركًا الرب إلهك (ليس إلهها أو إلههم بل إله سليمان) الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل» إن الصفة التي أطلقها اسحق دزرائيلي على الملكة بأنها «امرأة تافهة» قول لامبرر له على الإطلاق، وفي نهاية زيارتها لسليمان «لم يبق بها روح بعد» لقد تأثرت تأثراً عميقًا في الفكر والمشاعر.

إن ربنا قد أشار إليها بإعجاب، في سياق حديثه عن الدينونة المستحقة على جيله، حين دعاها «ملكة التَّيْمن» (مت ١٢:٤٢). يقول دكتور جيمس دين: «مدح يسوع أعظم شهادة يمكن أن تمنح لأي شخص، وحيثما نجده يحق لنا أن نتأكد أن هناك شيئًا متميزاً جديراً بالإعجاب».

إزاء كل الأبهة والروعة والثقافة والتجارة التي كانت عليها بلاد الملكة، لم تكن هي بحاجة لتخطب ود سليمان، لقد كانت تطلب توسيع أفقها العقلي والروحي.

«تنجذب النفوس العظيمة بعضها إلى بعض
تطلب التحالف وتذوب في الصداقة»

إديسون

ألا تمثل هذه الملكة عدداً من شابات اليوم اللاتي يشعرن بتعطش لمزيد من المعرفة والثقافة، وكل ما هو جميل وشاعري في الدين؟ إنهن إذ يقبلن على الحكمة، يصبحن حكيمات. إن الاحتكاك بأصحاب السمو العقلي، والإقبال على القراءة والبحث يثري حياتهن. ليت كثيرات من الشابات ينتهجن نهج ملكة سبأ ويحتذين حذوها!

إن لنا في المسيح ما هو أعظم من سليمان، ذلك الذي قيل عنه «لم يتكلم إنسان قط نظيره» إنه جاء ليجسد حكمة الله، وقد استمد منه سليمان الحكمة... ويعطيه من ذهب شبا» (مز ٧٢:١٥)، وعندما يأتي كالمسيا الذي يعترف به الجميع (إش ٦٠:٣، ٦، ١٩)

«يسجد أمامه الملوك

ويقدمون له ذهبًا وبخوراً»

قرأنا كلنا وسمعنا عن الأمجاد اللامتناهية لفادينا، الذي صار لنا حكمة، ولكن عندما نتفرَّس في بهائه في السماء، سوف نعترف كما اعترفت ملكة سبا قائلين:

«هوذا النصف لم أخبر به: زدت حكمة وصلاحًا على الخبر الذي سمعته»

وشــــتي
(أس ١: ٢)
الملكة التي تجاسرت أن ترفض

في حين أنه من المفترض عامة أن الملكة أستير هي بطلة السفر الذي يحمل اسمها، إلا أني أعتبر وشتي هي البطلة الأخلاقية لهذا السجل المثير. كانت الملكة وشتي ملكة أحشويرش، ملك الفرس «والذي ملك من الهند إلى كوش على مئة وسبع وعشرين كورة» زوجة لهذا الملك الجبار قبل اعتلائه العرش.

كانت وشتي بحكم المولد أميرة فارسية، يقول (بولنجر) إنها كانت ابنة أيلاتيس، ملك ليديا، الذي زوّج سياكريس لابنه استياجيس بعد معركة هاليس. ويقول كتاب آخرون إنها اميستريس الملكة المرافقة لأحشويرش في الحكم والملكة الأم لإبنه وخليفته. وشتي أيضًا اسم لإلهة وثنية عيلامية.

إن قصة وشتي النبيلة والمحزنة أيضًا في نفس الوقت قد وردت في سطور قليلة. فقد كانت هي الملكة التي تجاسرت على أن تعصى زوجها السكير، وقد أُقصيت عن الملك لرفضها استعراض جمالها أمام العيون الشهوانية للرؤساء السكارى. وفي السنة الثالثة لملكه، عمل أحشويرش احتفالاً ضخمًا دعا إليه الرؤساء والأمراء من مملكته المترامية الأطراف، وقد كان احتفالاً رائعًا ووليمة لا مثيل لها.

استمرت هذه الخلاعة والعربدة لمدة أسبوع، ولما لعبت الخمر برأس الملك، استدعى زوجته، الملكة، لتظهر أمام ضيوفه، تقول ماري هاليت «استعرض الملك أمجاد ثروته وسلطانه لمدة سبعة أيام، كان الرؤساء خلالها يتملقونه بمعسول الكلام، والآن جاءت لحظة الذروة! فقد تم استعراض ثراء الملك وأمجاده وكانت محط إعجاب الجميع فيما عدا شيء واحد - الملكة وشتي، والتي من المرجح أنها كانت أجمل امرأة في كل المملكة» ولكن وشتي لم تجبه إلى طلبه!

كلمة «وشتي» تعني «جميل» وقد أراد الملك من رؤسائه السكارى الفرحين أن «يمتعوا عيونهم بجمالها»، فقد كانت جميلة كما يوحي بذلك اسمها. لو كان الملك صاحيًا وغير ثمل، لما طلب من زوجته أن تستعرض نفسها في الوليمة، ولو كانت وشتي امرأة لعوب تافهة، لأذعنت لمطلب الملك، ولكن وشتي كواحدة من أنبل النساء، كان من الطبيعي أن ترفض هذا المطلب غير اللائق. لقد شعرت أنه ليس هناك امرأة لديها ذرَّة من عزة النفس كامرأة يمكن أن تقبل التعريض بشرفها وكرامتها. ثم إن مطلب الملك كان أكثر إهانة لإحساس وشتي بالنزاهة الأخلاقية، حيث أن ملكات الفرس لم يكن يظهرن علنًا في الولائم. ولهذا السبب كان لوشتى وليمتها الخاصة. لقد كانت ملكة تعمل حسابًا لشرفها كملكة أكثر من بريق مركزها الاجتماعي.

وهكذا أُقصيت وشتى عن الملك واستُبعدت كزوجة لئلا تتخذ كسابقة لعدم خضوع الزوجات لأزواجهن. يقول فاوست في هذا الصدد:

«يقول بلوتارك اتفاقًا مع هيرودوت إن ملوك الفرس

كانوا يجلسون زوجاتهم الشرعيات معهم إلى المائدة، ولكن عندما يفضلون أن يشربوا المسكر للصخب والعربدة، فإنهم يصرفون زوجاتهم ويستدعون السراري». فعندما طاب قلب الملك بالخمر استدعى وشتي كواحدة من السراري، ولكنها باعتبارها زوجة شرعية، لم تأت.

نحن لا نعرف ما حدث في النهاية لهذه الملكة الشجاعة. ومن المرجح أنه عندما استعاد الملك وعيه، ندم على ما انتابه من نوبة غضب، وشعر بالضيق عندما أدرك ما صدر من مرسوم ضد زوجته، ونحن نحب أن نعتقد مع ماري هاليت أن «وشتي استمرت تعيش في قصر الملك، بعد أن انتُزعت منها الملكية، إلا أن مبادءها السامية موشَّحة بالأرجوان، لم يكن عاراً بالنسبة لها أن «تقبل العار والهوان بدلاً من أن تتنازل عن الشعار الطاهر الذي كانت تتمسك به، شعار الحشمة وعزة النفس».

وما يعادل الإطاحة بعرش وشتي باعتباره ثمنًا غير باهظ نظير الأنوثة الظاهرة وفضيلة احترام الذات، نجده في ما قدمه لنا والتر سكوت في Kenilworth، فآمي (الزوجة السرية الجميلة لإيرل ليكستر، الذي أمرها أن تمارس «الازدواجية في التعامل مع الآخرين والتهرب من مواجهة الحقائق» حتى يحقق طموحاته غير الشريفة بالنسبة للملكة اليزابيث)، قالت بحماس شديد وحزم «لا يمكنني ياسيدي أن أضع أوامرك في كفة، مقابل الشرف والضمير في الكفة الأخرى، وفي هذه الحالة، سوف لا أطيعك، يمكنك أن تحقق أغراضك غير الشريفة، التي تنتمي لتلك السياسات الملتوية، ولكنني لا يمكن أن ألوِّث مقاصدي».

لم تكن آمي أكثر جدارة «بأشرف لقب في إنجلترا» مما هي عليه الآن في هذه اللحظة.

ألم يكن الأمر هكذا مع وشتي التي لم تكن ملكة بحق سوى عندما تخلَّت عن تاجها وصممت على تحمل الذل والهجران؟ إن حشمتها الأنثوية الممتدحة أنقذتها من خسارة أكبر من خسارة التاج الملكي، فمن الأفضل أن تهلك من أن تفقد نعمة الاحتشام الملكي واحترام الذات، احتفظت وشتي بالشخصية الملكية المثالية، أندر جوهرة، وأمجد التيجان الملكية التي يمكن لامرأة أن ترتديها.

كانت وشتي مخلصة «للخصال الملكية الفطرية وسوف تبقى طالما بقى العالم، ملكة، بالحقيقة، لأنها اتبعت الصواب لأنه كان صوابًا.

تشفنيس
(١ مل ١١: ١٩، ٢٠)
الملكة الكريمة بالفطرة

لم يذكر اسم هذه الملكة في التاريخ العالمي أو فوق أي أثر من الأثار المصرية، هناك قراءة أخرى تشفنيس، وبتعديل بسيط أصبح تشفنيس، وهو اسم لمدينة مصرية، وقد أعطى الاسم أيضًا لإلهة مصرية، كانت العائلات الملكية القديمة في الشرق تطلق عادة أسماء الآلهة على أفرادها.

كل ما نعرفه عن هذه الملكة مذكور في عددين، إن تحفنيس مهمة فقط لارتباطها بهدد، ابن ملك أدوم، الذي عندما كان طفلاً حمله عبيد والده إلى أرض مديان، ثم إلى مصر، عندما كان ذكور أدوم يُقتلون على يد يوآب قائد داود.

أحيط الطفل بعناية خاصة، فأعطاه ملك مصر بيتًا وأراضٍ، وأخيراً أخت زوجته الملكة تحفنيس، لتكون زوجة له، وُلد لهما ابن يسمى جنوبث الذي فطمته تحفنيس، بلاشك بعمل وليمة عظيمة كالمعتاد (تك ٢١:٨)، وكان هذا دليلاً على الاعتراف به في العائلة الملكية، والعيش

في بيت فرعون، حتى ينشأ ويتعلم كأمير مصري.

إن الفرعون الذي تزوجته تحفنيس كان يحكم عند نهاية ملك داود وبداية حكم سليمان، وكان من الأسرة الـ ٢١ الضعيفة، ولم يكن يبدو أنه كان قويًا بنوع خاص، وما تعرفه عن هذين الزوجين الملكيين يشكِّل قصة قديمة طريفة، نشكر الله لأجلها.

يبدو أن كلا من فرعون وزوجته كانا يتميزان بالكرم، والصورة الخاطفة التي رسمناها عنهما توحي بأنهما كانا يستمتعان بحياة عائلية كانت ملهمة وباعثة على السرور. ومع أن هدد لم يكن من الأقارب، إلا أنهم عملوا معه ما عمله مردخاي مع أستير اليتيمة. إن هذه الصورة للحياة المصرية القديمة في القصر الملكي، والأخلاق السائدة فيه تساعد في جعل الكتاب المقدس القديم هو الكتاب الحي والذي يحتوي على اللمسة الإنسانية التي فيه. هناك الكثير الذي يمكن أن يكون بين السطور عن تبنِّي الأمير الهارب، وتعليمه وزواجه، وتربية ابنه، والاهتمام الذي أظهرته الملكة تحفنيس بابن أختها الصغير، وعدم رغبة فرعون، الذي كان قد تقدَّم في السن، في أن يجعلهم يتركون البيت الملكي، وكل ذلك دلالة على الحياة العائلية السعيدة، وكم تعتبر لحظات الصمت في الكتاب المقدس أبلغ من الكلام!

هيـــروديـــــا
(مت ١٤: ١-١٢، مر ٦: ١٧)
الملكة المتهمة بارتكاب جريمة الزنا

كانت هيروديا الطموحة الشريرة، إيزابل العهد الجديد، ابنة أرسطوبولس، وبرنيكي أخت هيرودس انتيباس وحفيدة هيرودس الكبير، كانت تجري في عروقها الدماء اليهودية لأنها كانت تنتمي إليهم جزئيًا، وقد تزوجت عمها هيرودس فيلبس وأنجبت منه سالومي. وكانت ابنة أخ هيرودس الذي تزوجته.

دفعتها الشهوة والكبرياء لترك زوجها الأول لتعيش في الخطية مع هيرودس انتيباس، ومثل هذا الزواج غير الشرعي، والذي كان يعد وفقًا لناموس موسى، من المحرمات المضاعفة لسفاح القربي، هز ضمير ومشاعر قادة اليهود وجلب على هيرودس وهيروديا توبيخًا قاسيًا من يوحنا المعمدان، الكارز بالبر والتوبة، والذي جلبت إدانته لخلاعتها إحساس الملكة بمرارة الحقد عليه. الملكة، كم كانت هيروديا غير جديرة بهذا اللقب الملكي!

إن هيرودس الذي كانت أول زوجة له هي إبنة أرتياس، ملك البتراء العربية، وصفه ربنا بأنه ثعلب» (مت ١٤: ١، لو ٣: ١٩، ٩: ٧)، وهو وصف ينطبق على شخصيته، لأنه كان رجلاً ماكراً وليس قويًا، ولابد أن مكره قد خدمه كثيراً، لأنه احتفظ بعرشه سنين عديدة.

إن شهرة هيرودس أعمت عينيه عن أن يرى الشر الفظيع الذي ارتكبه، كما أن الفساد الأخلاقي المدمِّر في أسرته، قد كشف عن نفسه في زواجه من هيروديا، زوجة أخيه، وقد أثبتت هذه الشهوة أنها سر دماره، يقول يوسيفوس إن هيردوس كان صدوقيًا، مما يجعل ملاحظاته التي قالها فيما يختص بيوحنا المعمدان دليلاً صارخاً على قوة غلبة الضمير على إرادة الإنسان وسفسطات الإلحاد (لو ٩: ٧). في ثورة غضبه سجن يوحنا، ثم ليرضي حقد زوجته، قطع رأس أعظم الأنبياء لإرضاء رغبة المرأة التي كانت تكره أن تسمع كلمة حق.

انتظرت هيروديا الماكرة لليوم المناسب «لتعاقب» النبي، وجاءت الفرصة المواتية يوم عيد ميلاد هيرودس، وإذ كانت تعلم نقطة ضعف هيرودس، كما كانت مدام دي باري تعرف نقطة ضعف لويس الخامس عشر ملك فرنسا،

أرادت أن تجعله ينفذ إرادتها، حتى وان كان ذلك يعني التضحية بوقار وحشمة ابنتها. وهكذا رقصت سالومي في ثوب شفاف لا يكاد يخفي جسدها في رقص ذي طبيعة دنسة وشهوانية، وقد كان ذلك مألوفًا بما فيه الكفاية في الولائم الشرقية والرومانية، ياله من ازدراء طائش بحشمة ووقار الفتاة! وكم كان الرفض النبيل لوشتي على طرفي نقيض من ذلك.

يخبرنا يوسيفوس، المؤرخ اليهودي، أن هيروديا كان لها ابنة اسمها سالومي من زوجها الأول، أخو هيرودس، فيلبس، تزوجت سالومي أولاً ابن عمها الأول ثم أخيها غير شقيقها، وبعد ذلك أصبحت زوجة لأرسطوبولوس، ملك خلقيا، وكانت سالومي التي حضرت عند الصليب زوجة زبدي وأمًا للرسولين يعقوب ويوحنا، ولذا فهي امرأة مختلفة عن ابنة هيروديا.

لما لعبت الخمر برأس هيرودس، وعد سالومي بأن يعطيها أي شيء تطلبه، فخرجت من قاعة الوليمة وسألت أمها الشريرة عما يمكن أن تأخذه بسبب وعد رئيس الربع. وفي الحال استغلت هيروديا الفرصة وأخبرت ابنتها أن تطلب رأس يوحنا. خاف هيرودس، كمعظم الرجال الضعاف، أن يُتَّهم بالضعف وأمر بقطع رأس يوحنا في السجن في قلعة مكايروس. وهكذا استسلمت حياة برئية و«رحل عن الأرض واحد من أعظم أبنائها».

وكم كان منظراً بشعًا أن يقدم الرأس المخضب بالدماء على طبق لسالومي وهيروديا! يقول التقليد إن موت سالومي كان عقابيًا من الناحية الشكلية، فقد سقطت على الثلج، وفي سقوطها انفصلت رأسها عن جسدها، «بالكيل الذي به يكيلون يكال لكم».

إن هيردويا، مصدر خطية هيرودس، أصبحت أيضًا مصدراً لخزيه، فبإيعاز منها ذهب إلى روما سنة ٣٨م ليطلب من الإمبراطور كاليجولا لقب الملك، الذي كان قد مُنح لتوه إلى ابن أخيه هيرودس أغريباس، ولكن كما يذكرنا فاوست، أنه بدلاً من الترقية، فقد مملكته وأبعد إلى ليول، ثم إلى أسبانيا حيث مات.

«كان العمل الوحيد المخلص في حياتها (من الناحية الإنسانية) أنها فضلت أن تشارك هيرودس في المنفى بدلاً من أن تقيم في البيت في وطنها» لاشك أن الخطاة «يأكلون من ثمر طريقهم ويشبعون من مؤامراتهم» (أم ١: ٣١، إر ٢: ١٩).

كنداكة
(أع ٨: ٢٧، ٢٨)
الملكة ذات البشرة السمراء

إن اسم كنداكة يعني «الغفران» والاسم له جْرس حلو، وكنداكة ليس اسمًا بل لقبًا لملكة إثيوبيا السمراء، تمامًا كما أن فرعون كان لقبًا أو اسمًا لأسرة. كانت النساء أرامل الملوك لهن حق الجلوس على العرش، وكان يطلق اسم كنداكة عليهن جميعًا، يقول بليني إن حكومة أثيوبيا كانت في أيدي النساء اللواتي ظللن في مرات عديدة متعاقبة يحملن نفس الاسم كنداكة. والآثار المصرية تؤكد أيضًا التميز الذي كان من نصيب الإناث كملكات وحاكمات. ويذكر سترابو ملكة ميرود في أثيوبيا تحمل اسم الملكة الأثيوبية التي نحن بصددها. وفي المتحف البريطاني يمكن أن نرى غطاء لتابوت حجري يحمل اسم إحدى الملكات التي يطلق عليها كنداكة.

والقصة التي أمامنا تتحدث عن خدمة فيلبس البشير في السامرة وكيف أن الله قاده إلى البرية ليقابل عضواً بارزاً في حاشية الملكة، فقد كان وزيراً أو مشرفًا على جميع خزائنها، وهو عائد لإثيوبيا بعد رحلة دينية إلى

أورشليم.

ومن قراءة النص وتفسير ما جاء في إشعياء ٥٣، فقد اقتيد «الخصي ذو النفوذ البارز» لقبول المسيح كمخلص شخصي له، واعتنق المسيحية وتم عماده على يد فيلبس على قارعة الطريق.

كان يمكن للخصي الذي تغير أن يعود إلى الشعب الجاهل الجالس في الظلمة، ويحتفظ بمعرفته عن حب المخلّص وتضحيته لنفسه، ولكن الخبر كان أعجب مما يستطيع أن يجعله خبيئا في قلبه. يقول يوسابيوس، مؤرخ الكنيسة الأولى إن الخصي المتجدد عاد لمسقط رأسه، «وبشّر هناك بمعرفة إله الكون وتنازل المخلص ليسكن مع البشر» هناك تقليد أثيوبي يدعو الخصي بالاسم «يهوديًا» ويقول إنه نشر الإنجيل في ربوع بلاد العرب بمنطقة فيلكس وأثيوبيا، وأنه اقتاد كنداكة الملكة نفسها للإيمان. ربما تلقى الخصي أمراً سريًا خاصًا من الملكة، التي كانت مدفوعة بأشواق داخلية وبطبيعة دينية خالصة، أمرت وزير دولتها الهمام أن يكتشف المزيد عن العبادة في أورشليم. وهناك افتراض بأنه في ذلك الوقت كان هناك شكل من أشكال الديانة اليهودية سائداً في أثيوبيا، وأن الملكة والخصي كان لديهما إلمام بفكرة المسيا وعن يسوع، وكانا يرغبان في استجلاء الحقيقة كاملة.

وبالإضافة لأي معرفة عن المسيح استقاها الخصي في أورشليم، كان هناك اختبار قوة المسيح المخلصة من كل إثم في طريق عودته لأرض الوطن. لابد أن الملكة كانت على استعداد تام أن تتقبل بسرور الخبر السار عن عمل النعمة العجيب في نفس وزيرها الذي تثق فيه! وعندما شرح لملكته المعنى الكامن وراء الأصحاح الرائع الذي قرأه فيلبس له، فلنا أن نتصور كيف دبت الحرارة في قلبها وازداد إيمانها عندما توصلت لفهم إنجيل النعمة التي تفتدي الخطاة.

«وهو مجروح لأجل معاصينا
مسحوق لأجل آثامنا
تأديب سلامنا عليه
وبحبره شفينا»

برنيكي
(أع ٢٥: ١٣، ٢٣، ٢٦: ٣٠)
الملكة ذات الشهوات الجامحة

إن برنيكي تحتل بجدارة مكانة من ناحية الجاذبية الجنسية شأنها شأن كليوباترا، والاسم برنيكي هو تحريف مقدوني لكلمة فرنيكي أي «منتصر» أو «حامل الانتصار» وهذا الاسم يرد في التاريخ الماضي كاسم لزوجة بطليموس، أحد قواد الإسكندر، الذي أصبح ملكًا على مصر ومؤسسًا لأسرة شهيرة، الشيء الوحيد الذي لم تستطع برنيكي أن تنتصر عليه هو شهوتها أو عواطفها المتأجحة. ويبدو أنها كانت واحدة من أكثر السيدات في عصرها خلاعة وجاذبية. ودروسيلا «التي كانت يهودية» كانت أختها.

تبدو قصة برنيكي كقصة رومانسية مرعبة أو كصفحة من أخبار أيام بورجياس. ويمكننا بعد أن نقلّب صفحات التاريخ اللا ديني، أن نعرف أنها كانت الابنة الكبرى لهيرودس أغريباس الأول، وتزوجت في سن مبكرة من عمها، ملك خلقيس، وعند موته ظلت برنيكي أرملة عدداً من السنين، ولكن شائعات غامضة سرت تقول إن أخيها أغريباس، الذي أصبح واليًا على ولاية خلقيس، والذي أعطاها، كما في المثال الذي أمامنا، ما يشبه الألقاب الملكية، كان يعيش معها سفاحًا بشكل أكثر غموضًا، وكان بذلك ينشر في اليهودية الرذائل التي ضرب صديق

والده، كاليجولا، مثالاً سيئًا في بثها.

تُذكر برنيكي في الكتاب المقدس دائمًا بأنها كانت مع الملك أغريباس الثاني، الذي ظهر أمامه بولس، والذي كان آخر سلالة بيت هيرودس، كانت علاقاتها مع أغريباس أخيها مثار لكثير من الشبهات. فقد ذهبت معه لزيارة فستوس واستمعت لدفاع بولس. ونحن نتساءل إن كان ضميرها قد أنّبها وهي تجلس في أبهة وتسمع دفاع الرسول الملتهب! وبسبب سفاح القربي الذي كانا يمارسانه، والفساد الأخلاقي الذي ترديا إليه، كان أغريباس وبرنيكي موضع سخرية چوڤينال، الشاعر الروماني.

لم يدم زواجها السيء الحظ من بوليمون، ملك كيليكيا ولم ينجح. وسرعان ما تغلبت الأهواء الجامحة للملكة مرة أخرى، فتركت زوجها، الذي سرعان ما تركها، وتخلى عن مفهوم اليهودية الذي فرضته عليه. يقول اليكوت: «ولكن قوى الإغراء عند برنيكي كانت لا تزال كبيرة، وعرفت كيف تستفيد منها في ساعة دمار وطنها. انجذب ڤاسباسيان إليها بسبب إحساسها بالعزة والكرامة كملكة، وبسبب روعة مواهبها الملكية، وأخذ تيطس ابنه مكانه في القائمة الطويلة لعشاقها، وقد أتت إلى روما كعشيقة له، وقيل إنه وعدها بالزواج. ولكن ذلك كان أكثر مما يستطيع مجلس شيوخ الإمبراطورية أن يتحمله، وأجبر تيطس عن طريق ضغط الرأي العام، أن يطرد برنيكي، ولكن حزنه نتيجة لعمله هذا كان على كل لسان».

يالها من قصة مقززة! فقد جلبت برنيكي عاراً كثيراً على اسم الملكة! فلو أنها عندما سمعت بقصة بولس عن الحياة المتغيرة، هي أيضًا «لم تكن معاندة للرؤيا السماوية» واختبرت تغييراً كاملاً في الحياة، لأصبحت تذكار قويًا لعمل النعمة، وَنحن نتساءل إن كانت برنيكي مع أغريباس قد قاربا على الاقتناع بأن يصيرا مسيحيين أم لا؟ ولكن يبدو أن هذين الرفيقين في الخطية والشهوة قد خنقا كل صحوة ضمير وماتا في عارهما.

كان هناك بالطبع عدد كبير من الملكات من الأمميين في فترة تاريخ العهد القديم، ولكن بما أن مجال تأملاتنا يقتصر على أولئك المذكورات بنوع خاص في السجل المقدس، فإن دراستنا لهؤلاء الملكات اللواتي تنتمين للأسرات المتعاقبة يجب أن تترك لبحث القارىء في الدراسات الأدبية خارج نطاق الكتاب المقدس.

الفصل الثاني

الملكات اليهوديات في تاريخ الكتاب المقدس

إن الملكية في الأمة اليهودية على العموم، بعيدة كل البعد عن أن تكون مثلاً يحتذى به. فياله من خليط غريب من الملوك والملكات! فالتاريخ والتجربة يثبتان أن المرأة قد تكون رفيقة للملك، وحاكمة لمملكة أو حتى الملكة الأم دون أن تمتلك الصفات الجميلة والحلوة التي تتسم بها الملكة.

ثم أليس حقيقيًا أيضًا أن المرأة يمكن أن تتسم بالأبهة والفخامة حتى لو لم تكن زوجة لملك؟ هناك صفة «الملكية» في كل امرأة، والمرأة مهما كانت بيئتها أو مركزها في الحياة، فهي عندما تكون مخلصة لهذه الصفة الفطرية، فهي تجلس على أحد عروش الحياة في العالم كملكة محبوبة مكرمة ومحترمة من قبل كل المحيطين بها. إن جمال الشخصية إنجاز لا يمكن أن يحققه الدم أو المركز. ياليت كل امرأة تكون:

«إحدى ملكات العالم

عظيمة في محبتها البسيطة»

وسواء كانت ترتدي قرمزاً ملكيًا أو رداء فلاحة، وعندما تموت، ليت الناس يتذكرونها بشغف كال :

«كالمرأة التي ذهبت لتتوج من الله

وسط القديسات في الأعالي»

يقدم لنا الكسندر بوب هذين السطرين:

«الرجال بعضهم يفضل الهدوء والبعض الآخر

يفضل الصراع في معترك الحياة

ولكن كل سيدة يمكن أن تكون ملكة مدى الحياة».

إن ملكات الكتاب اللاتي يعتبرن نموذجًا طيبًا، على الرغم أنهن قلائل، إلا أنهن مصدر إلهام للنساء في إظهار كل فضائل المرأة، أما أسوأ ملكات الكتاب، وهن كثيرات، فهن يمثلن الصخور الخطيرة في نهر الحياة، والرمال المتحركة، والصخور التي تحطمت عليها حياة البشر، من رجال ونساء.

يركز (ڤالانس س. كوك) ملاحظاته عن ملكات الكتاب في هذا العبارة الشيقة: «للملكات رسالة لكل جنس، وخاصة للشابات والعذارى. وانهيار جانب يعني انهيار الجانب الآخر. والعكس صحيح، فسمو طرف يعني سمو الطرف الآخر، فكلاهما يقومان معًا أو يسقطان معًا. وبالنسبة لأولئك الذين يبتهجون بمجد الشباب وبالأمل البهيج في عصر ذهبي قادم، فإنهم يمكن أن يستمدوا النور والهداية، والقوة والنصح والتحذير من دراسة لملوك وملكات الكتاب المقدس».

كتب دكتور (جوزيف باركر) ذات مرة يقول: «إن الكتاب المقدس مليء بالشخصيات المثالية، ولا يخشى النص الكتابي في نفس الوقت أن يظهر الشخصية الحقيقية عند انهيارها الكامل، والصورتان مرتبطتان في السجل المقدس، فأمامنا السمو الأخلاقي الذي يبدو أنه يصعب الوصول إليه، والانحطاط الذي يهز المشاعر

ويسبّب صدمة أخلاقية. لدينا النصائح التي تشجع أضعف واحد فينا على محاولة القيام بأشياء عظيمة نبذل فيها جهوداً جبارة».

إن دراسة ملوك وملكات الكتاب المقدس تقودنا إلى المُثُل التي نريد أن نحتذي بها، وإلى الواقع الذي نريد أن نتجنّبه، وهكذا فكل الكتاب قد كُتب لتعليمنا.

ميــكــال
(١صم ١٨: ١٧-٣٠، ١٩: ١١-١٧، ٢صم ٣: ١٤-١٦، ١٦: ١٢،١٣)
الملكة التي تحوّل حبها إلى احتقار

من بين النساء المذكورة أسماؤهن، والنساء التي لم تذكر أسماؤهن في حياة الملك داود، هناك ثلاثة لعبن جميعهن أدواراً هامة في حياة داود، وهن ميكال وإبيجايل وبشبع. لم يكن تعدد الزوجات، كما أشرنا من قبل، يعتبر خطية أو جريمة بالنسبة لملك في عصر داود، فناموس الله في القديم وانتشار المسيحية حالا دون تعدد الزوجات، ولكن العديد من قديسي العهد القديم، لا يبدو أن ضمائرهم كانت تؤنبهم للجمع بين أكثر من زوجة. ولكن في حالات كثيرة، كان ينتج عن ذلك الحقد والخلافات والندم والمأساة.

وعلى الرغم أننا سنضطر للتأمل في زوجات داود الثلاث كل على حدة، إلا أنه قد يثبت أنه من المفيد أن نضع الثلاثة معًا ونكتشف كيف كان تأثير كل واحدة منهن على حياة داود ، ملك إسرائيل الشهير.

كانت ميكال أميرة، ابنة شاول، أول ملك على إسرائيل، وقضت حياتها الأولى في قصر والدها وفقًا للتقاليد التي فرضها شاول على أهل بيته، وربما أن هذه الحقيقة تعطيها عذراً في احتقارها لداود لفقدانه لكرامته عندما اشترك في الاحتفال الشعبي بعودة التابوت.

وبالزواج منها، أصبح داود صهر الملك، ولأول مرة يعرف معنى الاستمتاع بحب شابة والإعجاب به. فبالنسبة لميكال كان الأمر يعني الحب من أول نظرة، فنحن نقرأ مرتين أنها «أحبت داود»، ولكننا لا نعرف ردود أفعال قلبه. وعلى أي حال،، فمثل هذا الزواج رفع هذا الشاب راعي الغنم إلى مصاف اللقب الملكي.

وكانت إبيجايل زوجة لفلاح غني وكانت جميلة وذكية، ولابد أنها كانت امرأة تمتلك صبراً نادراً حتى تعيش طوال هذه المدة مع زوج يتسم بالفظاظة وقلة الذوق، وهو نابال، الذي كان أحمق اسما وسجيةً، عندما تزوجها داود بعد موت نابال، حقق المركز الاجتماعي للشيخ القوي، وكان له امتياز الانتفاع بنصيحة امرأة حكيمة في رعاية قطعان نابال من الماشية والأغنام.

إن أبيجايل، كامرأة عبرانية، ملتزمة بتقاليد عصرها، كانت تعطي النصيحة فقط في وقت الضرورة. كانت لها إرادة منضبطة، وحياتها مع وحش مثل نابال حتم عليها أن تكون هكذا، وهكذا سعت نحو داود بكل اتضاع، وبطريقتها الهادئة الحكيمة روضت غضب داود وأنقذت حياة زوجها السكير التافه (ولكن لمدة محدودة).

لم يكن يبدو أن بشبع، زوجة جندي في جيش داود، تمتلك الصفات الشخصية التي كانت إبيجايل تمتلكها. لاشك أنها وجدت صعوبة في شغل ساعات الوحدة بينما كان زوجها، أوريا، في مقدمة الجيش يحارب حروب الأمة. هل جعلها هذا طرفاً فاعلاً في الافتتان المجنون الذي أظهره داود من ناحيتها؟

فبسبب بشبع، ارتكب داود عدة خطايا منها الزنى والخداع والقتل، حتى وإن كان قد أنجب من بشبع ابنًا يخلفه كملك على إسرائيل. ولو كانت بشبع تمتلك خصال

احترام الذات مثل وشتي وحكمة ابيجايل، لما لوثت صفحات داود العظيمة والمجيدة بالجريمة النكراء التي كلفته ضياع نفوذه كأب وكملك.

وعندما نتطلع إلى صورة أول زوجة لداود، وهي ميكال، يجب أن نلاحظ أنه على الرغم أن الكتاب المقدس لا يدعو أيا من زوجات داود بنوع خاص، كملكات، إلا أنه بسبب زواجهن منه قد أصبحن شريكاته في الحكم، وعلى الرغم أننا لا نعرف عدد زوجات وسراري داود، إلا أن ثماني زوجات قد ذكرن بالاسم وهن - ميكال، وبثشبع، وأبيجايل، وأخينوعم، ومعكة، وحجيث، وأبيطال، وعَجْلة (٢صم ٣:١-٥).

دعنا نبدأ بميكال، أصغر بنتين وُلدتا لشاول من أخينوعم، كانت ميكال في الحقيقة، الزوجة البديلة لداود، الذي كان يجب عليه أن يأخذ ميرب، الابنة الكبرى، بسبب قدرته كمقاتل، ولكن ميرب أعطيت لعدريئيل المحولي.

إن اسم ميكال اختصار لرئيس الملائكة ميخائيل الذي يعني «من مثل الله؟» فإذ تأثرت تأثراً عميقًا بهذا المقاتل الشاعر الذي قتل جليات الجبار، لم تحاول ميكال أن تخفي مشاعر الحب نحو هذا الشاب الأنيق، ولابد أنها كانت امرأة ذات رجاحة عقلية كبيرة تمكنها من إعلان حبها في تلك السن.

عندما علم شاول بحب ميكال لداود، أضمر في قلبه أن يقتله، فعرض أن يعطي ميكال لداود ونقل إليه رسالة خادعة بيد عبيده تقول له «هوذا قد سر بك الملك وجميع عبيده قد أحبوك فالآن صاهر الملك» وطلب شاول طلبًا كريهًا، فهو لم يطلب مهراً من داود، كل ما طلب من داود أن يفعله أن يحضر له مئة غُلفة من الفلسطينيين، وعندما أدرك داود شرف مصاهرة الملك، قتل ٢٠٠ فلسطيني وأعطى شاول ضعف العدد الذي طلبه. كان شاول يعتقد أن داود لن يخرج من تلك المواجهة حيًا. ولكن الله حفظ داود، وكان على شاول أن يفي بالعهد الذي قطعه على نفسه ويعطيه ميكال زوجة.

وعلى الرغم من الحفظ الإلهي الواضح لداود، إلا أن شاول كان مصراً على قتله، وهكذا نأتي إلى تلك الحقبة التي ضحت فيها ميكال بحياتها لإنقاذ زوجها الذي أحبته. وقد وُضع حبها تحت اختبار حقيقي، وإذ فهمت الخطر المحدق بزوجها، تفوقت على ذكاء الرسل الذين جاءوا لقتل داود، وقد ساعدته على الهروب. وعندما جاء الرسل وجدوا أنهم خُدعوا بوجود الترافيم في الفراش. وتظاهرت أن داود هدد بقتلها إذا لم تساعده في هروبه، مما خفَّف من شدة غضب أبيها الحاقد. ومع أن ميكال كانت يهودية، تعلن تمسكها بإله العهد، إله إسرائيل، إلا أنه لابد أنها كانت ترتبط بالأوثان كما يثبت ذلك تدبيرها للترافيم الذي وضعته في الفراش.

النظرة الثانية التي نلقيها على ميكال، عندما ارتقى داود عرش إسرائيل. فعندما اضطر للهروب بسبب حقد شاول، أخذ شاول ميكال من داود وأعطاها لفلطئيل. قُتل شاول ويوناثان على جبل جلبوع، وأول عمل قام به داود كملك أن جعل أورشليم عاصمته ووضع هناك تابوت العهد المقدس، رمز الحضور الإلهي، وكملك طلب داود عودة زوجته ميكال، فقام ابنير بتدبير ذلك. ومثل هذا الطلب يدل على أن داود ما يزال باقيًا على ود زوجته الأولى.

يقول لنا الكتاب إن فلطئيل بكى عندما اضطرت ميكال أن تتركه، ولكنها لم تذرف الدموع. لقد عادت كملكة. ومع ذلك فقد تحول كل الحب الذي ظل باقيًا في قلبها من جهة داود، خلال سنوات الانفصال، إلى احتقار، عندما خلع داود ثيابه الملكية الذهبية والأرجوانية، ورقص بأفود من كتان أمام الرب بفرح لعودة التابوت، ونظراً لأن

الملكة المتعالية أساءت فهم اندفاع داود وحماسه، فقد قيل عنها إنها «احتقرته في قلبها».

ولسوء الحظ، لم تستطع أن تحتفظ باحتقارها لنفسها، ولكن في تلك الليلة جرحت داود بسياط سخريتها اللاذعة فقالت متهكمة: «ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشَّف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشَّف أحد السفهاء» ربما كرهت ميكال وضعها بأن تُلقى من زوج إلى آخر، فلما رجعت لداود كزوجة له، فقد أرادت العودة لمركزها كملكة. ولكن داود لم يستسلم لنزوتها لكي يزيد من إحساسها بالمجد كملكة، ورد عليها بعبارات واضحة موبخًا إياها لإساءة فهم تواضعه باعتباره تصاغراً وضعة، ويتضح عدم إدراكها للمعنى الأساسي لسلوكه الديني. وأيضًا الدليل على قطع كل الروابط الحميمة التي تجمعهما معًا في العبارة التي تقول: لم يكن لميكال ولد إلى يوم موتها».

إن الكبرياء الشخصية، وحب المركز والجاه والمشاعر المتجمدة كانت تمثِّل أخطاء ميكال. يتحدث (ماكنتوش ماكاي) عن كبرياء ثلاثية الأبعاد مرتبطة بالمركز والثراء والفكر ويستخدم ثلاثة نماذج من الكتاب المقدس.

ميكال، زوجة داود - نموذج للكبرياء المرتبط بالمركز

سالومي، أم ابني زبدي - تمثل كبرياء الثراء

مريم، أخت موسى - تمثل كبرياء الفكر.

أبيجـــايـــل
(١ صم ٢٥: ١٤-٤٢، ٢٧: ٣، ٣٠: ٥-١٨، ٢ صم ٣: ٣)
الملكة الجذابة الحكيمة

في هذا العصر الذي نعيش فيه، والذي يبدو أن عدداً كبيراً ممن يطلق عليهم لفظ «جميلات وناقصات عقل»، يكون من المفيد أن نتأمل قصة أبيجايل التي تدين بجاذبيتها لأحداثها غير المتوقعة، في السجل المقدس. فها هنا امرأة، زادت جمالاً ونبلاً بسبب بيئتها المظلمة الكئيبة، إنها زنبقة وسط الأشواك. إن نبل شخصيتها قد جعلها في النهاية الزوجة المثالية في العهد القديم، وهي تعلِّم النساء قيمة الفطنة والحكمة.

إن اسمها والذي كان أيضًا اسم أخت داود أو أخت زوجته (٢صم ١٧: ٢٥) معبِّر، لأن أبيجايل تعني «الذي يبتهج أبوها» ويُفهم منه بأنه يعني أيضًا تخليد ذكرى فرح الأب بميلاد ابنه، لاشك أن الأب يكون فخوراً عندما تكون عنده ابنة كأبيجايل، جذابة ولبقة. والسر هو، كيف يمكن لامرأة جميلة كهذه أن تصبح زوجة لمثل هذا الإنسان السكير الغبي والوحشي؟

ولو خُيرت كسيدة أن تختار شخصًا للزواج منها، لما تزوجت رجلاً مختلفًا عنها كل الاختلاف حبًا في مملكته. إن بعض النساء على استعداد للزواج من أي رجل لو أن عنده الكثير من الأغنام على التلال والمعيز في المذاود. في عصر أبيجايل، كان الزواج يُعقد دون اختيار شخصي، فلم يكن ليعقوب حرية الاختيار في الزواج من ليئة بدلاً راحيل. كان نابال وأبيجايل زوجين غير متكافئين، فباستثناء الثروة، لم يكن لنابال شيء يزكيه. كان شخصًا منفِّراً غير جذاب، بينما كانت أبيجايل تجسِّد العديد من الصفات الحميدة.

دعنا الآن نتتبع قصة أبيجايل التي قيل عنها إنها «جيدة الفهم وجميلة الصورة» كان نابال زوجها مغروراً وفلاحًا ناجحًا، وكانت أملاكه تشتمل على قريتين و ٣٠٠٠ رأس من الغنم و ١٠٠٠ من المعز. واسمه يعني «أحمق» وهذه حقيقة، استغلتها أبيجايل، كما سنرى، بتأثير كبير، بغض النظر عن أن نابال كان فخوراً بثروته، فقد كان له

طبع لا يُحتمل، بالإضافة لغبائه. وعلى النقيض من ذلك كانت أبيجايل ذات خصال حلوة، وشكل مقبول، كما كان عقلها راجحًا. عندما كان نابال يشرب خمراً، كانت كل خصاله الرديئة تطفو على السطح، ياله من زوج كئيب في مقابل سيدة كأبيجايل!

كجندي، لم يتعد داود على حقوق نابال، فقد كان يحمي ويهتم بقطعانه، ولما احتاج إلى الطعام لجيشه، كان لداود الحق في نصيب من محصول نابال الوفير. رفض نابال مساعدة داود بأي طريقة معاملاً إياه باحتقار، واستشاط داود غضبًا، وهدد نابال وبيته بالدمار والموت، ولما علمت أبيجايل بالمعاملة غير اللائقة من جانب زوجها لداود وعن عزمه أن يقتل نابال «بادرت» لتثني عزم داود عن الانتقام لنفسه من فلاح أجلف.

والكلمة (وبادرت) تؤكد تفكير أبيجايل وحرصها وسرعة حركتها. أخذت أبيجايل مؤونة كبيرة وبدأت رحلتها لملاقاة رجل غاضب، وطريقتها الحكيمة لمواجهته جديرة بالملاحظة، فهي لم تحاول تهدئة نفسه المهتاجة عن طريق النقاش، ولكن كسبتها باللباقة.

أول كل شيء، قابلت أبيجايل داود وهي ساجدة على ركبتيها. لقد انبطحت أمامه، وتحمَّلت وزر تصرف زوجها الطائش. «عليَّ أنا ياسيدي هذا الذنب» إنها لم تناقش فيما كان نابال على حق أم على باطل، فقد خلطت الجد بالهزل ببراعة، ورجت داود ألا يلتفت لزوجها قائلة له «كاسمه هكذا هو، نابال اسمه والحماقة عنده» لم تكن غير مخلصة عندما قالت الحقيقة، لقد أظهرت أبيجايل حنكة كبيرة وبسرعة لمحاولة تهدئة غضب داود الناتج عن سلوك زوجها المهين.

كان تقدم أبيجايل ملحوظًا، وقد قصدت أن لا تطلب شيئًا بطريقة مباشرة أرادته. لقد اعتبرت أنه من المسلمات أن رغبته قد منحه لها داود بقلبه الكبير. وعبارتها القائلة «الرب قد منعك عن إتيان الدماء» عبارة ذكية. لقد سمعت عن كفاءة داود القتالية حتى وأن تظاهر زوجها بغير ذلك، واستنكرت سفك الدماء للانتقام كما اقترح داود. وتنبأت أبيجايل أن الله سوف ينتقم لداود من كل أعدائه.

إن جواب أبيجايل اللين صرف غضب داود (أم ١٥:١) لقد اقنعت داود على أن النقمة لله، وأنه هو الذي يجازي (رو ١٢:١٩) ،وكان لديها أيضًا إيمان واضح بأن الله قد قدَّر أن يكون داود ملكًا على إسرائيل، مع أنه كان بعيداً كل البعد عن أفكارها أن تكون ملكة له. والمرأة التي تستطيع أن تقول «نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك» لابد أنها هي نفسها كانت محزومة في نفس الحزمة.

أعجب داود بأبيجايل، واستجاب لبلاغتها الرشيقة وباركها، وكان قد هدد بتدمير بيتها من قبل، لكن لما سمع داود لدفاع أبيجايل وقبل شخصها، ابتهج لكونه قد امتنع بناء على نصيحتها من أن يسلب الله حقه في الانتقام. لقد كانت في تناغم بين «لباقة الزوجة الحكيمة والمبادىء الدينية للمرأة الفاضلة» وكما تعبِّر عن ذلك ماري هاليت بالقول: «إن إدراك أبيجايل وتحكمها في نفسها وجاذبيتها ورؤيتها، كل ذلك أعطاها تأثيراً لا حدود له على رجل عظيم حقًا، وأبرزها كامرأة عظيمة حقًا».

نعود الآن إلى زوجها، فقد وجدته أبيجايل سكرانًا جداً فلم تخبره بشيء. وفي الصباح عند خروج الخمر من نابال أخبرت نابال عن الإساءة التي ألحقها بداود، والتهديد الذي هز كيان هذا الرجل كثيراً حتى أنه مات من هول الصدمة بعد عشرة أيام. وعندما انتهت أيام المناحة، أخذ

داود ابيجايل الكرملية الجميلة لتكون زوجة له.

وقد أُعطيت ميكال زوجته الأولى لرجل آخر، وأخذ داود أيضًا اخينوعم اليزرعيلية لتكون زوجته (١صم ٢٥: ٤٣). وفي حبرون، وُلد ابن لداود وأبيجايل دعياه كيلآب والذي يقول بعض الكُتّاب إنه يعني «الله قاضٍ» في إشارة واضحة للعقاب الإلهي الذي لحق بنابال.

كل من أخينوعم وأبيجايل رافقتا داود في رحلته المحفوفة بالمخاطر في جت وصقلغ ولابد أنهما كانتا تتسمان بالشجاعة لاتباعهما داود المطارد وجيشه من الرجال المخلصين له. سبُيت امرأتا داود ولكنه خلصهما بشجاعة، وبسبب نبل شخصيتها، فلابد أن أبيجايل التي تُدعى دائمًا زوجة نابال على سبيل الإيضاح، قد مارست تأثيراً كبيرًا على داود، وعندما أصبح الهارب ملكًا، فلابد أن أبيجايل كانت من ورائه تقدم له النصيحة والخبرة والحكمة.

بثشبع
(٢صم ١١-١٢، ٢٥، ١مل ١: ١١، ١أخ ٣: ٥)
الملكة التي غُفرت خطيتها

بثشبع التي أصبحت ملكة أخرى من ملكات داود، وأمًا لأربعة من أبنائه، بعد موت ابنه من الزنا، قد أشير إليها، باعتبارها الملكة المفضلة عند الملك، وأنها مارست سيطرتها على داود «مدة طويلة بعد اختفاء شبابها» هذا ما نعرفه عنها. فكشف جسدها عند استحمامها، كان سببًا في حدوث أسود بقعة في حياة داود اللامعة، وليس من المدهش أن قصة بثشبع المأساوية الرومانسية قد قدمت مجالاً متسعًا لكتاب الروايات، وأن هوليوود قد وجدت فيها جاذبية لبيع عدد كبير من التذاكر.

بثشبع اسم كنعاني (تك ٣٨: ٢، ١٢) يعني «الابنة السابعة» أو «ابنة القسم» كان لها ميراث تقي كابنة أليعام أو عميئيل. واسمها الثاني بثشوع أي «ابنة الثراء» وتظهر في سلسلة نسب يسوع كالزوجة السابقة لأوريا، وكأم سليمان من داود (مت ١: ٦). كانت امرأة على قدر كبير من الجمال، وقد تزوجها أوريا، أحد الأبطال الثلاثين لداود، وهو جندي شجاع، نبيل، كان يؤثر مصلحة وطنه على مصلحته الخاصة.

سردت قصة داود وبثشبع بإبداع متناهٍ في السجل المقدس، تبدأ القصة ونحن نرى داود فيها يتأخرفي أورشليم، في حين كان يجب أن يكون مصاحبًا للقادة الذاهبين إلى المعركة، عندما كان داود شابًا صغيراً، كان يوجد دائمًا في أشد المعارك ضراوة، وهو الآن استراح من جهوده المضنية واتكل على نجاحه، وكان في ذلك سر سقوطه «لأن ذلك جعله يميل للانغماس في المواقف السهلة، إن مخاطر المعركة لم تعد تثيره، فلو كان في المقدمة يقود قواته، لما جعل نفسه عرضة للهجوم. إن البطالة هي دائمًا سلاح الشيطان».

عند هبوب الهواء الرطب في المساء ومع وجود متسع من الوقت، أخذ داود يتمشّى فوق سطح قصره، ورأى امرأة جميلة شبه عارية وهي تغتسل، فقادته الشهوات لارتكاب خطيئة مريعة، وتصرف بناء على دافع مفاجيء، وليس طبقًا لشخصيته الأصلية، فاستدعى بثشبع، وأجبره جمال المرأة الذي أمامه على ارتكاب جريمة الزنا، فكان المفروض على الملك أن يعرف أكثر من ذلك، لأنه كما تقول ماري هاليت:

«كان شابًا رقيقًا عندما رأته ميكال أول مرة في قصر والدها، وكانت أصابعه تلعب على قيثارة ذهبية، وصوته الهادىء يجعل شاول يتخلى عن نوبة الاكتئاب التي ألمت

به. لم يكن أكبر كثيراً عندما أسرعت أبيجايل نحوه لتعوقه عن ارتكاب جريمة القتل، ولكنه كان رجلاً ناضجًا، قد اعتزل الحروب لسنوات عديدة، وكان حاكمًا على إسرائيل لمدة ١٢ سنة عندما أغراه جمال بثشبع أن يخطيء، مما ألقى بالظل الكئيب لهذه الخطية على بقية حياته».

عندما أخبرت بثشبع داود عن حالة طمثها، فقد أظهرت أنها أكثر اهتمامًا بالناموس الطقسي منه بالناموس الأخلاقي، فكيهودية كان يجب أن تعرف أن الناموس يقرر عقوبة الموت لأجل ارتكاب خطية الزنا (لا ٢٠ : ١٠) وكونها تُتَّهم بجريمة كبرى ضد زوجها وضد الله، فإن الأمر يبدو أنه لم يربك بثشبع، طالما أنها كانت في وضع يسمح لها بتحقيق مآرب داود.

ما أن علم داود بأن بثشبع حامل، حتى أصبحت خطيته في وضع أسوأ، وابتكر طريقة ليغطي بها جريمته، لقد استدعي زوج بثشبع المحارب الجسور، أوريا، ومنحه إجازة من المعركة، معتقد أن الوقت الذي سوف يقضيه مع زوجته قد يعفيه من أن ينسب طفل الخيانة الزوجية له بل لأوريا، ولكن أوريا رفض أن يضطجع مع زوجته في الوقت الذي يتعرض فيه رفاقه للخطر والتابوت كذلك.

وحتى عندما جعل داود الجندي الشجاع المضحي الطيب القلب يأكل ويسكر، فإن تصميمه ألا يضطجع مع زوجته طغى على حالته التي كان عليها من سُكر ولا مبالاة. إذن، لا يتبقى سوى شيء واحد، وهو أن أوريا يجب أن يموت وأصبح حاملاً لصك موته. قُتل أوريا وآخرون معه، وهكذا أصبح داود مرتكبًا لجريمة سفك الدماء، والرغبة الشهوانية والزنى والغش والقتل.

والسؤال هو، إلى أي حد كانت بثشبع شريكة في خطية داود المريعة؟ هل يجب أن تُلقى المسئولية الكاملة عن الجريمة ضد أوريا على رأس الملك فقط؟ هل استغل سلطته ونفوذه ليسرق امرأة رجل آخر؟ ألم تكن بثشبع في موقف يسمح لها بأن تقاوم تحركات ورغبة هذا العاشق الملكي؟ إن الدليل الذي لدينا يجعل بثشبع شريكة فاعلة في خطية داود. إن بريق رغبة الملك فيها أدار رأسها وجعلها صيداً سهلاً.

في المقام الأول، لم يكن يجب على بثشبع أن تكون من الطيش بحيث تستحم في مكان يمكن للرجال أن يروها فيه. كان يجب أن تعرف إنه كان يمكن أن يراها الناس من السطوح المجاورة، ثم عندما استدعاها داود وعرفت رغبته، فلو كانت مثل وشتي، لكان يجب عليها أن تقاوم حتى الموت ضد شهوات الملك المحرمة، كما فعل يوسف في وضع مشابه. ثم بعد الفعلة الشنعاء، عندما عاد زوجها، لانجد هناك ذكراً لرغبة بثشبع القوية أن تراه وأن توجه الاتهام للملك بخطيته، وتعترف بذنبها في هذا الصدد.

وحتى وأن ندبت بعلها في أيام المناحة الرسمية، إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى ذهبت إلى القصر لتنضم إلى قائمة نساء داود. إن إصبع الاتهام يشير إلى بثشبع كما يشير لداود.

وكما سنعرف، فإن طفل بثشبعُ ولد دون خجل، ولكنه مات خلال أسبوع، وقد عانى كل من داود وبثشبع حزنًا عظيمًا وألمًا شديداً. فحتى الملوك والملكات يجب أن يعلموا أنهم ليسوا فوق الشرائع الإلهية، فالخطية تعني الألم، والعصيان يعني العقاب، كما يعبِّر دونالد دافيدسون عن ذلك بالقول.

«على الرغم أن بثشبع قد وصلت إلى قمة المجد، إلا أن الكرامة التي نالتها لم تستطع أن تعرضها عن خسارة ذلك الطفل، فالموت شيء قاس في أي وقت، ولكنه أقسى

مايكون في حالة موت طفل صغير، وعندما نتذكر أن داود وبثشبع كانا مدركين تمامًا أن موت ابنهما كان عقابًا إلهيًا على خطيتهما، إلا أن الألم النفسي الذي اعتراهما ليس من السهل تصوره».

أدرك داود بشاعة جريمته عن طريق رسالة ناثان: «لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد» لقد ألم به العار بسبب واحد من أبنائه (٢ صم ١١:١١)، وأصبح مطارداً من قبل ابن آخر (١٥:١٤)، وثار ضده ابن ثالث، وخانه أصدقاؤه، وتركه أبناؤه. كان حزن داود عظيمًا. وكإنسان تائب ونادم «بات مضطجعًا على الأرض» وكانت صلاته ماورد في (مز ٥١). وفي حين أنه لم يذكر شيئًا عن بثشبع، فهي أيضًا، لابد أنها تابت وتأكدت من الغفران الإلهي، ومن وسط هذه الدوامة الشريرة من الحب المحرم والجرائم الخطيرة، تشرق حقيقة أن الله إله غافر، وأن غفرانه بلا حدود.

وقد جاء تأكيد الغفران بميلاد سليمان الذي أصبح أشهر ملك في إسرائيل. وبعد ذلك. كان سليمان يقدم لبثشبع احترامًا ملكيًا خاصًا (١مل ٢:١٩) ويُقدرها بنوع خاص كالملكة الأم. إن رجاحة عقلها وشفقتها وتأثيرها على داود وسليمان يظهر فيما ورد في (١مل ١:١١-٣١، ٢:١٣-٢١). يقول التقليد إن بثشبع هي التي كتبت أصحاح ٣١ من سفر الأمثال لنصيحة لسليمان عند زواجه من ابنة فرعون، ومع ذلك هناك تقليد آخر يقول إن سليمان كتب الأصحاح تذكاراً لأمه.

لقد تعزز مركز بثشبع في القصر الملكي كملكة تحظى بكل تقدير واحترام، وكان تأثيرها كبيراً. وبمؤازرة ناثان، أفلحت في تقويض محاولة أدونيا للاستيلاء على العرش.

ولما تصرفت كوسيطة لأدونيا بشأن طلب زواجه من أبيشج، استقبلها الملك سليمان بكل حفاوة، ولكنه رفض الانصياع لطلبتها غير الحكيمة.

والدرس الختامي الذي نتعلمه عندما نسترجع قصة داود وبثشبع، هو ألا نجعل خطية واحدة تدمر كل حياة الإنسان، إن الخطية يمكن أن تُغفر، حتى وإن بقيت آثارها، وإذ نتوب عن الخطايا توبة حقيقية، فهذه الأخطاء يجب أن تكون مرشداً لنا نحو سلوك مستقبلي، إن الله يستطيع أن يعوضنا عن السنين التي أكلها الجراد. قال أوغسطينوس: «إن سقوط داود يجب أن يحذّر الذين لم يسقطوا، وينقذ من اليأس أولئك الذين سقطوا.

معكة

(١مل ١٤: ٢١، ١٥: ١-٢، ٢أخ ١٥: ١٦)

الملكة التي خلعت من المُلك

معكة، اسم مفضل في التاريخ اليهودي، ويطلق على كل من الرجال والنساء، كما يتبين من ختام هذا القسم، إن حاملة هذا الاسم الذي يهمنا في هذا الجزء، هي التي ذُكرت بنوع خاص «كالملكة» أو «الملكة الأم» كما يوضح الهامش. فقد ذكر أنها كانت ابنة أبشالوم (١ مل ١٥:٢) وزوجة رحبعام، ملك يهوذا (١٤:٢١)، وأم أبيام الذي خلفها على العرش (١٥:١،٢). ربما دعيت معكة على اسم واحدة من زوجات داود، أم أبشالوم.

وأطلق على معكة أيضًا اسم ميخايا (٢ أخ ١٣:٢) ويرى بولنجران أن «ميخايا» التي تعني «التي مثل الرب» كان يطلق عليها كالملكة الأم، ولكن عند الحديث عن عبادتها للأوثان (١٥:١٦)،كان يُطلق عليها اسم معكة أي «الظلم»، ويذكر أنها كانت الزوجة المفضلة للملك رحبعام، وهذا ليس تمييزاً بسيطًا، لأنه كان لديه ٧٨ زوجة رسمية وغير رسمية، ولابد أنه كان بينهن تنافس على كسب رضا الملك.

لابد أنه كان لمعكة جمال متميز وشخصية قوية، حتى أنها استطاعت أن تستأسر بالمكان الأول في قلب مثل هذا الزوج المتقلّب المزاج كرحبعام. إن نفوذها كالزوجة الأولى لابد أنه كان ملموسًا بين كل أفراد حريم الملك، ولأن الملك كان يستمع إليها في معظم الشئون، فلابد أنها كانت اليد المحرِّكة للقرارات التي يتخذها الملك. ولنا أن نتصور كيف كان الملك يعتمد على هذه الملكة القوية الشخصية.

إن كلمتها كانت قانونًا، وهذا واضح من حقيقة أنه بالرغم أن رحبعام كان لديه ٢٨ ابنًا و ٦٠ بنتًا من زوجاته التي يبلغ عددهن تقريبًا ٨٠ زوجة، إلا أنه جعل أبيّا، ابن معكة، الرئيس والحاكم بين إخوته، وقد أعده بذلك ليكون خليفته.

وخلال الفترة التي كان فيها آسا (حفيدها) قاصراً، ربما كانت هي تدير شئون البلاد. والمأساة أنها في وضعها كملكة، فإن هذه المرأة المتفردة في الذكاء والجاذبية استغلت نفوذها في الاتجاه الخاطيء. كم كان يكون الأمر مختلفًا فيما يختص بالحياة في القصر الملكي، لو أن معكة مارست نفوذها القوي إلى جانب الله والبر!.

عندما بلغ الملك آسا التقي الذي يخاف الله سن الرشد واعتلى العرش، كان أول عمل من أعماله أنه خلع الملكة الأم من أن تكون ملكة، بسبب إصرارها على عبادة الأصنام المنقولة عن أسلافها الجشوريين. من المرجح أن آسا كان حفيد معكة، وكلمة (أم) كانت تستخدم بمعنى جدة، كما كانت كلمة (ملكة) تستخدم للدلالة على الملكة الأم وهو مركز احتفظت به معكة حتى حكم آسا، ولكنه خلعها من هذا المنصب.

إن مركز معكة المبجَّل كزوجة للملك وأم الملك، لم يعفها من عملية الإصلاح التي قادها آسا. لقد تقسَّى قلب معكة في وثنيتها، وتعامت عن النتائج المترتبة على ذلك. كما حدث مع فرعون، هكذا حدث مع معكة، فإعلانات الرحمة الإلهية والعقاب الإلهي لم تأت بنتيجة، وكان لابد من اتخاذ قرار قاس لتطهير المجرى من جهة المنبع، وهكذا لحق الخزي بمعكة بسبب عملها الشائن والمخزي (١مل ١٥:١٣).

ولأن معكة كانت امرأة ذات شخصية عظيمة وقادرة على اتخاذ قرارات ذات مغزى معين، فقد كان تأثيرها سيئًا، وكان خلعها من المُلك بركة حقيقية لشعب يهوذا. فالمرأة الفاسدة يمكن أن تفسد أهل بيتها والمحيطين بها، ولكن ملكات مثل معكة وإيزابل وعثليا يفسدن شعوبًا بأكملها. إن المرأة المقدسة هي أجمل وأقوى شيء في العالم، ولكن المرأة الفاسدة هي أشر وأخبث شيء.

هناك نساء أخريات في الكتاب المقدس يحملن اسم معكة، وهي:

١- ابنة ناحور التي ولدتها رؤومة (تك ٢٢:٢٤)

٢- زوجة داود، التي أسرت في المعركة، التي تنتسب لسلالة ملكية، بنت تلماي، ملك جشور، التي أصبحت أم «أبشالوم» (٢صم ٣:٣، ١ أخ٣:٢).

٣- سرية كالب، ابن حصرون (١أخ ٢:٤٨).

٤- أخت حفيم وشفيم، من بني بنيامين، التي أصبحت، زوجة عاكير، «أبي» جلعاد (١أخ ٧:١٢-١٥).

٥- زوجة يعوئيل، أبي جبعون، وهي من أسلاف الملك شاول (١أخ ٨:٢٩، ٩:٣٥). والرجال الثلاثة الذين يحملون اسم معكة موجودون في (١صم

---

* ورد تحت اسم معوك (المترجم)

٢٧:٢*، ١أخ ١١:٣٤، ٢٧:١٦).
ومعكة أيضًا اسم لمملكة صغيرة.

رصفة
(٢صم ٣:٧، ٢١:٨-١٤)
الملكة التي تمتلك قلب أم

ليس هناك قصة أدبية مؤثرة مثل محبة رصفة المضحية لأجل موتاها، إن يقظتها المرعبة ألهمت (ترنر) ليرسم لوحته الخالدة، وتنسيون ليقدم للعالم قصيدته عن رصفة. إن رصفة الحووية (تك ٣٦:١٤) وتعني «ممتدة» كانت ابنة آية وأم لإبني شاول، أرموني ومفيبوشت. كانت الأجنبيات عادة يخترن كزوجات أقل مرتبة، ولكن مع أن رصفة معتبرة كسرية لشاول، إلا أنها لم تكن أقل شأنًا من بقية زوجات الملك.

بعد موت شاول، اتهم إشبوشت أبنير، بالاضطجاع مع رصفة في محنايم، وذلك وفقًا للمفاهيم الشرقية يعد جرمًا مماثلاً لمحاولة الاستيلاء على عرش شاول (٢صم ٣:٧). وأبنير، الذي من المحتمل أن يكون قد أحب رصفة، قُتل بيد الخائن يوآب، ولذا فقد أصبحت المرأة المسكينة مهجورة من الناحيتين، ولا يرد أي ذكر عنها حتى ما يقرب من ثلاثين سنة أخرى، عندما تخرج فجأة من عزلة ترملها في ضياء مشرق في الإعلان القومي والشرف الذي لا يدانيه شرف كامرأة ذات محبة نادرة وإخلاص فريد. (دونالد دافيد سون) لديه هذا التعليق القوي:

«لو أعوزنا الدليل على أن العقاب الذي نزل بأبناء شاول لم يكن من الله، فقد ثبت من الإظهار العلني للناموس الإلهي بترك الجثث معلّقة دون دفن، لأنه أليس من النصوص الصريحة في الشريعة أن أي مجرم معلّق على خشبة يجب أن يُدفن قبل غروب شمس نفس اليوم؟ ولكن الجثث السبع المعلقة في الهواء كانت منظراً مسرًا للجبعونيين الغاضبين. كان الانتقام مسراً، وكان السرور يزداد مع كل نظرة توجه لأعلى الجبل إلى الأخشاب السبع التي عُلّقت عليها الأجساد وهي تبرز عالية نحو عنان السماء».

كان العمل الشهير الذي قامت به رصفة، هو حراستها اليقظة ضد طيور السماء ووحوش الحقل، لئلا تبتلع جثث ولديها وجثث أقربائها على الجبل المقدس لجبعة، الذي ارتبط به شاول زوجها برباط وثيق (١صم ١١:٤). كانت رصفة تعتني بولديها في الحياة، والآن بعد موتهما لم تتخل عنهما، ولذا فهي التي كانت ترتدي الثياب الملكية في قصر شاول، أصبحت ترتدي الآن ثياب الحزن الخشنة، لتعطي العالم مثلاً في محبة الأم المضحية، دون خيمة لتحميها من الشمس المحرقة طوال النهار ومن ندي الليل المتهاطل، ودون أي شيء تجلس عليه سوى مسح ترملها، قد فرشته حماية لها من الأرض الصخرية. راقبت رصفة موتاها الأعزاء حتى هدأ غضب الرب ونزل المطر. ظلت هناك في عملها الكئيب تهش بعيداً عن الجثث العارية، لكم قاومت النوم أثناء لتلك الأيام القلقة والليالي الطويلة، المرعبة! ولابد أن الرائحة العفنة لتلك الجثث البالية أزكمت أنفها، ولكن المحبة هيأت لها عطراً وتصميمًا لإزعاج الطيور الجارحة التي تقترب. إن حماية تلك الأجساد تمت بثمن باهظ دون انتظار لكلمة شكر.

ياله من مثال صارخ تقدمه رصفة على محبة الأمومة القوية كالموت، والتمسك تحت الظروف بشجاعة فائقة بالبقاء بجوار تلك البقايا التي لا حياة فيها للأحباء (نش ٨:١، إش ٤٩:١٥)! فلا عجب أن تأثر داود بقصة عنايتها الرقيقة بالموتى، وأظهر شعوره الذي لايحتفظ بأية عداوة لبيت شاول بدفن رفات نسل شاول بكل إكرام.

ولابد أن رصفة شعرت بالارتياح، وأنها حصلت على المكافأة عندما شهدت الدفن اللائق للجثث التي كانت تحرسها بكل تضحية!

ليس من الصعب أن تقارن بين حزن رصفة وحزن مريم العظيم التي اجتاز سيف في نفسها (لو ٢: ٣٥) وها نحن نقتبس أقوال دونالد دافيدسون في هذا الصدد:

«ألا تذكرنا رصفة، التي ظلت يقظة على أحبائها الموتى، الذين قُتلوا دون ذنب ارتكبوه لأجل خطايا آخرين، بمريم التي ظلت تبكي بجوار الصليب، حيث مات لأجل خطايا العالم، ذلك الذي وُلد منها حسب الجسد؟

كم من الأشياء المشتركة بينهما! فقد أُعطى لكليهما أمرٌ كأس يمكن أن يُطلب من أم أن تشربه. ولكن أُعطى لكليهما أن تفرحا بمعرفة أن ألمهما لم يكن عبثًا. أظهرت رصفة أن المحبة أقوى من الكراهية، وتولدت الصداقة مرة أخرى في القلوب التي انتزعت منها بفعل شياطين الغضب والخوف.

وبعد قرون عديدة من تلك الحادثة، فإن موتًا آخر على ربوة عالية في فلسطين، علَّم العالم نفس الحقيقة - إن الإنسان لا يمكن أن يقدم كفارة كاملة عن الخطية. إن المحبة بذلت أقصى تضحية لها، وحصل العدل السماوي على حقه كاملاً غير منقوص تجاه بني البشر، عندما بذل الله نفسه لأجلنا في شخص ابنه الحبيب، البار لأجل الأثمة.

إيزابل
(١مل ١٦: ٣١، ١٨: ٤-١٩، ٢١: ٥-٢٨، ٢مل ٩)
الملكة التي كانت الشيطان بعينه

إن إيزابل الشيطانة المتجسدة، تأتي أمامنا كأسوأ ملكة في التاريخ. لقد كانت المقابل الأنثوي لأدولف هتلر، الذي يتعذب في جهنم إلى الأبد بصرخات الملايين الذين شوههم أو ذبحهم. وبالتفكير في الجرائم القاسية التي ارتكبتها، نتذكر ملكة شريرة ماكرة أخرى.

إن شخصية إيزابل حالكة السواد دون أي بقعة ضوء، إنها المثال الكتابي والتاريخي للمرأة في أحط الدركات - امرأة تحت السيادة المطلقة لكل شهوة شريرة، وعاطفة لا يمكن أن يقال عنها أي شيء جميل. ومع ذلك فكإحدي ملكات الكتاب المقدس، فهي تجذب انتباهنا على الرغم من شرورها. فشرورها كانت وما تزال تلك الجاذبية التي تدفع للنفور والاشمئزاز.

يقول عنها سميث في تاريخه للكتاب المقدس.

«كانت إيزابل امرأة تتمثل فيها العادات الطائشة والشهوانية لملكة شرقية، تلك العادات الكامنة في الشعب الفينيقي .... لقد كان مسلكها الطائش مضرب الأمثال في الأمة (٢مل ٩: ٢٢). وبعد ذلك بمدة طويلة أصبح اسمها مرادفًا لكل ما هو كريه، وفي سفر الرؤيا أُعطى هذا الاسم لكنيسة أو لفرد في آسيا الصغرى، يجمع بنفس الطريقة بين التعصب المقيت والإفراط في فعل الشر (رؤ ٢: ٢٠) إنها أعظم وأشر ملكات الكتاب المقدس»

يكتب شكسبير صورة مناسبة يمكن أن نطبِّقها على إيزابل:

«خصم قوي، شخص كريه لا إنساني
غير قادر على الشفقة، مجرد وخال
من كل ذرة إشفاق»

وفيما يختص بمعنى اسمها، يقول بعض العلماء إن ايزابل تعني «مزبلة» وهذا المعنى يتناسب مع شخصيتها ومع أنها تحسب ضمن الملكات، إلا أنها كانت خالية من الصفات الملوكية الحقة، كانت فاسدة كما كانت قاسية يقول آخرون إن اسمها يعني «عفيف» بعيد عن أي اتصال

جسدي، وإن كان الأمر كذلك، تكون اسمًا على غير مسمى، لأنها كانت شريرة من هامة رأسها إلى أخمص قدمها. كانت إيزابل، التي ورد اسمها ٢٣ مرة في الكتاب المقدس، ابنة قاتل الملك وقاتل أخيه. كان أشبعل ملك الصيدونيين، أباها وكان أيضًا كاهنًا لإلهة الفينيقيين عشتار. تزوجت الأميرة السورية أخاب، ملك شمال إسرائيل، وكان هذا النير المتحالف خطية (١مل ١٦:٣١) وفقًا لعبادة البعل التي كانت تنتمي إليها إيزابل كانت تقدم الذبائح البشرية وترتكب الأفعال الشهوانية، كانت ديانتها ترعى أحط وأدنى الغرائز في الطبيعة البشرية، وبما أن السلوك نتيجة للمعتقد، فإن سلوك ايزابل كان يتجاوب مع عقيدتها.

وكعابدة للأوثان كانت إيزابل تدعم عدداً كبيراً من كهنة البعل وعشتار والآلهة الوثنية الأخرى «كان ٤٥٠ نبيًا من أنبياء البعل يأكلون على مائدتها» لم تكن هذه المرأة ضعيفة الشخصية، فبعد أن تركت أرض الأوثان، كان يمكنها أن تتبع الديانة الحقيقية في وطنها الثاني، كما فعلت راعوث من قبلها (١:١٦)، ولكن إيزابل لم تجلب فقط أصنامها معها، ولكن بسبب تأثيرها الكبير على زوجها أخاب، فقد أصبح هو الآخر مرتكبًا لجريمة عبادة الأوثان المريعة، وهو لم يصادق فقط على معاصيها ولكنه أصبح شريكًا أيضًا في كل الرجاسات الباطلة التي كانت تسر بها هي وشعبها. إن ايزابل كانت لعنة على إسرائيل. فبمجرد أن أصبحت إيزابل ملكة، ذات قوة مطلقة، بدأت تقضي على عبادة الرب وأيضًا الشهادة له، في نفس الوقت الذي كانت فيه تسبغ الحماية على أصنامها وآلهتها. لقد حاولت القضاء التام على أنبياء الرب والأسفار المقدسة، كنتيجة ضرورية مترتبة على ذلك، لقد انتهجت أسلوب تحدي الله وشريعته، وكانت تمثل أول حالة لاستخدام السلطة المدنية ضد الديانة الحقيقية على يد امرأة.

إن ايزابل التي كانت تركز كل السلطة في يدها، لم تطلب أو تقدم نصيحة. لقد كانت قاسية في طموحاتها الإجرامية، وكان أخاب تحت سيطرتها التامة، وكان مخلب قط في يدها. كان أخاب ملكًا بالاسم، ولكن ايزابل هي التي كانت الحاكم الفعلي للبلاد : كانت تحكم الملك والقصر والأمة، وفي الحال انتشرت غلالة كثيفة قائمة فوق البلاد، وأصبح الموقف كما يعبِّر عنه تنسيون:

«كل زهرة متفتحة ذبلت

وكل بهاء للشمس صار معتمًا»

كانت إيزابل العبقرية الشريرة من وراء أخاب، وبدونه كانت حية بلا سم. كان النبي الصارم إيليا، المخلص في توبيخه والذي لم يساوم على الخطية إطلاقًا العقبة الكئود أمام إيزابل .. جاءت النار من السماء لتدعم إدانة إيليا للعبادة الوثنية لإيزابل، وكان مذبحة أنبياء البعل مثل استئصال سرطان خبيث من حياة الأمة.

كان خير إسرائيل يكمن في الوفاء لله وحده.

وعلى الرغم أن النبي كان قويًا وشجاعًا في إدانته لعبادة الأوثان التي أصيبت بها البلاد بسبب إيزابل، إلا أنه جبن أمام تهديداتها، لم تتأثر بذبح أنبيائها، وأقسمت أن تقتل إيليا، لأنها كانت تكرهه لخدمته النبوية وسلطانه الإلهي.

ولكن إيليا، وجد الحماية من أسوأ عدو له في بلدها، صيدون، وهكذا فإن في ذلك رمزاً لعناية الله لحماية عبده المخلص.

نأتي الآن إلى الجريمة البشعة التي جعلت إيزابل الشيطانة التي أشرنا إليها من قبل، ألا وهي، جريمة القتل التي تمت بلا قلب لنابوت التقي، فحيث أن أخاب لم يكن قانعًا بأملاكه العريضة، فإنه اشتهى كرم نابوت الخصب

المجاور لحدود قصره في يزرعيل. وكطفل مدلل، وُلد آخاب ونشأ في بيئة غير دينية، معتاداً على حياة الأنانية والكسل والترف والملذات. كان أخاب يشعر أن ما يريده يمكن الحصول عليه.

ولكن نابوت رفض أن يتنازل عن ميراث عائلته، حتى وإن قدم له إما مقابل مادي أو كرم أفضل بدلاً منه. كان على أخاب أن يعرف أن نابوت كان يهوديًا وأن ديانته تحرم عليه أن يبيع أو يستبدل ميراثه. غضب أخاب وتكدَّر بسبب رفض نابوت، وكما عبر (كلارنس أ. ماكارتري) عن ذلك بالقول:

«كان رفض نابوت مقدمة لإحدى أغرب وأقوى القصص الدرامية وأكثرها رعبًا، وهي دراما تكشف في أحد الجوانب عن البراءة والشجاعة والاستقلالية وخوف الله، ومن الجانب الآخر عن الطمع والجشع والقسوة والحنث بالقسم والموت والانتقام المريع».

ما أن عاد أخاب لقصره وقابل إيزابل، حتى سألته عن سبب مشاعره الحزينة وعبوسه، وقالت له بتهكم «ألست ملكًا؟» مما يعني أنه كملك، فإن رغباته يجب أن تستجاب فوراً من قبل رعاياه، ثم أصرت المرأة الماكرة أن تضمن لزوجها حقل نابوت، وقد أظهرت في خطتها طبيعتها الشيطانية على حقيقتها.

أرسلت إيزابل رسائل باسم أخاب لشيوخ مدينة نابوت وأمرتهم بإعلان صوم عام وأن يجلسوا نابوت في رأس الشعب. وانتقت شاهدين يكفيان لهذا الغرض، ودربَّتهما على اتهام نابوت بالتجديف على الله وخيانة الملك. وأُدين نابوت بالتهمتين ورُجم حتى الموت. وهكذا مات بسبب جريمة لم يرتكبها. نُسب لأوغسطينوس هذه المقولة: «انزعوا العدل فتصبح الممالك أماكن لارتكاب السرقات».

تأكدت إيزابل أن قطعة أرض نابوت قد صودرت وأُعطيت لأخاب. عندما سمع إيليا النبي بهذا العمل الرديء، أسرع لأخاب وإيزابل وهددهما بالانتقام الإلهي، فالكلاب سوف تلحس دم أخاب، وسوف يلحق عقاب مماثل بإيزابل، حيث أن خطايا أخاب كانت منسوبة لتأثيرها، ألم تستغل كل فرصة متاحة لتجعل أخاب ينفذ إرادتها؟ اتضع أخاب بعد سماعه لكلام إيليا، ولكنه عاد لعبادته الوثنية.

إن قصة نابوت ليست فقط قصة واقعية عن الإيمان بالله والإخلاص الرائع للضمير والبر، ولكنها أيضًا تذكِّرنا بالعقاب السريع والمريع، إنها أبلغ تذكار لنا بحقيقة أن الخطية تفضحنا، وأن الجريمة لا تفيد. وهكذا لحست الكلاب دم أخاب في نفس المكان الذي لحست فيه دم نابوت. فقد خرج أخاب للقاء ملك سوريا، وفكر في أن يتجنَّب مصيره المحتوم، فشق ثيابه الملكية، وخرج للحرب متنكراً كواحد من جنوده. لكن شخص ما قبض على القوس وضرب بشجاعة فأصاب أخاب. كان الله يعلم، على الرغم أن الضارب لم يكن يعلم، أن الهدف كان أخاب، وهكذا كان الجندي المجهول هو رامي قوس العقاب الإلهي.

وماذا عن مصير إيزابل؟ بعد موت أخاب عاشت حوالي ١٤ سنة، كانت تحتفظ فيها بلاشك بجاذبيتها الجسمية، تقول ماري هاليث بشأن شخصيتها اللافتة للنظر: «من المرجح أنها كانت ذات جمال يتسم ببشرة فينيقية سمراء، وطلعة ملكية، وجاذبية جسدية أكيدة، وشباب سريع الحركة يتغير بسهولة من الابتسامة الحلوة إلى الابتسامة الساخرة التي تتسم بالقسوة، والعيون الحلوة التي تخفي وراءها أغراضًا خبيثة».

ونعرف عنها أنها كالملكة الأم، كانت تمارس تأثيراً على كل المحيطين بها، خاصة بالنسبة لحاشية ولديها

أخزيا ويهورام ملكي إسرائيل، أيضًا على حاشية زوج ابنتها عثليا، يهورام (٢ أخ ٢١:٦، ٢٢:٢).

بعد قتل يهورام، أسرع ياهو، سائق المركبة الحربية الغاضب، إلى يزرعيل، وكان قد وصل نبأ إلى القصر بأن الملك قد قُتل، ولكن حتى موت ابنها الذي من لحمها ودمها لم يحرك قلب الملكة الأم. ومع أنها كانت تعرف بنبوة إيليا ضدها، إلا أنها ظلت رابطة الجأش، وأكملت زينتها، لم تظهر حزنها على ابنها المقتول، بل ظهرت في كامل زينتها وجاذبيتها.

«كحلت بالأثمد عينيها وزينت رأسها». كانت تلك الزينة نوعًا من الحلي الفارسية. كانت إيزابل مصممة على أن تموت كملكة مرتدية كل زينتها الملكية، ويمكننا أن نقارن هذا المُلك بما فعلته كليوباترا، كما دوِّنت في مسرحية «أنطونيو وكليوباترا» الفصل الخامس.

المشهد ٢:

لأبدو كملكة ياسيداتي، أحضرن لي
أفضل ملابسي. هأنذا أعود لسيدنوس مرة أخرى
لألتقي بمعارك أنطونيو... احضرن تاجينًا وكل شيء
أعطينني ثوبي، ضعن تاجي فوق رأسي، فلدي
أشواق خالدة بداخلي

تطلعت إيزابل من كوة القصر، ورأت ياهو، وقالت له بتحد «أسلام لزمري قاتل سيده؟».. وقد كانت تعني أن النجاح لا يمكن أن يكون حليف مجهودات ياهو. إلا أن ياهو كان لديه تفويض إلهـي. لم يكن لدى زمري أمر عاجل من الله مما يضفي طابعًا مخالفًا كلية على القضية والحدث.

صاح ياهو وهو بجوار أسوار المدينة «من معي؟» وإذ علم العبيد، أن نجم ياهو كان في قمة مجده، أطاعوا أمره، وأمسكوا بالملكة، وأطاحوا بها من فوق الأسوار. وسرعان ما دهستها سنابك الخيل ونهشت الكلاب البرية لحمها، وهكذا ماتت ميتة مخزية كزوجها. لم يتبق شيء منها «سوى آثار الخزى والعار». لم تمت فوق فراش أو تعرف شيئًا عن «آخر خدمة رقيقة تقدم لها تعبيراً عن الحب» أو «اللمسة الحانية الودودة».

هذا أغضب ياهو. كانت ايزابل برغم كل جرائمها، ابنه ملك، وملكة. وأمًا لأكثر من ملك. ذهب مبعوثون ليجمعوا رفاتها، ولكن الكلاب لم تكن قد تركت سوى الجمجمة والرجلين وكفى اليدين، فتم دفنها كما يليق بملكة. لاشك إن مثل هذا العمل من جانب ياهو يعلمنا أن نتعامل برشاقة ورقة مع المحتقرين والساقطين.

يلخص (و.أ اوسترلي) في قاموس هاستنجر السجل الملوث هكذا: «في قوة شخصيتها، وشهوتها للسلطة. ونشاطها الذي لم يكل وقرارتها الحاسمة، وقدرتها على إزاحة أي شيء وكل شيء يقف في سبيل تنفيذ خططها، كانت النموذج الفعلي لكاترين دي مديتشي».

وبالرغم من موت أخاب وايزابل، إلا أن الأثر الشرير لها استمر. كان الأبناء امتداداً لفساد والديهما، لأن الأب والأم كانا لعنة أصابت ذريتها. فلنلق نظرة على هذا النسل الشرير.

أخزيا، الذي أصبح ملكًا على إسرائيل عَبَد أصنام أمه ووبخه إيليا على عدم تقواه. بعد حكم دام لمدة عامين، مات نتيجة لإصابات خطيرة بسبب سقوطه من كوة في قصره.

يورام أو يهورام، ملك إسرائيل، أيضًا عَبَد البعل وقُتل على يد جيشه الذي ثار بقيادة ياهو، في نفس المكان الذي كان فيه كرم نابوت اليزرعيلي.

عثليا، الابنة، كما سنرى في تأملنا القادم، أدخلت عبادة البعل إلى يهوذا واتبعت مثال أمها الشريرة، وهكذا هلكت بالسيف.

وفي سفر الرؤيا، يطلق اسم إيزابل على نظام ديني وثني متحد مع قوة مدنية مرتدة (رؤ ٢: ٢٠). وتستخدم ايزابل هنا بمعنى مجازي للدلالة على إغراء وثني. ياله من مثال واضح على المثل الذي يقول «اسم الأشرار ينخر» (أم ١٠:٧)، وهكذا كان اسم إيزابل.

ماذا عن الاسم؟ الشيء الكثير، فأن تدعو أي إمرأة «إيزابل» فكأنك تلحق بها إهانة... يخبرنا (جورج ستمبسون) في كتابه الطريف «كتاب عن الكتاب المقدس» إن اللفظ «إيزابل التي تطلي وجهها بالألوان» قد برز إلى الوجود في القرن السادس عشر عندما كان طلاء الوجه بألوان الزينة يعتبر دليلاً دامغًا على أن المرأة كانت منحلة الأخلاق تتسم بالجرأة الوقحة.

عثليا
(٢مل ١١، ٢أخ ٢٢، ٢٣)
الملكة التي قتلت الأمراء

كانت عثليا المرأة الوحيدة التي كانت تملك، ويشار إليها في كل من مملكتي إسرائيل، بأنها «الخبيثة» (٢أخ ٢٤:٧)، وهي عبارة تلخص العيب الخطير في شخصيتها. كانت عثليا صورة طبق الأصل من أمها إيزابل «من شابهت أمها فما ظلمت» كانت تشبه أمها في عبادة الأوثان الشريرة، لأنه كما يعبر عن ذلك (كوبر) بالقول «جلبت إيزابل السم من صيدون وحقنته في شرايين إسرائيل، والآن فإن عثليا تنفث بعضًا من نفس السم في شرايين أورشليم».

إن عثليا، امرأة عمري، ملك السامرة، المرأة الوحيدة التي جلست على عرش داود، تزوجت يورام، أو يهورام، إبن يهوشافاط، ملك يهوذا. عندما كانت عثليا في سن الشباب، كانت العلاقات السياسية بين مملكتي يهوذا وإسرائيل، قد أصبحت علاقات ودية بعد سنوات من الصراع (٢مل ٨:١٨). ولكن زواج عثليا ويهورام، الابن الأكبر ليهوشافاط، كان زواجًا بقصد المنفعة السياسية وهو بقعة سوداء في تاريخ حياة يهوشافاط. كان زواجًا مدبراً، يضر بقضية التقوى في يهوذا ضرراً بليغًا، وهي قضية كان يهوشافاط التقي يدافع عنها بقلبه.

مارست عثليا تأثيراً شريراً على زوجها وابنها، كما فعلت إيزابل بأخاب وأبنائها. كانت شخصيتها أقوى بكثير من شخصية يهورام، الذي كان يبلغ ٣٢ سنة من العمر حين اعتلى العرش، فإذا كان شريراً وبلا مبادىء، فقد قتلت كل من وقف في طريق طموحها، كما فعلت أمها من قبل. وبينما كان ياهو يدمر بيتها في الشمال، سعت عثليا لتدمير بيت داود الذي صاهرته. ولأنها كانت شديدة التعصب لعبادة البعل، فقد أزالت الهيكل وبنت بيتًا للبعل. ولاشك أن عثليا كانت هي المحرِّضة لزوجها لكي يقتل إخوته الستة الذين كانوا متمسكين بعبادة الرب.

عند موت زوجها، اغتصب عثليا كرسي الملك، ونرى دليلاً على نشاطها وقدرتها في حقيقة أنه على الرغم من كونها امرأة، إلا أنها استطاعت أن تملك لمدة ٨ سنوات. وعند اعتلاء ابنها، أخزيا، العرش في سن الثانية والعشرين، كانت لعثليا الكلمة العليا من وراء الستار على مقاليد الحكم، والكلمة العليا أيضًا في مجالس الأمة، كما في القصر الملكي، لقد أشارت على ابنها بارتكاب الشر. كانت التالية له في السلطة والنفوذ، وعندما قُتل أخزيا على يد ياهو، لم ترض عثليا بمنصب أقل من العرش نفسه، وحاولت أن تؤمِّن مركزها بالقضاء على كل الأفراد الذكور من بيت داود الذين تستطيع الوصول إليهم، وهكذا تمت كل الأحداث المرعبة بإيعاز هذه المخلوقة الشرسة.

نأتي الآن إلى واحدة من أهم القصص الدرامية في التاريخ العبري، ألا وهي الإبقاء على حياة واحد من الأمراء الصغار حيًا بعد مذبحة عثليا لأحفادها. في تلك اللحظة الحرجة، كانت تبدو كلمة الله (تك ٣: ١٥) في خطر. فأفراد النسل الملكي كانوا يتناقصون شيئًا فشيئًا. في الواقع، كاد النور أن ينطفي، لأن عثليا «قامت فأبادت جميع النسل الملكي» من بيت يهوذا، فماذا حدث بعد ذلك؟ لكن «يهوشبع بنت الملك يورام أخذت يوآش بن أخزيا وسرقته.... وخبأوه من وجه عثليا.... فلم يقتل».

كم من الأمور كانت تتوقف على حفظ يوآش حيًا، والذي ظنته عثليا قد مات مع الباقين! فلو كان قد قُتل، لانطفأ نور ورجاء يهوذا تمامًا، لأن الأنبياء كانوا قد تنبأوا بأن المسيح سوى يأتي من سبط يهوذا ومن بيت داود. إن يهو شبع، تلك الأميرة النبيلة، وأخت عثليا غير الشقيقة، تستحق ركنًا مهمًا في معرض صور النبيلات لأنه تم عن طريقها إبطال المحاولة الشيطانية لقتل كل أفراد النسل الملكي «تم تخبئة يوآش لمدة سبع سنوات، وفي اللحظة المناسبة أُخرج من مخبئه ووُضع على العرش على يد رئيس الكهنة يهوياداع الذي كان قد خطط تمامًا لمثل هذه الضربة المفاجئة.

تم تقديم وتتويج الصغير يوآش بسهولة مدهشة ونجاح، مما أثبت أن المفاجأة كانت قد تم نسجها جيداً، فقد تم التغلب على الحراس بسهولة، وتم الإعداد لوصول الملك الصغير إلى الهيكل في يوم سبت وتتويج الملك الشرعي وسط الهتافات الفرحة لأعداد كبيرة من الجماهير. أثارت الضجة غير المعتادة للشعب عثليا، التي أسرعت وهي مليئة بالشك إلى الهيكل، وعند إلقاء أول نظرة على الموقف، شقَّت ملابسها، وصاحت «خيانة!» على أمل أن تستقطب الجماهير لمساعدتها.

ولكن محاولة عثليا جاءت متأخرة كثيراً. مضت الخطة في طريقها المرسوم، وأُجلس يوآش على منبر مرتفع، وكان سفر الشريعة في يده والتاج على رأسه.

تلقى الحراس أمراً بإبعاد عثليا بعيداً عن الهيكل حتى لا يتلوث بدمها، «وفي طريق مدخل الخيل إلى بيت الملك» ضربها الحراس وماتت كما ماتت أمها في خزي وعار، غير مأسوف عليها، لقد رحلت كزوجها الذي مات غير مأسوف عليه.

كانت ملكة لمدة ٨ سنوات، والملكة الأم لمدة سنة واحد، إلا أن خططها الشيطانية فشلت، كانت عثليا تحب الدماء، وسال دمها على باب قصرها.

وكما عاشت مثل أمها إيزابل، ماتت نظيرها، مقتولة على نفس أسوارها وداست سنابك الخيول عليها. إن حياة القتل البائسة التي انتهجتها انتهت بقتلها هي نفسها (انظر رؤ ١٦: ٥، ٦). انقسم العلماء فيما يتعلق بالمعنى الحقيقي لاسم عثليا، فيقول البعض إنه يعني «الذي ابتلاه الله بالمصائب» إن كان الأمر هكذا، كم تكون هذه التسمية المقدسة نبوية، ويقول آخرون إن عثليا يعني «المسبب للألم عن طريق الإبعاد» مما يوحي بالهجر في وقت الميلاد، وما نعرفه عن يقين، أن عثليا مثل صارخ على المثل القديم القائل «عندما يباد الشرير يكون هناك هتاف» (٢مل ١١: ١٣، ٢٠) بعد موتها، أعيد بناء مذبح الرب.

يبقى أن نلاحظ أن هناك رجلين يحملان اسم عثليا السيئة السمعة (١ أخ ٨: ٢٦، ٢٨، عز ٨: ٧).

نحوشتا

(٢مل ٢٤: ٨-١٦، إر ١٣: ١٨، ٢٩: ٢)

الملكة التي سُبيت

في حين أنه ليس لدينا سجل كتابي عن فضائلها، إلا

أنها قامت بدور صغير خاص بها، حيث أنها واحدة من النساء الإسرائيليات القلائل في الكتاب المقدس التي تحمل لقب «الملكة الأم» في الفقرات المذكورة سابقًا، كانت نحوشتا بنت ألناثان من أورشليم، أحد أمراء يهوياقيم، زوجة الملك يهوياكين، وأمًا ليهوياكين، الابن الذي ملك وعمره ١٨ سنة. من الواضح أنها كانت تقاسمه العرش قبل أن يبلغ ابنها سن الرشد.

نحوشتا، التي قد تعني «نحاسية» وربما في ذلك إشارة لبشرتها، أُخذت أسيرة، مع ابنها وكل رؤساء الأرض، وعلى قدر ما نعرف، ماتت في سبي بابل.

بُذلت جهود لربط نحوشتا «اسم علم مستمد من اسم معدن» باسم مشابه «نحوشتان» الذي يعني قطعة من النحاس أو الشيء النحاسي، وهو اسم قد أُطلق على الحية النحاسية التي رفعها موسى في البرية، والتي سحقها هو (٢مل ١٨:٤)، يتضح من وصف إرميا لنحوشتا، كالملكة الأم، إنها كانت تلبس تاجًا أو قطعة معدنية على شكل نصف دائرة مرصعة بالجواهر فوق رأسها، وهكذا كانت تتصف بالأبهة الملكية. باستثناء ما حدث لها من سبي، لا شيء يعرف عن نحوشتا، ولكن المرء يستطيع أن يقرأ بين السطور. كانت يهوذا تخطب ود نبلاء الكلدانيين باعتبارهم مرشديها ومحبيها وأصدقائها، ولكن سبيها قضى على هذا التحالف الذي كانت تضع فيه ثقتها. لم يكن يهوياقيم، زوج نحوشتا، رجلاً يخاف الله، وعندما مات، «دُفن دفن حمار مسحوبًا ومطروحًا بعيداً عن أبواب أورشليم» (إر ٢٢:١٨، ١٩). اتبع يهوياكين ابنه الممارسات الشريرة لأبيه. «يهوياكين» يعني «الرب سوف يؤيد» في إشارة مسبقة للمصير الذي تنبأ به النبي ضد هذا الملك والذي ينتظره.

يثور سؤال هنا، عن مقدار تأثير تلك الملكة على كل من زوجها وابنها، هل ساعدتهما وأيدتهما في طرقهما الشريرة وأعمالهما، وهل كان سبيها مستحقًا كالباقين؟ على أي حال، نحن نشعر أنها لو بذلت محاولة شجاعة للوقوف في وجه تيار البعد المأساوي عن الله، لكان امتدحها الكتاب المقدس فالكتاب المقدس لا يصمت أبداً أمام طاعة التبكيت الداخلي، مهما كانت التكاليف، وإذ نفكر في الملك والملكة الأم وجميع من كانوا في البلاط الملكي والشعب، وهم يذوقون ويلات السبي في بابل نذكر كلمات شيلي:

«الملوك كالنجوم - تشرق وتغرب، إنهم ينالون
كل سجود وتقدير، ولكنهم لا يستمتعون بالراحة»

يذكر (ج.م باري) في «مارجريت أوجلفي» هذه الفقرة اللافتة للنظر: «لأنك عندما نظرت في عيني أمي، قد عرفت، كما لو كان الله قد أخبرك، لماذا أرسلها الله إلى العالم، لقد كان ذلك لكي يفتح عقول كل الذين يتطلعون إلى الأفكار الجميلة» فلو أن عثليا كان لها أم مثل هذه الأم، لاختلفت القصص التي لدينا عن إيزابل وابنتها الشريرة.

أستير
(سفر استير)
الملكة التي كانت ذات مرة يتيمة فقيرة

إننا نجد أنفسنا في تجاوب مع المشاعر الموجودة في سفر أستير. «لدينا مثل في الكتاب المقدس لقصة نجد فيها كل المشاهد والصور تعبر عن جو القصور الشرقية تمامًا كما يحدث في قصص ألف ليلة وليلة» هنا نجد سجلاً رومانسيًا لفتاة فقيرة يتيمة، أصبحت ملكة لإمبراطورية من أعظم إمبراطوريات العالم، وكانت على استعداد، كملكة أن تضحي بكل شيء في

سبيل قضية كبرى.

كانت أستير من سبط بنيامين وابنة أبيحائل ومن نسل المسبيين الذين حُملوا إلى بابل مع يكنيا أو يهوياكين. ولذلك فقد وُلدت خارج وطنها في عائلة اختارت أن تبقى في فارس بدلاً من العودة إلى أورشليم، يرد اسمها حوالي ٥٨ مرة، وأستير وراعوث هما المرأتان الوحيدتان في الكتاب المقدس اللتان لهما سفران على إسميهما.

الاسم المزدوج للملكة جدير بالملاحظة، فاسمها الأصلي بالعبرية كان هوسة أي «شجرة دائمة الاخضرار» ربما لأنها منذ طفولتها كانت تتميز بجمال «الشكل والطلعة» كانت هذه الشجرة ويطلق عليها Myrtle نباتًا حلو الرائحة وذا جمال أخاذ. أصبح اسمها الفارسي «استير» عندما اختيرت كملكة. إن هذا الاسم له معنى الكلمة اليونانية المشابهة Aster أي «نجم» يقول بعض الكتاب إنه يدل على كوكب الزهرة، وهو جرم لامع ذو روعة وإثارة للإعجاب، كان نجم الزهرة البابلي هو إلهة الجمال. يقول التقليد إن النساء السوريات كن يسجدن لكوكب الزهرة فوق أسطح بيوتهن، كوسيلة للحفاظ على جمالهن والعناية به. وفي حالة أستير، كان تغيير الاسم دليلاً على نوع الجمال الذي اشتهرت به.

يقول المعلم يهوذا إن كلمة استير مأخوذة من كلمة Sathes أي يخبيء لأنها كانت مخبأة في بيت الحرص عليها، وكانت جنسيتها مخفية أيضًا حتى شعرت ان الفرصة مواتية للإعلان عنها.

في مقتبل حياة أستير كانت متروكة يتيمة، ورباها ابن عمها مردخاي، الذي كان يشغل وظيفة بسيطة في بلاط الملك، لانعلم شيئًا عن أستير سوى ما هو مكتوب عنها في سفرها، من الواضح أنها كانت شابة ذات جمال آسر ذائع الصيت.

كانت أستير «جميلة الصورة وحسنة المنظر» كما يذكر الهامش. وما قيل عن ماري ملكة الاسكتلنديين قيل بالمثل عن أستير:

«يتفق كل المؤلفين المعاصرين أن ينسبوا إليها أقصى جمال للطلعة ورشاقة للهيئة يمكن أن ينسبا لمخلوق بشري. لم ينظر إليها أي شخص دون أن يعجب بها».

في القصر والإمبراطورية كانت أستير «تنال نعمة في عيني كل من رآها» كانت استير أجمل من كل المرشحات لنوال استحسان الملك، إذ كانت تمتلك تلك البشرة السمراء، والجمال الفائق الذي يختلف اختلافًا كبيراً عن الفتيات الفارسيات ذوات البشرة الصفراء. سرعان ما لفت جمالها ورشاقتها الانتباه، واختيرت لتكون ملكة لأحشويرش. وهناك سمات واضحة أخرى لتلك الفتاة التي كانت يتيمة. إن أستير تأتي أمامنا كامرأة ذات حكم سديد واتزان رائع وقدرة على التضحية بالنفس. يقول متى هنري بصددها: «كانت حكمتها وفضائلها بمثابة جمالها الرائع» ويضيف بعفوية «ولكن ميزة الماسة أن تكون مثبتة جيداً»

كانت أستير اللافتة للنظر في الشكل والملامح تبدو أكثر جذبًا للأنظار في رشاقتها الطبيعية واعتدادها بذاتها مع حلاوة نادرة في الروح وأريحية جذابة، مما سهل على مردخاي أن يربيها كابنته.

كانت أستير تمتلك تلك السمات العقلية والروحية التي تميز المرأة العبرانية، مما يبرز جمال النفس. فالمرأة التي «بلا عيب في الشكل» والتي تمتلك «ملامح فائقة الجمال» يمكن أن تصبح غير جذابة بل ومنفرة أيضًا مالم تتسم بمسحة الإيمان الداخلي والشجاعة والإيثار. يمكن أن يقال الشيء الكثير عن طاعة أستير لوالدها بالتبنِّي عندما أصبحت ملكة، وعن إيمانها بالمصير السامي لأمتها العبرية وعن استعدادها للتضحية بحياتها لأجل

قضية كانت تؤمن بعدالتها. ولكن أستير كان بها عيوب نظيرنا جميعًا كبشر.

أول كل شيء، كان زواجها خطأ مزدوجًا، فالملك نفسه تزوج على خلاف القانون الذي يحتم الزواج من زوجة تنتمي لإحدى العائلات الفارسية السبعة العظيمة، لم يكن يجري في عروق أستير الدم الملكي. وكان على أستير كيهودية أن تعرف أن زواجها من ملك شرقي فيه مخالفة للوصية السابقة. وعلى الرغم أن أحشويرش لم يكن مستبداً وكان يمكنه أن يختار أي فتاة يريد، إلا أن مردخاي كان يمكنه الاعتراض على إدخال استير مع العذاري الأخريات، وهو اجراء كان يمكن أن يتخذه. ونحن لا يمكننا أن نتخيل أن ترفض أستير أن تنال هذا الشرف الملكي.

ثم إن وشتى لم تُستبعد كملكة لأسباب وجيهة، لأنه ليس من المظاهر اللائقة بالنسبة لشخصية أستير أن تقبل بإرادتها أن تأخذ مكان ملكة قد أطيح بها من كرسي الملك. كانت قد رفضت ببسالة أن تطيع نزوة ملك مخمور.

فيما يتعلق بصلب هامان الشرير، فقد كان يستحق هذا المصير الذي آل إليه، ولكن المذبحة الجماعية لأعداء الشعب اليهودي كانت شأنًا آخر، فالكتاب المقدس لا يخفي علينا حقيقة أن أستير لم تكن فوق حب الانتقام من أعدائها استجابة لنداء بلدها، في مثل سنها. قُتل ٥٠٠ رجل بما فيهم أبناء هامان العشرة في شوشن. وعندما سأل أحشويرش أستير عما إذا كانت قد اكتفت بذلك، فكان لديها الجرأة أن تطلب أن يعطي اليهود يومًا آخر للانتقام من أعدائهم وهكذا قُتل ثلثمائة آخرون. وتعليقًا على هذه المذبحة يقول اليكوت:

«يستحيل هنا أن نعفي أستير من التعطش للدماء، فقبل مذبحة الثالث عشر من آذار، كان من الواضح أن اليهود لم يعودوا في خطر، وكان معروفًا أن القصر كان يتعاطف مع اليهود، وتبعًا لذلك قام ضباط الملك بأداء دورهم. بعد مذبحة يوم واحد في العاصمة وحدها قُتل ٥٠٠ رجل، مما يؤكد أن اليهود كانوا سادة الموقف، ولذلك نحن لا نتردد أن نقول إن المذبحة الجديدة التي طالبت بها أستير لم يكن هناك داع لها.

ولإلقاء الضوء على حقيقة الأمر، نرى في هذا الطلب رغبة في صلب أبناء هامان. لقد سبق أن قُتلوا (٩: ١٠)، بلاشك بين الأوائل، ولذلك فإن أستير تطلب صلب الأجساد الميتة، فهي تصب جام غضبها على الموتى دون مبرر، وحيث أن أستير كانت إنسانة قد استخدمها الله لأداء غرض عظيم، فنحن لسنا مدعوين للمداراة على البقع السوداء في تاريخها والتماس الأعزار لها».

إننا ندرك أننا لا يجب أن نحكم على أستير وفقًا لقيمنا المستنيرة المستمدة من المثل المسيحية الرفيعة، وربما ننظر إلى تصرفها في ضوء قرار التضحية بنفسها عليَّ وعلى أعدائي. ومع ذلك ففي ضوء معرفتها بعدالة الله، كان يجب عليها أن تسلم قضيتها لذاك الذي قال: «لي النقمة أنا أجازي».

على الرغم أنه ليس مجالنا هنا في هذه الدراسة الشخصية أن نتعامل مع التفوق الأدبي وقوة الحبكة الدرامية في سفر استير، إلا أننا نريد أن نتأمل قليلاً في الدور الذي لعبه مردخاي في هذه القصة، أما عن هامان، عدو اليهود، والوليمة التي أقامتها أستير، فهذه وحدها تشكل دراسة جذابة. يذهب بعض علماء النقد لرفض أستير كشخصية وأي قيمة تاريخية لسفر أستير، وكان مارتن لوثر معاديًا لهذا السفر حتى أنه قال: «كنت أتمنى ألا يكون موجوداً، لأنه يميل لليهودية أكثر من اللازم، وبه قدر كبير من الوثنية الشريرة. إنه أحرى من أي سفر آخر أن يُستبعد من قائمة الأسفار المقدسة.

بالنسبة لليهود الأرثوذكس تعتبر أستير لا مثيل لها بين نساء الكتاب المقدس، وهم يؤمنون بكل كلمة في السفر، فهم لا يشُكون في صحته التاريخية كما يثبت ذلك عيد الفوريم السنوي، إن هذا العيد الذي يظل لمدة يومين، يُقرأ فيه سفر استير بعناية، وهو وقت ابتهاج عظيم، لأنه أليست الملكة استير هي التي أنقذت جنسها من الفناء؟ وهو يُدعي فوريم أي «عيد القرعة» وقد سُمِّي هكذا بسبب القرعة التي ألقاها هامان ليحدد الوقت الدقيق الذي خطط فيه للقضاء على اليهود.

يختلف سفر أستير عن باقي أسفار الكتاب في أن اسم الله غير مذكور فيه، ومع ذلك فعناية الله المتحكمة في كل شيء واضحة فيه، ويمكن أن ندعوه سفر غير ديني من ناحية خلوه من الألفاظ الدينية، وهذه سمة يشترك فيها مع نشيد الأنشاد.

لكن هناك ما يدل على إيمان استير وعلاقتها الوطيدة بالله، نجده على شكل صلاة مخلَّدة فوق تابوت حجري، والتقليد ينسب هذه الصلاة لها. تقول هذه الصلاة:

«احمدك يا الله لأنك خلقتني

إني أعلم أن خطاياي تستحق العقاب، ومع ذلك أطلب الرحمة من لدنك، لأني كلما دعوتك تكون معي، وحضورك القدوس يحميني من كل شر.

يا الله! لا تبعد نفسي من حضرتك الإلهية! أولئك الذين تحبهم لا يشعرون بعذاب جهنم.

قدني أيها الأب الرحيم إلى حياة الحياة، حتى امتلىء بثمار الفردوس السماوي».

يقول (لولنجر): إن نتيجة زواج أحشويرش بأستير كان إتمامًا لما جاء في إش ٤٤:٢٨، ٤٥:٤، وميلاد كورش، ابنها، الممسوح من الرب، الذي لُقِّب بهذا اللقب قبل ميلاده بحوالي ٢٠٠ سنة، وأقامه لإتمام إرادته، ومع ذلك فالكتاب المقدس لا يذكر أي شيء فيما يتعلق بنتيجة الزواج.

هناك العديد من الملكات كنا نود أن نعرف عنهن المزيد، هناك الملكة التي أشار إليها نحميا بأنها تجلس بجوار الملك أحشويرش (٢:٦)، من المرجح أنها كانت داماسبيا، الملكة الشرعية الوحيدة، يقول بعض الكُتَّاب إنها أستير، والوليمة المشار إليها ليست عامة، وإلا لما حضرتها الملكة (أس ١:٩-١٢).

ثم هناك حفصيبة، زوجة الملك حزقيا وأم الملك منسي (٢مل ٢١:١) ثم الملكة الأجنبية زوجة بلشاصر، وكانت ذات نفوذ كبير حيث أن الملك عمل بالنصيحة التي قدمتها. ويقال عنها إنها نيتوكريس زوجة ابن نبوخذنصر (دا ٥:١٠،١٢).

وهناك أيضًا نعمة العمونية، إحدى «النساء الغريبة» لسليمان (١مل ١١:١)، ولكننا حاولنا تصوير ما هو مثالي وما هو واقعي في حياة الملكات. لقد رسم لنا المهندس الأعظم جلال المرأة الذي يبلغ عنان السماء، والاحتمالات المخيفة للانحطاط والسلوك الأخلاقي غير المقبول الذي يمكن أن تتردى إليه. لدينا ما هو ملائكي وما هو جهنمي، المرأة في مجدها الخلاَّب والمرأة في أسود ثوب يمكن أن ترتديه.

وليس هناك ما هو أفضل من أن نختتم هذا القسم عن الملكات بهذه الفقرة المعبرة لـ (ڤالانس س. كوك).

«للملكات مكانتهن في الصورة، وهن يتحدثن عن أشياء يجب أن يعرفها كل رجل وتعرفها كل امرأة: الجمال المدهش للفضيلة والشرف، جمال ومجد الشهامة والعذوبة، القوي الظاهرة للحب والزواج، مجد الأبوة، جلال الحب والأمومة، قانون الوراثة العظيم وهو يعمل للخير أو للشر، والبحث الملكي عن النور السماوي والقيادة ... كل هذه الأشياء وموضوعات، أخرى شاعرية، هي ملامح خاصة تستطيع أن ندركها بدراسة قصة الملكات.

BOOKS OF REFERENCE

Bullinger, E. *The Companion Bible.*
The Lamp Press, London.

Cook, Vallance C. *QUEENS OF THE BIBLE.*
Charles H. Kelly, London.

Cooper, Professor James. *The Soldiers of the Bible.*
A. and C. Clark, London and Edinburgh.

Cottrell, Leonard. *The Lost Pharaohs, Life Under the Pharaohs*
Pan Books, Ltd, London.

Davidson, Donald. *Mothers in the Bible.*
Marshall, Morgan, Scott, London.

Deen, Edith, *All the Women of the Bible.*
Harper and Brothers, New York.

Ellicott, C.J. *Commentary on the whole Bible.*
Zondervan, Grand Rapids, Michigan.

Fausset, A.R. *Bible Encyclopaedia and Dictionary.*
Zodervan, Grand Tapids, Michigan.

Hallet, Mary. *Their Names Remain.*
The Abingdon Press, New York and Chicago.

Halley, Henry H. *Halley's Bible Handbooke.*
Zondervan, Grand Rapids, Michigan,

Harrison, R.K. *A History of the Old Testament Times.*
Marshall, Morgan, Scott, London.

Hastings, James. *Dictionary of the Bible.*
T. and T. Clark, Edinburgh.

Kuyper, Abraham, *Women of the Old Testament.*
Zondervan, Grand Rapids, Michigan.

Lockyer, Herbert. *All the Men of the Bible.*
Zondervan, Grand Rapids, Michigan.

Mackay, W. *Machintosh. Bible Types of Modern Women.*
George H. Doran, New York.

Manning, Samuel. *The Land of the Pharaohs.*
Religious Tract Society, London.

Nicholls, Benjamin E. *Helps to Bible Reading.*
Society for promoting Christian Knowledge, London.

Nicolson, William. *The Bible student's Companion.*
Pickering and Inglis, London.

Odhams Press Ltd. *One Hundred Great Lives.*
Odhams Press, London.

Orr, James. *The International Standard Bible Encyclopaedia.*
Wm. B. Eerdmans, Grand Rapids, Michigan.

Robinson, Thomas, *Scripture Characters.*
Published 1824. Out of Print.

Scott, Walter. *Bible Handbook.*
G. Morrish, London.

Scroggie, W. Graham, Know your Bible (2 vols).
Pickering and Inglis, London and Glasgow.

________ *The Unfilding Drama of Redemption,* Vols, 1,2.
Pickering and Inglis, London and Glasgow.

Sell, Henry T. *Famous Bible Woman.*
Fleming H. Revell Co., London and Edinburgh.

White, Wilbert Webster. *Old Testament Characters.*
Y.M.C.A. Headquarters, New York.

Wilkinson, W.F. *Personal Names of the Bible.*
Alexander Strahan, London and New York.

في هذا الكتاب ستشهدون قيام وسقوط العديد من الأسرات القديمة والممالك، وتقرأون عن عروش وقصور وإمبراطوريات وسيادات واحتفالات بهية ورائعة، ربما تفوق ما يحدث في العصور الحديثة.

ووسط أحداث الماضي والحاضر يثور التساؤل:

- لمن الحق في الحكم؟
- وهل التاريخ يحكي فقط قصص محاولات أصحاب العروش والسيادات والسلاطين انتزاع هذا الحق؟ أم أنه يصور لنا قصة الإنسان وعلاقته مع الله؟



١٠١٠٣٥٢٨